بيان التوحيد

وعقيدة أهل السنة والجماعة أهل الحديث والأثر

تأليف الشيخ

أحمد ياسين الفرقداني

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

الطبعة الأولىٰ
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

رقم الإيداع: ٢٥٩٢٨ / ٢٠٢٢ م
الترقيم الدولي: ٨-٥١٠-٩٩٧-٩٧٧-٩٧٨

9 789779 975108

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa
Dar_Elollaa@hotmail.com
الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .
01050144505 - 0225117747
المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .
01007868983 - 0502357979

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوْتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُوْنَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْها زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيْرًا وَنِسَاءً واتَّقُوْا اللهَ الَّذِيْ تَسَاءَلُوْنَ بِهِ(١) وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْباً﴾[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اتَّقُوا اللَّهَ وقُوْلُوا قَوْلًا سَدِيْدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللهَ ورَسُوْلَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيْمًا﴾[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

---

(١) قال الطبري -رَحِمَهُ اللَّهُ- في تفسيره: «واتقوا الله أيها الناس، الذي إذا سأل بعضكم بعضًا سأل به، فقال السائل للمسئول: أسألك بالله، وأنشدك بالله، وأعزم عليك بالله، وما أشبه ذلك». «جامع البيان عن تأويل آي القرءان» (٥١٧/٧).

وإنَّ خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهَدْيِ[1] هَدْيُ محمد ﷺ، وشر الأمور مُحْدَثاتها، وكل مُحْدَثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: فإنَّ أعظمَ المقاصد وأجَلَّ الغايات وأنبلَ الأهداف توحيدُ ربِّ العالمين رب الأرض والسماوات، وذلك بالإقرار له عَزَّ وَجَلَّ بالربوبية، وإفراده عَزَّ وَجَلَّ وحده بالعبادة، وإسلام الوجه له خضوعاً وتذللاً، رغباً ورهباً، خوفاً ورجاءً، والبراءة من الشرك كلِّه كبيره وصغيره قليله وكثيره، فهذه هي الغاية العظمى التي خلق الله الجن والإنس لأجلها، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] وهي الغاية التي أرسل الله عَزَّ وَجَلَّ لأجلها جميع رسله الكرام وأنزل كتبه العِظام، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥].

وهذا كتابٌ صنَّفتُهُ في بيان التوحيد وعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة. وأهلُ السُّنَّة والجماعة هم أصحاب النبي ﷺ، والتابعون لهم بإحسان، وأهل الحديث والأثر، من القرون الثلاثة المفضَّلة، فهم السَّلَف الصالح،

---

(١) قال ابن الأثير الجزري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «يقال: هَدَى هَدْيَ فُلانٍ، إذا سار بسيرته». «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/٢٥٣).

والطائفة المنصورة [١]، والفِرقة الناجية [٢]، وكلُّ مَن سار على نهجهم فهو منهم إلى يوم القيامة.

وقد سُمُّوا بأهل السُّنَّة؛ لأنَّهم الآخذون بسُنَّة رسول الله ﷺ العالِمون بها، العاملون بمقتضاها، كما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القول في السُّنَّة التي أنا عليها ورأيتُ عليها الذين رأيتُهم، مثل سفيان، ومالك، وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وأنَّ الله على عرشه في سمائه، يقرب مِن خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء»[٣].

وسُمُّوا بالجماعة لأنَّهم اجتمعوا على الحق، وأَخَذوا به، واقْتَفَوا أَثَرَ جماعة المسلمين المستمسكين بالسُّنَّة من الصَّحابة والتابعين وأتباعهم، واجتمعوا على مَن وَلَّاهُ اللهُ أمرَهم، ولم يشقُّوا عصا الطاعة، واتَّبَعُوا السُّنَّة واجْتَنَبُوا البِدَع والأهواء وأهلها، ولم يتفرقوا في الدين.

---

(١) لحديث: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي ظَاهِرِيْنَ عَلَى الحَقِّ، لا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم ولَا مَن خَالَفَهُم، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ». أخرجه البخاري (٣٦٤٠) ومسلم ١٧١-(١٩٢١).

(٢) لحديث: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً». وفي رواية: «وَهُمُ الجَمَاعَةُ»، وفي رواية: «مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي». أخرجه أبو داود (٤٥٩٦) والترمذي (٢٦٤٠) وابن ماجه (٣٩٩٣١٩ وأحمد (٣٣٢/٢) والطبراني في المعجم الكبير (٣٠/١٣) (٦٢) والأوسط (٧٨٤٠) والصغير (٧٢٤) وابن حبان (١٤٠/١٤) والحاكم (١٢٨/١) والضياء في المختارة (٢٧٣٣) وغيرهم، وصححه الترمذي والحاكم، وهو حديث صحيح بشواهده.

(٣) «العُلُوُّ للعَلِيِّ الغفَّار» للإمام الذهبي ص (١٢٠).

وقد صنَّف كثير من الأئمة والعلماء من أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً؛ المصنفات الكثيرة في التوحيد والعقيدة الصحيحة، ومنهم استفدتُ في تصنيف كتابي هذا، فجزاهم الله عنا خير الجزاء. وأرجو أن يمتاز كتابي هذا بالشمول مع الإيجاز لمسائل التوحيد وعقيدة أهل السنة والجماعة، والتحري في المسائل وأدلتها من القرءان والأحاديث الثابتة، مصحوبة بأقوال أئمة أهل السنة والجماعة.

والكتاب يشتمل على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب: الباب الأول لبيان التوحيد الركن الأول من الإسلام والإيمان، وقد أخذ هذا الباب القسم الأكبر من الكتاب، وحُقَّ له ذلك!. والباب الثاني يشتمل على بيان بقية أركان الإيمان الستة بعد الإيمان بالله. والباب الثالث، وهو جامع لأصول عقيدة أهل السنة والجماعة.

وهذه عقيدتنا عقيدة أهل السنة والجماعة أهل الحديث والأثر، نسأل الله أن نحيا بها ونموت عليها. وأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به النفع العميم، إنه سميع عليم، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أحمد ياسين الفرقاني

السودان – الخرطوم - اللاماب

عصر الأربعاء ٢٦ من المحرَّم ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢/٨/٢٦م

تمهيد

وفيه ذكر الإسلام والإيمان والإحسان ومعنى العقيدة

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[1].

ومن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين[2] بنحوه.

---

(١) أخرجه مسلم ١-(٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠) ومسلم ٥-(٩).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ»[1].

تعريف الإسلام لُغَةً:

«الإسلام والاسْتِسْلام: الانقياد، والإسلام من الشريعة: إظهار الخضوع وإظهار الشريعة، والتزام ما أتى به النبي ﷺ، وبذلك يُحقن الدم ويُستدفع المكروه»[2].

«أَسْلَمَ لله فهو مُسْلِمٌ، وأَسْلَمَ دَخَلَ في دين الإسلام، وأَسْلَمَ دَخَلَ في السِّلْم»[3].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأصل الإسلام الانقياد»[4].

تعريف الإسلام شَرعاً:

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الإسلام بالمعنى العام هو: التعبد لله تعالى بما شرعه من العبادات التي جاءت بها رسله، منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة، فيشمل ما جاء به نوح عليه الصلاة والسلام من الهدى والحق، وما جاء

---

(١) أخرجه البخاري (٨) ومسلم ١٩-(١٦).

(٢) «مجمل اللغة» لابن فارس ٤٦٩ و«لسان العرب» لابن منظور ٢٩٣/١٢. وينظر: «تهذيب اللغة» لأبي منصور الأزهري ٤٥١/١٢، و«تاج العروس» للزبيدي ٣٤٠/٨.

(٣) «المصباح المنير» ص: ٢٨٧.

(٤) «مشارق الأنوار على صحاح الأخبار» للقاضي عياض ٢١٨/٢.

به موسى، وما جاء به عيسى، ويشمل ما جاء به إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، إمام الحنفاء، كما ذكر الله تبارك وتعالى ذلك في آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله عَزَّوَجَلَّ.

والإسلام بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي ﷺ، يختص بما بُعث به محمد ﷺ؛ لأن ما بُعث به ﷺ نَسَخَ جميع الأديان السابقة فصار من اتَّبعه مسلماً، ومن خالفه ليس بمسلم؛ لأنه لم يستسلم لله بل استسلم لهواه، فاليهود مسلمون في زمن موسى، عليه الصلاة والسلام، والنصارى مسلمون في زمن عيسى، عليه الصلاة والسلام، وأما حين بعث محمد ﷺ فكفروا به فليسوا بمسلمين، ولهذا لا يجوز لأحد أن يعتقد أن دين اليهود والنصارى الذي يدينون به اليوم دين صحيح مقبول عند الله مساوٍ لدين الإسلام، بل من اعتقد ذلك فهو كافر خارج عن دين الإسلام؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران:١٩]. ويقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥]. وهذا الإسلام الذي أشار الله إليه هو الإسلام الذي امتن الله به على محمد ﷺ وأُمَّتِهِ، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]. وهذا نص صريح في أن مَن سِوَى هذه الأمة بعد أن بُعث محمد ﷺ ليسوا على الإسلام، وعلى هذا فما يدينون الله به لا يقبل منهم ولا ينفعهم يوم القيامة، ولا يحل لنا أن نعتبره ديناً قائماً قويماً، ولهذا يخطئ خطأً كبيراً من يصف اليهود والنصارى بقوله إخوة لنا، أو أن أديانهم اليوم قائمة؛ لما أسلفناه آنفاً.

وإذا قلنا: إن الإسلام هو التعبد لله سبحانه وتعالى بما شرع؛ شمل ذلك الاستسلام له ظاهراً وباطناً، فيشمل الدين كله عقيدةً، وعملاً، وقولاً، أما إذا قُرِنَ الإسلام بالإيمان فإن الإسلام يكون الأعمال الظاهرة من

نطق اللسان وعمل الجوارح، والإيمان الأعمال الباطنة من العقيدة وأعمال القلوب، ويدل على هذا التفريق قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤]. وقال تعالى في قصة لوط: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[الذاريات:٣٥-٣٦]. فإنه فرق هنا بين المؤمنين والمسلمين، لأن البيت الذي كان في القرية بيت إسلامي في ظاهره إذ أنه يشمل امرأة لوط التي خانته بالكفر وهي كافرة، أما مَن أُخرج منها ونجا فإنهم المؤمنون حقًّا الذين دخل الإيمان في قلوبهم، ويدل لذلك -أي للفرق بين الإسلام والإيمان عند اجتماعهما- حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه أن جبريل سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان، فقال له النبي ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيمَ الصلاة، وتؤتيَ الزكاة، وتصومَ رمضان، وتحجَّ البيت». وقال في الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره».

فالحاصل أن الإسلام عند الإطلاق يشمل الدين كله ويدخل فيه الإيمان، وأنه إذا قرن مع الإيمان فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة من أقوال اللسان وعمل الجوارح، وفسر الإيمان بالأعمال الباطنة من اعتقادات القلوب وأعمالها»[1].

وأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت. والدليل على ذلك حديث عُمَر، وحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اللَّذان تَقَدَّمَا.

(١) «مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين» المجلدالأول-باب الإيمان والإسلام ١/٤٧-٤٩

تعريف الإيمان لُغَةً:

«الإِيمان: بِمَعْنَى التَّصْدِيقِ، ضِدُّه التَّكْذِيبُ. يُقَالُ: آمَنَ بِهِ قومٌ وكذَّبَ بِهِ قومٌ، فأَمَّا آمَنْتُهُ الْمُتَعَدِّي فَهُوَ ضدُّ أَخَفْتُهُ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[قريش:٤]»[١].

قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أمَّا الإيمان في اللُّغةِ فيُطلَقُ على التصديقِ المحْضِ، وقد يُستعمَلُ في القرآنِ، والمرادُ به ذلك، كما قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[التوبة:٦١]، وكما قال إخوةُ يوسُفَ لأبيهم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[يوسف: ١٧]، وكذلك إذا استُعمِلَ مقرونًا مع الأعمالِ، كقَولِه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[الانشقاق:٢٥، والتين:٦]، فأمَّا إذا استُعمِلَ مُطلقًا فالإيمانُ الشَّرعيُّ المطلوبُ لا يكونُ إلَّا اعتقادًا وقَولًا وعَمَلًا»[٢].

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الإيمان في اللُّغة بمعنى التصديقِ، لكِنَّه إذا قُرِنَ بالباءِ صار تصديقًا متضَمِّنًا للطُّمَأنينةِ والثَّباتِ والقَرارِ، فليس مُجَرَّدَ تصديقٍ، ولو كان تصديقًا مُطلقًا لكان يُقالُ: آمَنَهُ، أي: صَدَّقَهُ، لكِنْ «آمَنَ بِهِ» مُضَمَّنةٌ معنى الطُّمأنينةِ والاستقرارِ لهذا الشَّيءِ، وإذا عُدِّيَت باللَّامِ مِثلُ: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾[العنكبوت:٢٦] فمعناه أنَّها تضَمَّنت معنى الاستسلامِ والانقيادِ»[٣].

---

(١) «لسان العرب» (٢١/١٣).

(٢) «تفسير القرءان العظيم» لابن كثير (١٦٥/١).

(٣) «تفسير ابن عثيمين - الفاتحة والبقرة» (٢٧٥/٢).

وقال أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أكثَرُ أهلِ العِلمِ يقولون: إنَّ الإيمان في اللغة: التصديقُ، ولكِنْ في هذا نَظرٌ؛ لأنَّ الكَلِمةَ إذا كانت بمعنى الكَلِمةِ فإنَّها تتعدَّى بتعَدِّيها، ومعلومٌ أنَّ التصديقَ يتعدَّى بنَفْسِهِ والإيمانُ لا يتعدَّى بنَفْسِهِ؛ فتقول مثلًا: صَدَّقْتُه، ولا تقولُ: آمَنْتُه، بل تقولُ: آمَنْتُ به، أو آمَنْتُ له. فلا يمكِنُ أن نُفَسِّرَ فِعلًا لازمًا لا يتعدَّى إلَّا بحرفِ الجَرِّ بفِعلٍ متعَدٍّ ينصِبُ المفعولَ به بنَفْسِهِ، ثمَّ إنَّ كَلِمةَ (صَدَّقْتُ) لا تُعطي معنى كَلِمة (آمَنْتُ)؛ فإنَّ (آمَنْتُ) تدُلُّ على طُمأنينةٍ بخَبَرِه أكثَرَ مِن (صَدَّقْتُ)؛ ولهذا لو فُسِّرَ (الإيمانُ) بـ(الإقرار) لكان أجوَدَ؛ فنقولُ: الإيمانُ: الإقرارُ، ولا إقرارَ إلَّا بتصديقٍ، فتقولُ: أَقَرَّ بِهِ، كما تقول: آمَنَ بِهِ وأَقَرَّ لَهُ كما تقولُ: آمَنَ لَهُ»[1].

تعريف الإيمان شرعاً:

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الإيمانُ وإن كان يتضمَّنُ التَّصديقَ فليس هو مجرَّدَ التَّصديقِ، وإنَّما هو الإقرارُ والطُّمأنينةُ؛ وذلك لأنَّ التَّصديقَ إنَّما يَعرِضُ للخَبَرِ فقط، فأمَّا الأمرُ فليس فيه تصديقٌ من حيثُ هو أمرٌ، وكلامُ الله خبرٌ وأمرٌ؛ فالخبَرُ يستوجِبُ تصديقَ المُخبِرِ، والأمرُ يَستَوجِبُ الانقيادَ له والاستِسلامَ، وهو عملٌ في القَلبِ جِماعه الخُضوعُ والانقيادُ للأمرِ، وإن لم يفعل المأمور به، فإذا قوبل الخَبَرُ بالتَّصديقِ والأمرُ بالانقيادِ؛ فقد حصل أصلُ الإيمانِ في القلبِ، وهو الطُّمَأنينةُ والإقرارُ؛ فإنَّ اشتقاقَه من الأَمْنِ الذي هو القَرارُ والطُّمأنينةُ، وذلك إنَّما يحصُلُ إذا استَقَرَّ في القَلبِ التَّصديقُ والانقيادُ»[2].

---

(١) يُنظر: «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (٢/٢٢٩).

(٢) انظر: «الصارم المسلول» لابن تيمية (٣/٩٦٦).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو الإقرار بالقلب، والنطق باللسان، والعمل بالجوارح. فهو يتضمن الأمور الثلاثة:

١ - إقرار بالقلب.

٢ - نُطق باللسان.

٣ - عمل بالجوارح.

وإذا كان كذلك فإنه سوف يزيد وينقص، وذلك لأن الإقرار بالقلب يتفاضل فليس الإقرار بالخبر كالإقرار بالمعاينة، وليس الإقرار بخبر الرجل كالإقرار بخبر الرجلين وهكذا، ولهذا قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[البقرة:٢٦٠]. فالإيمان يزيد من حيث إقرار القلب وطمأنينته وسكونه، والإنسان يجد ذلك من نفسه، فعندما يحضر مجلس ذكر فيه موعظة، وذكر للجنة والنار، يزداد الإيمان حتى كأنه يشاهد ذلك رأي العين، وعندما توجد الغفلة ويقوم من هذا المجلس يخف هذا اليقين في قلبه.

كذلك يزداد الإيمان من حيث القول، فإن مَن ذَكَرَ اللهَ عشر مرات ليس كمن ذكر الله مائة مرة، فالثاني أزيد بكثير.

وكذلك أيضاً مَن أتى بالعبادة على وجه كامل يكون إيمانه أزيد ممن أتى بها على وجه ناقص.

وكذلك العمل، فإن الإنسان إذا عمل عملاً بجوارحه أكثر من الآخر صار الأكثر أزيد إيماناً من الناقص، وقد جاء ذلك في القرآن والسنة - أعني إثبات الزيادة والنقصان- قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً

لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر:٣١]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[التوبة: ١٢٤-١٢٥]. وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»(١) . فالإيمان إذًا يزيد وينقص»(٢).

وأركان الإيمان ستة، وهي: الأول: الإيمان بالله. والثاني: الإيمان بالملائكة. والثالث: الإيمان بالكتب. والرابع: الإيمان بالرسل. والخامس: الإيمان باليوم الآخر. والسادس: الإيمان بالقَدَر خيره وشره.

والدليل على هذه الأركان حديث جبريل الطويل الذي تقدم.

وقد ورد ذكر الإيمان والإسلام في الآيات والأحاديث إما مفترِقَين أو مقترِنَين، فإذا كانا مقترنَين دَلَّ كل واحد منهما على معناه الخاص، كما في حديث جبريل الطويل حين سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان، فقال عن الإسلام: «أنْ تشهدَ أنْ لا إلهَ إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، وتقيمَ الصلاةَ، وتؤتيَ الزكاةَ، وتصومَ رمضانَ، وتحجَّ البيتَ إنِ استطعتَ إليه سبيلًا»، ثم أجاب عن معنى الإيمان فقال: «الإيمانُ أنْ تؤمنَ باللهِ، وملائكتِهِ، وكتبِهِ، ورسلِهِ، واليومِ الآخرِ، والقدرِ خيرِه وشرِّه».

---

(١) أخرجه البخاري ٣٠٤ ومسلم ١٣٢-(٨٠).

(٢) «مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين» المجلدالأول - باب الإيمان والإسلام ٤٩/١-٥١.

أما إذا ذُكر الإيمان وحده أو الإسلام وحده، فيدخل كل واحد في الثاني، فيكون المعنى حينئذ هو الدِّين بكل ما يشتمل عليه من اعتقادات وأقوال وأفعال، كقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥] فالإسلام هنا يدخل فيه الإيمان أيضاً، وكذلك إذا أُفرد الإيمان دخل فيه الإسلام، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[الحجرات:٧]، فالإيمان هنا يدخل فيه الإسلام.

والإحسان لغةً: ضد الإساءة، مصدر أَحسَنَ أي جاء بفعلٍ حَسَن[1]، ويشتمل على نوعين: الأول: الإتقان وإجادة الشيء. والثاني: إيصال النفع للغير.

والإحسان شرعاً نوعان:

الأول: الإحسان مع الخالق بإيقاع العمل على أكمل وجوهه في الظاهر والباطن؛ بحيث يكون قائمًا به في الباطن والظاهر على أكمل الوجوه، وحقيقته شرعًا: إتقان الاعتقادات الباطنة، والأعمال الظاهرة على مقام المشاهدة أو المراقبة، وهذا هو المعنى المقصود إذا قُرن الإحسان بالإسلام والإيمان.

الثاني: الإحسان إلى الخَلْق بأنواع الإحسان، قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النساء:٣٦].

---

(١) يُنظَر: «تهذيب اللغة» للأزهري ١٨٣/٤، و«لسان العرب» لابن منظور ١١٧/١٣، و«القاموس المحيط» للفيروزآبادي ١١٨٩.

معنى العقيدة:

العقيدة لغةً: مَصْدَر مِن اعتَقَدَ يَعْتَقِدُ اعتِقادًا وعَقِيْدَةً، مأخوذٌ من العَقْد، وهو: الرَّبط والشَّدُّ بقوَّة وإحكام، ونحو ذلك ممَّا فيه توثُّق وجزم؛ ولذا يُطلَق العَقْد على البيع والعهد والنِّكاح واليمين ونحوها من المواثيق والعُقود؛ لارتباط كلٍّ من الطرفين بهذا العقد عُرفًا وشَرعًا، إلى غير ذلك ممَّا يجبُ الوَفاء به؛ قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١][(١)].

والعقيدة في الاصطلاح: هي ما يَنعَقِدُ عليه قلبُ المرء ويجزمُ به ويَتَّخِذُهُ دِينًا ومَذهبًا؛ بحيث لا يتطرَّق إليه الشكُّ فيه، فهي حُكم الذهن الجازم أو ما ينعَقِدُ عليه الضمير، أو الإيمان الجازم الذي يترتَّب عليه القَصد والقول والعمل بمُقتَضاه.

والعقيدة الإسلامية الصحيحة هي عقيدة أهل السنة والجماعة؛ وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وهي عقيدة أهل القرون الثلاثة الأولى المفضَّلة: وهي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله ﷺ. وتحقيق الولاء والبراء، والقيام بالواجب نحو السَّلَفِ الصالح وسائر أهل الإسلام، ولُزوم الموقف الشرعي من سائر أهل المِلَل والبِدَع ونحوهم من المخالفين، كما سيأتي بيان ذلك وتفصيله في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

---

(١) يُنظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٨٦/٤)، و«المفردات في غريب القرآن» للأصفهاني ص ٥٧٦، و«القاموس المحيط» للفيروزآبادي ص ٣٠٠.

الباب الأول

بيان التوحيد
الركن الأول من الإسلام والإيمان

تعريف التوحيد:

التوحيد في اللغة:

مصدر من وَحَّدَهُ يُوَحِّدُهُ تَوحِيداً؛ إذا أَفْرَدَهُ وجعله واحداً[(١)].

قال الإمام أبو القاسم التيمي الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«التوحيد على وزن التفعيل وهو مصدر وحَّدتُهُ توحيداً، كما تقول: كَلَّمته تكليماً... والتشديد فيه للمبالغة أي بالغت في وصفه بذلك»[(٢)].

والتوحيد في الاصطلاح:

هو إفراد الله بالربوبية، وإفراده بالألوهية، وإفراده بأسمائه وصفاته.

وهذا تعريف جامع لتعريفات الأئمة للتوحيد.

فمن تعريفات الأئمة للتوحيد:

قال الإمام أبو سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وتفسير التوحيد عند الأمة وصوابه: قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، التي قال رسول الله ﷺ: «مَن جَاءَ بِها مُخْلِصاً دَخَلَ

---

(١) انظر: «لسان العرب» (٤٤٨/٣) و«القاموس المحيط» (٥٨١/٤).

(٢) «الحُجَّة في بيان المَحَجَّة وشرح عقيدة أهل السنة» لأبي القاسم التيمي (٣٣٢/١).

الجَنَّةَ»[1] و«أُمِرْتُ أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[2] من قالها فقد وحَّدَ الله. وكذلك روى جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه أَهَلَّ بالتوحيد في حَجَّته فقال: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيْكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ والنِّعْمَةَ لَكَ والمُلْكَ لَا شَرِيْكَ لَكَ»[3]. انتهى كلامه[4].

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَٰهاً وَاحِداً﴾ [البقرة:١٣٣]: «أي نخلص له العبادة، ونوحِّد له الربوبية، فلا نشرك به شيئاً، ولا نتخذ دونه ربًّا»[5].

وقال أبو القاسم التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقولهم: وَحَّدتُ اللهَ: من باب

---

(١) أخرجه الحميدي (٣٦٩) وأحمد ٢٣٦/٥ (٢٢٤١٠) كلاهما عن سفيان بن عيينة، قال: حدثنا عمرو بن دينار، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: أخبرني من شهد معاذ بن جبل حين حضرته الوفاة يَقُولُ: اكْشِفُوا عَنِّي سَجْفَ الْقُبَّةِ، حَتَّى أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ إِلَّا أَنْ تَتَّكِلُوا عَنِ الْعَمَلِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَلَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ».

(٢) أخرجه البخاري برقم ٧٢٨٤ وبرقم ٧٢٨٥، وأخرجه مسلم: ٣٢، ٣٣، ٣٥، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً بلفظه وزيادة في آخره.

(٣) أخرجه مسلم ١٤٧ من طريق جعفر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله وذكر القصة - إلى أن قال: أخبِرني عن حجة رسول الله ﷺ، فذكر جابر الحديث الطويل في وصف حجة النبي ﷺ وفيه: فَأَهَلَّ بالتوحيد: لبيك اللّهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك...» الحديث.

(٤) «رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد عَلَى بشر المريسي» للإمام الدارمي (ص٦).

(٥) «جامع البيان عن تأويل آي القرءان» للطبري ٥٦٢/١.

عَظَّمْتُ اللّٰهَ، وكبَّرْتُهُ، أي عَلِمتُهُ عظيماً وكبيراً، فكذلك وحَّدتُهُ: أي عَلِمتُهُ واحداً، منزَّهاً عن المثل في الذات والصفات»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حقيقة التوحيد أن نعبد اللّٰه وحده، فلا يُدعَى إلا هو، ولا يُخشَى إلا هو، ولا يُتَّقَى إلا هو، ولا يُتَوكَّلُ إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له لا لأحد من الخلق»[٢].

وقال ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «توحيد الرسل إثبات صفات الكمال للّٰه على وجه التفصيل، وعبادته وحده لا شريك له، فلا يجعل له نِدًّا في قصد ولا حب ولا خوف ولا رجاء ولا لفظ ولا حلف ولا نذر، بل يرفع العبد الأنداد له من قلبه وقصده ولسانه وعبادته»[٣].

التوحيد دين الفطرة وهو الأقدم في تاريخ البشر:

التوحيد دين الفطرة التي فطر اللّٰه عليها الناس عند خلقهم، قال اللّٰه عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فسدِّد وجهك واستمر على الذي شرعه اللّٰه لك، من الحنيفية مِلَّة إبراهيم، الذي هداك اللّٰه لها، وكمَّلها لك غاية

---

(١) «الحُجَّة في بيان المَحَجَّة وشرح عقيدة أهل السنة» (٣٣٢/١).

(٢) «منهاج السنة النبوية» لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤٩٠/٣.

(٣) «الروح» للإمام ابن قَيِّم الجوزية (ص٣٨٦)، وانظر لابن القيِّم أيضاً: «الصواعق المرسَلَة على الجَهْمِيَّة والمُعَطِّلة» (٩٣٣/٣)، و«مدارج السالكين إلى منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٤٥٩/٣).

الكمال، وأنت مع ذلك لازِم فطرتَك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: واقْرَءُوا إن شِئتُم: ﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾[الروم:٣٠][(٢)].

والفطرة على وزن فِعْلَة، وهي مشتقة من فطر، يقال: انفَطَرَ الشيء، إذا انشق، وفَطَرَ الأمر: إذا ابتدأه واخترعه وأنشأه، وفَطَرَ اللّٰهُ العالَم: أَوجده ابتداءً، وفَطَرَ الخَلْقَ: خَلَقَهم وبَرَأَهُم[(٣)].

قال الشوكاني رَحِمَهُٱللَّهُ: «الفِطرة في الأصل: الخِلْقة، والمراد بها هنا: المِلَّة، وهي: الإسلام والتوحيد»[(٤)].

فالمراد بالفطرة هنا أصل الخِلقة، وهي ما أَوجد الله عليه الناس ابتداءً من الإيمان به عَزَّوَجَلَّ وتوحيده.

وأيضاً مما يدل على أن التوحيد مغروس في فطرة البشر قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ. أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/٣١٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٣٥٨) ومسلم برقم ٢٢ - (٢٦٥٨).

(٣) وانظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي ص٥٨٧.

(٤) «فتح القدير» للشوكاني (٤/٢٥٨).

أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[الأعراف: ١٧٢-١٧٣].

قال الطبري: «يقول تعالى ذِكْره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد ربَّك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم، فقرَّرهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض شهادَتَهم بذلك، وإقرارَهُم به»(١).

وفي الحديث القدسي: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ...» إلى آخر الحديث (٢).

«حُنَفَاء»: جمع حَنِيْف، وهو المائل عن الباطل، المنقطع للحق وهو الإسلام والتوحيد. «فاجتالتهم»: أي صرفتْهم وذهبت بهم عن دينهم الحق إلى الأباطيل من الشرك والكفر والضلال.

وفي هذه الأدلة من القرءان والسنة بيان أن التوحيد هو دين الفطرة وإنما الشرك طارئ.

لقد كانت البشرية الأولى، وهي ذرية آدم عليه السلام المولودة على الفطرة، -والفطرة هي دين الإسلام وهو التوحيد الذي رضيه الله عَزَّوَجَلَّ لعباده- كانت على الفطرة في المدة التي بين آدم ونوح عليهما السلام طيلة عشرة قرون.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[البقرة: من الآية ٢١٣].

---

(١) جامع البيان (٢٢٢/١٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم ٦٣- (٦٥٢٨) من حديث عياض المجاشعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «كَانَ بَيْنَ نُوحٍ وَآدَمَ عَشَرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ، فَاخْتَلَفُوا فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ»[1].

فالتوحيد هو الأصل في البشرية، منذ خلق الله آدم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، حتى وقع الشرك في قوم نوح عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وسبب كفرهم وتركهم دينهم هو غُلُوُّهم في الصالحين؛ فمعبوداتهم التي عكفوا عليها وتعصبوا لها، وقالوا عنها: ﴿لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[نوح:٢٣]، هي تماثيل لقوم كانوا صالحين، فعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ، أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ، عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلَاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ[2] العِلْمُ عُبِدَتْ»[3].

فالشِّرك طارئ على البشرية، وأول ما وقع في قوم نوح عليه السلام، بعد ألف سنة من آدم عليه السلام، فبعث الله عَزَّوَجَلَّ الرسل تترى؛ كلما

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ٢/٣٣٤، والحاكم في المستدرك ٢/٤٤٢، من طريق محمد ابن بشار، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا همام، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، به. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وهو كذلك.

(٢) أي: زالت معرفة الناس بأصل نصبها.

(٣) صحيح البخاري (٤٩٢٠).

ضلَّت أمة وانحرفت عن التوحيد؛ بعث إليها رسولاً يعيدها إلى الجادة ويبصِّرها بضلالها، كي ترعوي وتعود إلى الحق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: من الآية ٣٦].

وفي جزيرة العرب كان الناس على ملة إبراهيم عليه السلام موحِّدين لا يشركون بالله، فكان عمرو بن لُحَيٍّ أول من غيَّر ملة إبراهيم، فقد روى ابن إسحاق في السيرة[١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِأَكْثَمَ بْنِ الْجَوْنِ الْخُزَاعِيِّ: يَا أَكْثَمُ، رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدِفَ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ، وَلَا بِكَ مِنْهُ»: فَقَالَ أَكْثَمُ: عَسَى أَنْ يَضُرَّنِي شَبَهُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، إِنَّكَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كَافِرٌ، إِنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ، فَنَصَبَ الْأَوْثَانَ، وَبَحَرَ الْبَحِيرَةَ، وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ، وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ، وَحَمَى الْحَامِيَ». وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في صلاة النبي صلاة الكسوف، قال: «وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ»[٢]، وعند ابن حبان من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ فَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدِفَ يَجُرُّ قصبه في النار وكان أول من غيَّر عَهْدَ إِبْرَاهِيمَ وَسَيَّبَ السَّوَائِبَ وَكَانَ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِأَكْثَمَ بْنِ أَبِي الْجَوْنِ الْخُزَاعِيِّ»، فَقَالَ الْأَكْثَمُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ

---

(١) كما في سيرة ابن هشام (٧٦/١) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٢١٢) ومسلم برقم ٣- (٩٠١).

يَضُرُّنِي شَبَهُهُ؟ فَقَالَ: «إنك مسلم وهو كافر»[1]، وعند الحاكم من حديث أُبَيٍّ بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وفيه: «وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ الْعَرَبَ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ»[2].

التوحيد دعوة جميع الأنبياء والمرسلين:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: من الآية ٣٦].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[الأعراف:٥٩].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[الأعراف:٦٥].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف: من الآية٧٣].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف: من الآية٨٥].

---

(١) صحيح ابن حبان (٧٤٩٠) بإسناد حسن.

(٢) مستدرك الحاكم (٨٧٨٨) وصححه الحاكم، وفي سنده ضعف لكن يشهد لمعناه حديث عائشة وأبي هريرة.

التوحيد أول ما يُبدأ به في الدعوة إلى الله تعالى:

عَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَارِبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا» وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ وَقَدْ أَدْمَى عُرْقُوبَيْهِ وكَعْبَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تُطِيعُوهُ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ. فَقلت: مَن هَذَا؟ فَقيل: هَذَا غُلَامٌ مِن بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. قُلْتُ: فَمَنْ هَذَا الَّذِي يَتْبَعُهُ يَرمِيْهِ بِالْحِجَارَةِ؟ قيل: هَذَا عَمُّهُ عَبْدُ الْعُزَّى أَبُو لَهَب[1].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى اليَمَنِ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»[2].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨٢٢) والطبراني في المعجم الكبير (٨١٧٥) وابن خزيمة (١٥٩) وابن حبان (٦٥٦٢) والدارقطني في السنن (٢٩٧٦) والحاكم (٤٢١٩) وعنه البيهقي في السنن الكبرى (٣٥٨) والضياء في المختارة (١٤٣) وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وأقرّه الذهبي، وهو كذلك. وله شاهد بإسناد حسن من حديث ربيعة بن عباد الديلي عند أحمد (١٦٠٢١) وغيره.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩٦) ومسلم ٢٩-(١٩).

وفي رواية:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»(١).

شهادة أن لا إله إلا اللّه

لا إله إلا الله، هي جماع التوحيد، وأساسه وعموده. لا إله إلا الله، كلمةٌ قامت بها الأرض والسموات، ولأجلها خلق الله الجن والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وبها أرسل اللهُ رُسُلَهُ، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَاْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]؛ ولأجلها نُصبت الموازين، وَوُضعت الدواوين، وبها انقسمت الخليقة إلى المسلمين والكفار، والأبرار والفجار، وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة، فهي منشأُ الخلق والأمر، والثواب والعقاب، وبها تؤخذ الكتب باليمين أو الشمال، ويثقل الميزان أو يخف، وبها النجاة من النار بعد الورود، وبعدم التزامها البقاء في النار، وهي الحقُّ الذي خلقت له الخليقة، وبها أخذ الله الميثاق، وعنها وعن حقوقها

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٢) ومسلم ٣١-(١٩) ولفظ: «يوحِّدوا اللّهَ» للبخاري.

السؤال والحساب يوم التلاق، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نُصِبَتِ القِبلة، وعليها أُسِّسَتِ المِلَّة؛ وهي حقُّ الله على جميع العباد، قال ﷺ: «حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أن يَعبُدُوهُ ولا يُشرِكُوا به شيئاً»[1]، وهي أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده المؤمنين إذ هداهم إليها، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وبها يُعصم الدم والمال، ومن أجلها جُرِّدت سيوف الجهاد، قال ﷺ: «أُمِرتُ أن أُقاتِلَ الناسَ حتى يَشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله، ويقيموا الصلاةَ، ويُؤتوا الزكاةَ، فإذا فعلوا ذلك عَصَمُوا منِّي دماءَهم وأموالَهم، إلا بحقِّ الإسلام وحسابهم على الله»[2]، وهي أول ما يجب أن يُدعى إليه، قال ﷺ لمعاذ حينما بعثه إلى اليمن: «إنَّك تَقْدَمُ على قومٍ أهلِ كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله» وفي رواية: «فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله...»[3].

وهي أصل الدين وأساسه، ورأس أمره وساق شجرته، وعمود فسطاطه، قال ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ على خمس: شهادة أَنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»[4]، وهي العروة الوثقى، وهي كلمة الحق، وكلمة التقوى، وهي القول الثابت، والكلمة الطيبة، وأعظم الحسنات، وشهادة الحق، وكلمة الإخلاص، ودعوة الحق، وأفضل الذكر، وأفضل ما قاله النبيون، وهي

(١) أخرجه البخاري (٦٢٦٧) ومسلم ٤٨-(٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم ٣٦-(٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٥٨) ومسلم ٢٩- (١٩).

(٤) أخرجه البخاري (٨) ومسلم ٢٢- (١٦).

أفضل الأعمال، وتعدل عِتق الرقاب، وتفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية، وهي الكلمة العظيمة التي عنها يُسأَلُ الأوَّلون والآخِرون، فلا تزول قَدَمَا العبد بين يدي الله حتى يُسأَلَ عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فجواب الأولى: بتحقيق «لا إله إلا الله»: معرفةً وإقراراً وعملاً، وجواب الثانية: «أنَّ محمداً رسولُ الله»: معرفةً وإقراراً وانقياداً وطاعةً؛ لأنه عبد الله ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، وسفيره بينه وبين عباده، المبعوث بالدين القويم، والمنهج المستقيم، أرسله الله رحمةً للعالمين، وإماماً للمتقين، وحجةً على الخلائق أجمعين، فهدى الله به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل، وفتح به أَعْيُناً عُمْياً، وقُلوباً غُلْفاً، وآذَاناً صُمًّا، وافترض على العباد طاعته، ونصرته، وإعانته، وتوقيره، ومحبته، والقيام بحقوقه، وسدَّ الله دون جنته الطرق، فلن تُفتحَ لأحد إلا من طريقه، فشرح له صدره، ورفع له ذِكْرَهُ، ووضع عنه وِزْرَهُ، وجعل الذِّلَّةَ والصَّغَارَ على من خالف أمره، وبحسب متابعته ﷺ تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علَّق سعادة الدارَين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلِأَتْباعه الهُدَى والأمن، والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة، والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه: الذِّلَّةُ والصَّغَارُ، والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة[1].

(١) انظر: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ» للقاضي عياض ٣/١، و«زاد المعاد» لابن القيم ٣٤/١-٣٦، و«كلمة الإخلاص وتحقيق معناها» لابن رجب الحنبلي ص٤٩-٥١، و«معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد» للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ٤١٠/٢-٤١٣، و«العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة» لسعيد بن علي بن وهف القحطاني ص ٦-٨.

معنى لا إله إلا اللَّه:

معناها: لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللهُ.

إعرابها:

«لا» نافية للجنس.

«إِلَٰهَ» هو اسمها مبني على الفتح.

و«لَا» نافية للجنس مبني على السكون لا محل لها من الإعراب. و«لا» النافية للجنس مع اسمها: في محل رفع مبتدأ.

و(حَقٌّ) المحذوف هو خبر، والعامل فيه هو الابتداء أو العامل فيه «لا» النافية للجنس على الاختلاف بين النحويين في العمل.

و«إِلَّا اللهُ»:

«إِلَّا»؛ أداة استثناء مبنية على السكون لا محل لها من الإعراب.

«اللهُ» مرفوع، وهو بدل من الخبر، لا من المبتدأ؛ لأنه لم يدخل في الآلهة حتى يُخرَجَ منها؛ لأن المنفي هي الآلهة الباطلة، فلا يَدخل فيها حتى يكون بدلاً من اسم لا النافية للجنس، بل هو بدل من الخبر.

وكون الخبر مرفوعاً والاسم هذا مرفوعاً؛ يُبيِّنُ ذلك أن التابع مع المتبوع في الإعراب والنفي والإثبات واحد.

وهنا تنتبه إلى أن الخبر لما قُدِّرَ بـ(حق) صار المُثبَتُ هو استحقاق الله عَزَّوَجَلَّ للعبادة.

ومعلوم أنَّ الإثبات بعد النفي أعظم دلالة في الإثبات من إثباتٍ مجردٍ بلا نفي.

ولهذا صار قوله «لا إله إلا الله» وقول «لا إله غير الله» هذا أبلغ في الإثبات من قول: «الله إله واحد»، لأن هذا قد ينفي التقسيم ولكن لا ينفي استحقاق غيره للعبادة.

ولهذا فقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[محمد: ١٩]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]؛ فيه الجمع بين النفي والإثبات، وهذا يُسَمَّى الحَصْر والقَصْر، ففي الآيات حصر وقصر.

وبعض أهل العلم يعبر عنه بالاستثناء المفرغ وهذا ليس بجيد، بل الصواب فيه أن يقال هذا حصر وقصر، فجاءت «لا» نافية وجاءت «إلا» مُثْبِتَة ليكون ثَمَّ حصرٌ وقصرٌ لاستحقاق العبادة في الله عَزَّوَجَلَّ دون غيره.

وهذا عند علماء المعاني في البلاغة يفيد الحصر والقصر والتخصيص، يعني أنَّهُ فيه لا في غيره.

وهذا أعظم دلالة فيما اشتمل عليه النفي والإثبات(١).

رُكْناها:

و«لا إله إلا الله» لها نوعان من الأركان؛ نوع لفظي، ونوع معنوي. أما النوع اللفظي: وهو ما تضمنه لفظ الشهادة «لا إله إلا الله»: فركناه نفي وإثبات؛ «لا إله»: نفي، و«إلا الله»: إثبات.

---

(١) «إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل» للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص٢٨ بتصرف يسير. وللتوسع في إعراب (لا إله إلا الله) انظر: «رسالة في إعراب لا إله إلا الله» لابن هشام، تحقيق حسن موسى الشاعر.

وأما النوع المعنوي، وهو ما تضمنه معنى الشهادة «لا معبود حق إلا الله»: فركناه نفي وإثبات أيضاً؛ فـ«لا معبود حق»: نفي، و«إلا الله»: إثبات.

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين: «فلا إله إلا الله؛ اشتملت على نفي وإثبات؛ فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى؛ فكل ما سواه من الملائكة، والأنبياء، فضلاً عن غيرهم؛ فليس بإله، ولا له من العبادة شيء، وأثبتت الإلهية لله وحده؛ بمعنى أن العبد لا يأله غيره؛ أي لا يقصده بشيء من التألُّه؛ وهو تعلق القلب الذي يوجب قصده بشيء من أنواع العبادة؛ كالدعاء، والذبح، والنذر، وغير ذلك»[(١)].

فالنفي إذاً: نفي الإلهية واستحقاق العبادة عن كل ما سوى الله عَزَّوَجَلَّ. والإثبات: إثبات الإلهية واستحقاق العبادة لله عَزَّوَجَلَّ وحده لا شريك له.

وهو معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

شروط «لا إله إلا اللَّه»:

شروط جمع شَرْط، والشَّرْط: إلزام الشيء، والتزامه؛ يقال: شَرَطَ له أمراً: التَزَمَهُ، وشَرَطَ عليه أمراً: أَلْزَمَهُ إيَّاه[(٢)].

---

(١) «الشهادتان: معناهما وما تستلزمه كل منهما» للشيخ ابن جبرين ص٢٢. وانظر «الدين الخالص» لصديق حسن خان ١/١٨٩.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي ص٨٦٩. و«المعجم الوسيط» لجماعة من المؤلفين ص٤٧٨.

والمراد بشروط «لا إله إلا الله»: الأمور التي يجب على الإنسان أن يلزمها، حتى يحقق «لا إله إلا الله»، أو: ما لا تصح شهادة أن لا إله إلا الله إلا بوجودها واجتماعها.

هذه الشروط بمثابة الأسنان للمفتاح، فلا يفتح إلا بوجودها، وقد قيل لِوَهْبِ بن مُنَبِّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أليس «لا إله إلا الله» مفتاح الجنة؟ فقال: بلى، ولكن ليس مفتاحٌ إلا له أسنان، فإن جِئتَ بمفتاح له أسنان فُتِحَ لك، وإلا لم يُفتَح لك[١].

ذكر العلماء لكلمة «لا إله إلا الله» سبعة شروط، فنظمها بعضهم بقوله[٢]:

عِلْمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصِدقُكَ مَع ... مَحَبَّةٍ وانقِيادٍ والقَبولِ لَهَا

وزاد بعضهم شرطاً ثامناً، ونظمه بقوله:

وزِيْدَ ثامنها الكفرانُ منكَ لِمَا ... سِوَى الإلهِ مِن الأندادِ قد أُلِهَا

الشرط الأول: العلم المنافي للجهل:

يراد بهذا الشرط: أن نعلم معنى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، ومدلولها، علماً منافياً للجهل في النفي والإثبات؛ فننفي الألوهية عن غير الله عَزَّوَجَلَّ، ونثبتها لله وحده؛ بأن نعلم أنه لا معبود بحق غيره عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً في صحيحه، كتاب الجنائز، باب في الجنائز، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله. وقد وصله في التاريخ الكبير له ٩٥/١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦٦/١.

(٢) انظر: «معارج القبول» للشيخ حافظ الحكمي (٤١٩/٢).

من الأدلة على هذا الشرط:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

والعلم هنا لا بد فيه من إقرار القلب، ومعرفته بما طلب منه عِلمه.

٢- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُون﴾[الزخرف:٨٦] أي: إلا من شهد بأَنْ لا إله إلا الله، وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم[١].

٣- قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٢].

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك:

أن يوقن العبد بأن لا إله إلا الله، يقيناً لا يتطرق إليه شك ولا ريب ولا تردد.

من الأدلة على هذا الشرط:

١- قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[الحجرات:١٥]؛ فاشترط لصدق إيمانهم بالله ورسوله: كونهم لم يرتابوا؛ أي لم يشكُّوا، فعُلِمَ أنه لا بد من البعد عن الشك في معنى واعتقاد أن لا إله إلا الله.

---

(١) انظر «أعلام السُّنَّة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة» للشيخ حافظ الحكمي ص٤٠.

(٢) أخرجه مسلم ٤٣-(٢٦).

٢- قول رسول الله ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا؛ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[1].

٣- قول رسول الله ﷺ لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ؛ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»[2].

الشرط الثالث: القبول المنافي للرّد:

المراد بهذا الشرط: قبول ما اقتضته هذه الكلمة بالقلب والنطق باللسان، وتجنب ردِّها؛ لأن من الناس من يعلم معنى «لا إله إلا الله»، ويوقن بمدلولها؛ ولكنه يَرُدُّها كبراً أو حسداً؛ فالمشركون كانوا يعرفون معنى لا إله إلا الله، ولكنهم كانوا يستكبرون عن قبول ذلك، كما حكى الله عَزَّ وَجَلَّ ذلك عنهم بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[الصافات:٣٥]، وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[الأنعام: من الآية٣٣].

من الأدلة على هذا الشرط:

١- قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[النور:٥١].

٢- قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ

---

(١) أخرجه مسلم ٤٤-(٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم ٥٢-(٣١).

ضَلَالًا مُبِينًا﴾[الأحزاب:٣٦].

٣- قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ؛ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[1].

الشرط الرابع: الانقياد المنافي للتَّرك:

الانقياد هو الاستسلام والإذعان لكل ما دلت عليه لا إله إلا الله، وأساسه إفراد الله بالربوبية والألوهية وإفراده تعالى بأسمائه وصفاته، وعدم الترك لشيء من شروط لا إله إلا الله[2].

من الأدلة على هذا الشرط:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[لقمان:٢٢].

٢- وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[النساء: ١٢٥].

٣- وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[الزمر:٥٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩) ومسلم ١٥-(٢٢٨٢).

(٢) وانظر: «الشهادتان: معناهما وما تستلزمه كل منهما» للشيخ ابن جبرين ص٨١.

الشرط الخامس: الصِّدق المنافي للكذب:

وهو أن يقول لا إله إلا الله وهو صادق في ذلك صدقاً من قلبه يطابق قلبه لسانه ولسانه قلبه؛ فإن قالها باللسان فقط وقلبه لم يؤمن ويقر بمعناها فيكون من جملة المنافقين كما قال الله عنهم: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ﴾[المنافقون:١] فكذَّبهم الله بقوله: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[المنافقون:١].

من الأدلة على هذا الشرط:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓمٓ. أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[العنكبوت: ١-٣].

٢- وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]؛ فالمنافقون يقولون بألسنتهم؛ لكنهم ينكرون مدلول الشهادة بقلوبهم، لذلك حكم الله عليهم بالكذب، وبأن مجرد القول باللسان لا ينجيهم، بل هم في الدرك الأسفل من النار.

٣- وقول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؛ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ؛ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»[1].

٤- وحين عَلَّمَ رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الأَعرابيَّ شرائعَ الإسلام، وقال له

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨) ومسلم ٥٣-(٣٢) من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الأعرابي: والله لا أزيد عليها ولا أنقص منها، قال رسول ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»[(١)].

الشرط السادس: الإخلاص المنافي للشرك:

يراد بهذا الشرط: تصفية القلب وتخليصه من كل ما يضاد معنى «لا إله إلا الله»، وتصفية العبادة، وتخليصها من شوائب الشرك والرياء.

والإخلاص أن تكون العبادة لله وحده، دون أن يُصرَفَ منها شيءٌ لغير الله عَزَّوَجَلَّ، لا مَلَك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا أي شيء[(٢)].

من الأدلة على هذا الشرط:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[الزمر:٣]؛ أي الخالص من الشرك، وأن تكون كل العبادة خالصة لله وحده لا شريك له.

٢- وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة:٥].

قوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ أي: في الكتب المنزلة، وفي القرآن أيضًا، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: ليلتزموا بعبادة الله، وتكون عبادتهم له خالصة لا يشركون به شيئًا.

﴿حُنَفَاءَ﴾: مائلون عن الشرك إلى التوحيد، مستقيمون على ملة إبراهيم عليه السلام ودين محمد ﷺ.

﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾: خص الصلاة والزكاة لعظمتهما،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦) ومسلم ٨-(١١) من حديث طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: «الشهادتان: معناهما وما تستلزمه كل منهما» للشيخ ابن جبرين ص٨٣-٨٤.

ولأنهما الركنان اللذان بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ أي: إن ذلك الدين هو دين الملة المستقيمة على التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده.

٣- ومن الأدلة على الإخلاص قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»(١).

٤- وقول رسول الله ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ؛ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ -أَوْ نَفْسِهِ»(٢).

الشرط السابع: الحب المنافي للبغض:

المراد بهذا الشرط: أن يحب هذه الكلمة «لا إله إلا الله»، ويحب العمل بمقتضاها، ويحب أهلها العاملين بها، فالعبد يحب الله عَزَّ وَجَلَّ، ويحب رسوله ﷺ، ويحب كل ما يحبه الله ورسوله من الأعمال والأقوال، ويحب أولياء الله وأهل طاعته(٣).

ومتى استقرت كلمة «لا إله إلا الله» في القلب؛ فإنه لا يفضل عليها شيئاً؛ إذ حبها يملأ القلب، فلا يتسع لغيرها، وعندئذ يجد العبد حلاوة الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٥) ومسلم ٢٦٣-(٣٣) من حديث عِتْبَان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث طويل.

(٢) أخرجه البخاري (٩٩).

(٣) انظر «الشهادتان: معناهما، وما تستلزمه كل منهما» للشيخ ابن جبرين ص٨٤.

من الأدلة على هذا الشرط:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[البقرة:١٦٥]، أي: المؤمنون أشد حُبًّا لله من أهل الأوثان لأوثانهم.

٢- وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة:٥٤]؛ فالله يحبهم بسبب تمسكهم بدينه وشرعه، وهم يحبونه، ويمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه.

٣- وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[آل عمران:٣١].

٤- وقول رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ؛ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[(١)].

واجتماع هذه الشروط يحقق حلاوة الإيمان؛ فيستلذ العبد الطاعات، ويحتمل المشاق، إذا كان ذلك في سبيل رضا الله سبحانه وتعالى.

الشرط الثامن: الكفر بما يُعْبَدُ مِن دون اللَّه:

المراد بهذا الشرط: أن يعتقد بطلان عبادة ما سِوى الله عَزَّوَجَلَّ، وأن كل المعبودات سوى الله باطلة، فمن أقر المشركين على شركهم

---

(١) أخرجه البخاري (١٦) ومسلم ٦٧-(٤٣) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والكافرين على كفرهم، أو شكَّ في بطلان ما هم عليه؛ فليس بموحِّد، ولو قال لا إله إلا الله، ولو لم يَعبد غير الله[1].

من الأدلة على هذا الشرط:

١- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٥٦].

٢- وقول رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»[2].

وبعد: فهذه هي شروط «لا إله إلا الله»[3]، ولا بد من اجتماعها، والمداومة عليها كي يُختم للعبد بخاتمة حسنة؛ لأن الأعمال بالخواتيم.

فمتى حقق العبد هذه الشروط، كان من أهل «لا إله إلا الله» القائمين بها علماً وعملاً، واستحق محبة الله وثوابه، والتنعم في جنات النعيم.

شهادة أنَّ مُحَمَّداً رسول اللَّه

معنى «شهادة أنَّ محمداً رسول الله»: الاعتقاد الجازم بالقلب والإقرار باللسان بأن محمداً رسول الله، أرسله إلى جميع الخلق كافة من الجن والإنس.

---

(١) انظر: «الشهادتان: معناهما وما تستلزمه كل منهما» للشيخ ابن جبرين ص٧٨.

(٢) أخرجه مسلم ٣٧-(٢٣) من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) وانظر: «تيسير الإله بشرح أدلة شروط لا إله إلا الله» للشيخ عبيد بن عبد الله الجابري.

ومقتضى هذه الشهادة: طاعته فيما أَمر، وتصديقُهُ فيما أَخبر، واجتنابُ ما عنه نَهى وزَجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع.

فيجب الإيمان بشريعته ﷺ، والانقياد لها: قولاً، وعملاً، واعتقاداً: من الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، والقيام الكامل بأركان الإسلام: من شهادة، وصلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وغير ذلك مما شرع الله على يده ﷺ كالإحسان بأنواعه[(١)].

وجوب معرفة النبي ﷺ:

وهذا هو الأصل الثالث من الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم معرفتها، وهي: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمداً ﷺ[(٢)]. وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً رسولاً، نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾ وأُرسل بالمدَّثِّر، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة، بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عُرِجَ به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أُمِرَ بالهجرة إلى المدينة، فلما استقر بالمدينة

---

(١) انظر «الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وحاشيتها» للعلامة محمد العثيمين ضمن فتاواه ٦/ ٧١. و«الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مع حاشيتها» لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم ص٥٧. ومجموع فتاوى العلامة ابن باز ٤/ ١٢و١٤.

(٢) «الأصول الثلاثة» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

أُمِرَ ببقية شرائع الإسلام مثل: الزكاة، والصلاة، والحج، والجهاد، والأذان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك. أخذ على هذا عشر سنين، وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه، ودينه باق وهذا دينه، لا خير إلا دَلَّ أُمَّتَهُ عليه، ولا شر إلا حذَّرها منه، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين لا نبي بعده، وقد بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض الله طاعته على الجن والإنس، فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار(١).

وتحصل معرفته ﷺ بدراسة حياته، وما كان عليه من العبادة، والأخلاق الحسنة، والدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، والجهاد في سبيل الله تعالى، وغير ذلك من جوانب حياته ﷺ، فينبغي لكل مسلم يريد أن يزداد معرفة بنبيه وإيماناً به أن يطالع من سيرته ما تَيَسَّرَ، في حربه وسِلمه، وشدَّته ورخائه، وسفره وإقامته، وجميع أحواله. نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعلنا من المتبعين لرسوله محمد ﷺ باطناً وظاهراً، وأن يثبتنا على ذلك حتى نلقاه عَزَّ وَجَلَّ وهو راضٍ عنا(٢).

الحُجَجُ والبراهين على صدق النبي محمد ﷺ:

ظهر على يده ﷺ من الآيات والمعجزات الخارقة للعادات عند التحدي أكثر من سائر الأنبياء، عليهم السلام، وناقلو هذه المعجزات من أصدق الخلق وأَبَرِّهم، ونَقْلُها ثابت بالتَّواتر قرناً بعد قرن، وأعظمها

---

(١) «الأصول الثلاثة» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ص٧٥ و٧٦.

(٢) انظر: «العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة» ص (٤٣-٤٤) للشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني.

مُعجزةً: القرآن، لم يتغير ولم يتبدَّل منه شيء، بل كأنه منزل الآن، وما أخبر به يقع كل وقت على الوجه الذي أخبر به، كأنه يشاهده عياناً، وقد عجز الأولون والآخِرون عن الإتيان بمثله، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء: ٨٨].

ولا يمكن ليهودي أن يؤمن بنبوة موسى عليه السلام إن لم يؤمن بنبوة محمد ﷺ، ولا يمكن لنصراني أن يُقِرَّ بنبوة المسيح عليه السلام إلا بعد إقراره بنبوة محمد ﷺ؛ لأن من كفر بنبوة نبي واحد فقد كفر بالأنبياء كلهم، ولم ينفعه إيمانه ببعضهم دون بعض، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً . أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا . وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء: ١٥٠- ١٥٢].

ولا ينفع أهل الكتاب شهادة المسلمين بنبوة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام؛ لأن المسلمين آمنوا بهما على يد محمد ﷺ، وكان إيمانهم بهما من الإيمان بمحمد ﷺ، وبما جاء به، فلولاه ما عرفنا نبوَّتهما، ولا سيما وليس بأيدي أهل الكتاب عن أنبيائهم ما يُوجب الإيمان بهم؛ فلولا القرآن ثم محمد ﷺ ما عرفنا شيئاً من آيات الأنبياء المتقدمين، فمحمد ﷺ وكتابه هو الذي قرَّر نبوَّة موسى وعيسى، لا اليهود والنصارى، بل نفس ظهوره ومجيئه تصديقاً لنبوتهما؛ فإنهما أَخبَرَا بظهوره، وبَشَّرَا بظهوره: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ

أَحْمَدُ﴾[الصف:٦]، فلما بُعثَ كان بعثه تصديقاً لهما، قال تعالى عن محمد ﷺ: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾[الصافات:٣٧].

فمجيئه تصديق لهما من جهتين: من جهة إخبارهم بمجيئه ومبعثه، ومن جهة إخباره بمثل ما أخبروا به وشهادته بنبوتهم، ولو كان كاذباً لم يصدق مَن قبله، كما يفعل أعداء الأنبياء[1].

ومن أعظم الأدلة على صدقه ﷺ أنه قال لليهود لما بهتوه: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة: ٩٤]، ولم يجسر أحد منهم على ذلك -مع اجتماعهم على تكذيبه وعداوته- لما أخبرهم بحلول الموت بهم إن أجابوه إلى ذلك، فلولا معرفتهم بحاله في كتبهم، وصدقه فيما يخبرهم به لسألوا الله الموت لأي الفريقين أكذب، منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة[2]، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ للهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[الجمعة: ٦-٧].

حقوقه على أمته ﷺ:

١- الإيمان الصادق به ﷺ، وتصديقه فيما أتى به، قال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[التغابن:٨]، وقال تعالى: ﴿فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى:

---

(١) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» ٧٨/٥-٨٣ و«دقائق التفسير» لابن تيمية ٣٤/٤ و«إغاثة اللهفان» لابن القيم ٣٥٠/٢، ٣٥١ و«هداية الحيارى» له أيضاً ص٦٣٥.

(٢) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية ٩٩/٧، وتفسير ابن كثير ١٢٨/١، ١٢٩، وتفسير السعدي ١١٤/١.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الحديد:٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾[الفتح: ١٣]، وقال ﷺ: «أُمِرْتُ أن أُقَاتِلَ الناسَ حتى يَشهَدُوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جِئتُ به»[1].

والإيمان به ﷺ هو تصديق نبوته، وأن الله أرسله للجن والإنس، وتصديقه في جميع ما جاء به وقاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان، بأنه رسول الله، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة باللسان ثم تطبيق ذلك بالعمل بما جاء به؛ تَمَّ الإيمان به ﷺ[2].

٢- وجوب طاعته ﷺ والحذر من معصيته، فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته؛ لأن ذلك مما أتى به، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[الأنفال:٢٠]، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[الحشر:٧]، ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور:٥٤]، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧١]، ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً

---

(١) أخرجه مسلم ٣٤-(٢١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ» للقاضي عياض ٥٣٩/٢.

مُّبِينًا﴾[الأحزاب:٣٦]، ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[النساء:١٣، ١٤].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أَطَاعَني فَقَدْ أطاعَ اللهَ ومْن عَصَاني فَقَدْ عَصَى اللهَ»[(١)]، وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إلَّا مَن أَبَى»، قالوا يا رسولَ اللهِ، ومَن يَأْبَى؟ قال: «مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ ومَن عَصَاني فَقَدْ أَبَى»[(٢)].

٣- اتِّباعه ﷺ واتِّخاذه قدوة في جميع الأمور والاقتداء بهديه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف:١٥٨]، فيجب السير على هديه والتزام سنته والحذر من مخالفته، قال ﷺ: «فَمَن رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[(٣)].

٤- محبته ﷺ أكثر من النفس والأهل والولد والوالد والناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٣٧ ومسلم ١٨٣٥.

(٢) أخرجه البخاري ٧٢٨٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٠٦٣ ومسلم ١٤٠١.

حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة:٢٤].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيهِ مِن وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ والنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ»(١).

وقد ثبت في الحديث أن من ثواب محبته ﷺ الاجتماع معه في الجنة، وذلك عندما سأله رجل: متى الساعة؟ فقال: «وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قالَ: يا رسُولَ اللهِ، ما أَعْدَدْتُ لها كَبِيرَ صِيامٍ، ولا صَلاةٍ، ولا صَدَقَةٍ، ولكنِّي أُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ. قال: «أَنْتَ مَعَ مَن أَحبَبْتَ». قال أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنا بَعْدَ الإسلامِ فَرَحاً أَشَدَّ مِن قَولِ النَّبيِّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَن أَحْبَبْتَ»، فأنا أُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ، وأبا بَكْرٍ، وعُمَرَ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُوْنَ مَعَهُمْ وإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِم(٢).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاءَ رَجُلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، كيفَ تقولُ في رجلٍ أَحَبَّ قوماً ولم يَلْحَقْ بهم؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»(٣).

ولما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسولَ اللهِ لَأَنتَ أحبُّ إلَيَّ من كلِّ شيء إلا مِن نفسي، فقال النبيُّ ﷺ: «لَا، والَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ من نَفسِكَ»، فقالَ لَهُ عُمَرُ: فإنَّهُ الآنَ واللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إلَيَّ مِن نَفْسِي، فقال النبيُّ ﷺ: «الآنَ يا عُمَرُ»(٤).

وعن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري ١٥ومسلم ٤٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٨٨ ومسلم ٢٦٣٩.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٨٨ ومسلم ٢٦٣٩

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٣٢.

يقول: «ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَن رَضِيَ باللهِ رَبًّا، وبالإسلامِ دِيناً، وبمحمدٍ رَسُولاً»[1].

وقال ﷺ: «ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوةَ الإيمانِ: مَن كانَ اللهُ ورسولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِواهُما، وأن يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلا للهِ، وأن يَكْرَهَ أن يَعُودَ في الكُفرِ بعدَ أنْ أَنقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أن يُقذَفَ في النَّارِ»[2].

ولا شك أن من وفَّقَهُ الله تعالى لذلك ذاق طعم الإيمان ووجد حلاوته، فيستلذ الطاعةَ ويتحمل المشاق في رِضا الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ؛ لأنه رَضِيَ به رسولاً، وأَحَبَّهُ، ومَن أَحَبَّهُ مِن قلبِهِ صِدْقاً أَطَاعَهُ ﷺ؛ ولهذا قال القائل:

تَعصِي الإلهَ وأنتَ تُظهِرُ حُبَّهُ ... هذا لَعَمْري في القِياسِ بديعُ
لو كان حُبُّكَ صَادِقاً لَأَطَعْتَهُ ... إنَّ المُحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطيعُ

وعلامات محبته ﷺ تظهر في الاقتداء به ﷺ، واتباع سنته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه، في الشدة والرخاء، وفي العسر واليسر، ولا شك أن من أحب شيئاً آثَرَهُ، وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه ويكون مدَّعياً[3].

ولا شك أن من علامات محبة الرسول ﷺ النصيحة له؛ لقوله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلنا لِمَنْ؟ قال: «للهِ، ولكتابِهِ، ولرسولِهِ، ولأَئِمَّةِ

---

(١) أخرجه مسلم ٣٤.

(٢) أخرجه البخاري (١٦) ومسلم ٦٧-(٤٣) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ» ٢/٥٤٩، و٢/٥٦٣.

المسلمينَ وعامَّتِهِم»[1]. والنصيحة لرسوله ﷺ هي التصديقُ بنبوَّته، وطاعته فيما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، ومُؤازرته، ونصرته وحمايته حياً وميتاً، وإحياءُ سُنَّتِهِ، والعملُ بها، وتعلُّمها وتعليمها، والذَّبُّ عنها، ونشرها، والتخلق بأخلاقه الكريمة، وآدابه الجميلة[2].

٥- **احترامه وتوقيره ونصرته**، كما قال تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾[الفتح:٩]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الحجرات:١]، ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[النور:٦٣].

واحترام النبي ﷺ وتوقيره بعد موته لازم كحال حياته، وذلك عند ذكر حديثه وسُنَّتِهِ، وسماع اسمه وسيرته، وتعلم سنته، والدعوة إليها، ونصرتها[3].

٦- **الصلاة عليه ﷺ**، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، وقال ﷺ: «مَنْ صلَّى عَلَيَّ صلاةً صلَّى اللهُ عليهِ بها عَشْراً»[4].

وللصلاة على النبي ﷺ مواطن كثيرة، منها: الصلاة عليه ﷺ عند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وبعد إجابة المؤذن، وعند الإقامة، وعند الدعاء، وفي التشهد في الصلاة، وفي صلاة الجنازة، وفي يوم

---

(١) أخرجه مسلم ٥٥.

(٢) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ» ٥٨٢/٢ - ٥٨٤.

(٣) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ» ٢/ ٦١٢،٥٩٥.

(٤) أخرجه مسلم ٣٨٤.

الجمعة، وعند اجتماع القوم قبل تفرقهم[1].

٧- وجوب التحاكم إليه والرضا بحكمه ﷺ: قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[النساء:٥٩]، وقال عَزَّوَجَلَّ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥].

وبعد موته ﷺ يكون التحاكم إلى سنته وشريعته.

٨- إنزاله مكانته ﷺ بلا غُلُوٍّ ولا تقصير، فهو عبد الله ورسوله، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، وهو سيد الأولين والآخِرين، وهو صاحب المقام المحمود والحوض المورود، ولكنه مع ذلك بَشَرٌ لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾[الأنعام:٥٠]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:١٨٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا . قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[الجن:٢١-٢٢].

وقد مات ﷺ كغيره من الأنبياء ولكن دينه باقٍ إلى يوم القيامة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[الزمر:٣٠]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن

---

(١) وقد استوفيت ذِكر الأحاديث الواردة في الصلاة على النبي ﷺ في كتابي: «أحاديث الصلاة على النبي ﷺ».

قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ. كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٤، ٣٥]، وبهذا يُعلم أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده لا شريك له، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وقد حَذَّرَ الله عباده من الغُلُوِّ في الدِّين، والإفراط بالتعظيم بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، ورفع المخلوق عن منزلته التي أنزله الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[النساء: ١٧١].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إيَّاكُم والغُلُوَّ في الدِّينِ، فإنَّما أَهْلَكَ مَن كان قَبلَكم الغُلُوُّ في الدِّينِ»[(١)].

ولهذا حَذَّرَ رسول الله عن إطرائه ورفعه فوق منزلته فقال: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ[(٢)]، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»[(٣)].

وَعَن خَالِدِ بْنِ ذَكْوَانَ عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ

---

(١) أخرجه النسائي ٣٠٥٥، وابن ماجه ٣٠٢٨، وأحمد ٣٤٧/١، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وإسناده صحيح.

(٢) «لا تُطْرُونِي» من الإطراء، وهو الإفراط في المدح ومجاوزة الحد فيه، وقيل هو المدح بالباطل والكذب فيه. «كما أَطْرَتِ النَّصارى ابنَ مريم» أي بدعواهم فيه الألوهية وغير ذلك.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ بُنِيَ عَلَيَّ[1]، فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي، وَجُوَيْرِيَاتٌ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ، يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ، حَتَّى قَالَتْ جَارِيَةٌ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُولِي هَكَذَا وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ»[2]. وفي رواية: «أَمَّا هَذَا فَلَا تَقُولُوهُ، مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ»[3].

وحَذَّرَ ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور؛ لأن عبادة الله عند قبور الصالحين وسيلة إلى عبادتهم؛ ولهذا لمَّا ذكرت أم حبيبة وأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لرسول الله ﷺ كنيسة في الحبشة فيها تصاوير؛ قال: «إنَّ أولئك إذا كان فيهم الرجلُ الصالحُ فماتَ بَنَوا على قبره مسجداً وصَوَّرُوا فيه تلكَ الصُّوَرَ، أُولئِكَ شِرارُ الخَلْقِ عندَ اللهِ يومَ القيامةِ»[4].

ومن حرص النبي ﷺ على أمته أنه عندما نزل به الموت قال: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ والنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أنبيائِهم مَسَاجِدَ». قالت عائشة

---

(١) وكان ذلك في ابتداء الأمر قبل أن يُفرض الحجاب وتثبت الأحكام. «غداة»: صبيحة. «بُنِيَ عَلَيَّ»: البناء على المرأة وبها: عبارة عن الدخول بها. «كمجلسك مني»: كما تجلس أنت الآن قريباً مني، والظاهر أنَّ خالد بن ذكوان كان مُحَرَّماً عليها أو مملوكاً لها. «جُوَيْرِيَات»: جمع جُوَيْرية تصغير جارية وهي البنت الصغيرة. «يَنْدُبْنَ»: من النَّدْب، وهو ذِكر الميت بأحسن أوصافه، وهو مما يهيج الشوق إليه والبكاء. «لا تقولي هكذا» أي: لا تقولي إني أعلم ما في غد، لأن هذا مما لا يعلمه إلا الله عَزَّ وَجَلَّ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٠١).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٨٩٧) بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه البخاري ٣٨٧٣، ومسلم، ٥٢٨.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يُحَذِّرُ ما صَنَعُوا[1].

وقال قبل أن يموت بخمس: «أَلَا وإنَّ مَن كان قَبلَكم كانوا يَتَّخِذونَ قبورَ أنبيائهم وصالِحِيهِم مساجدَ، أَلَا فلا تتخذوا القبورَ مساجدَ، فإني أَنهاكم عن ذلك»[2].

وحَذَّرَ ﷺ أمته عن اتخاذ قبره وَثَناً يُعبد من دون الله، ومن باب أولى غيره من الخلق، فقال: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا[يُعْبَدُ]، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[3].

ولم يترك ﷺ باباً من أبواب الشرك التي تُوصل إليه إلا سَدَّهُ. وإذا كان قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيداً، فغيره أولى بالنهي كائناً من كان[4].

وقد كان ﷺ يُطَهِّرُ الأرضَ من وسائل الشرك، فيبعث بعض أصحابه إلى هدم القِباب المُشْرِفة على القبور، وطمس الصُّوَر، فعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥، ٤٣٦) ومسلم (٥٣١).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٢).

(٣) أخرجه أحمد (٧٣٥٢) والحميدي (١٠٢٥) وابن سعد (٢/٣٦٢) وأبو يعلى (٦٦٨١) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/٣١٧) من حديث أبي هريرة بإسناد حسن. والزيادة ما بين المعقوفين عند مالك في الموطأ (٥٩٣) بإسناد مرسل، وعند ابن أبي شيبة (٧٦١٨): «وَثَناً يُصَلَّى لَهُ»، وهو أيضاً مرسل ولكن معناهما صحيح. وانظر كتابي: «جامع أحاديث الجنائز» تحريم اتخاذ القبور مساجد: الحديث رقم(٥٣٨) وما قبله وما بعده.

(٤) انظر: «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» ٦/١٦٥-١٧٤.

رسول الله ﷺ؟ «أن لَا تَدَعَ تِمثالاً إلَّا طَمَسْتَهُ، ولَا قَبراً مُشْرِفاً إلَّا سَوَّيْتَهُ»(١).

وكما سَدَّ ﷺ كل باب يوصل إلى الشرك فقد حَمَى التوحيد عما يقرب منه ويخالطه من الشرك وأسبابه، فقال ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى»(٢).

فدخل في هذا النهي شدُّ الرحال لزيارة القبور والمَشاهد، وهو الذي فهمه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من قول النبي ﷺ؛ ولهذا عندما ذهب أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الطور، فلقيه بصرة بن أبي بصرة الغفاري، فقال: من أين جِئتَ؟ قال: من الطور. فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت إليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ(٣) إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِلَى مَسْجِدِي هَذَا، وَإِلَى مَسْجِدِ إِيلِيَاءَ -أَوْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»(٤).

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق الأئمة على أنه لو نذر أن يسافر إلى قبره ﷺ أو غيره من الأنبياء والصالحين لم يكن عليه أن يوفي بنذره، بل يُنهى عن ذلك»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٩)، وقد خرَّجته بالتفصيل في «جامع أحاديث الجنائز» حديث رقم (٥٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (١١٨٩) ومسلم (٥١١).

(٣) «المَطِيُّ»: جَمْعُ مَطِيَّةٍ، وَهِيَ الناقةُ الَّتِي يُرْكَبُ مَطَاها: أَيْ ظَهْرُها. وَيُقَالُ: يَمْطِي بِهَا فِي السَّير: أَيْ يَمُدُّ. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣٤٠/٤).

(٤) أخرجه النسائي (١١٤/٣) برقم (١٤٢٨)، ومالك في الموطأ (١٠٩/١)، وأحمد في المسند (٧/٦، ٣٩٧)، وابن حبان في الصحيح (٢٧٧٢) بإسناد صحيح.

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٣٤/١).

عموم رسالته ﷺ وختمها لجميع النبوَّات والرسالات:

إنَّ أصل الأصول هو تحقيق الإيمان بما جاء به محمد ﷺ، وأنه رسول الله إلى جميع الخلق: إنسِهم وجِنِّهم، عَرَبِهم وعَجَمِهم، كتابِيِّهم ومَجوسِيِّهم، رئيسِهم ومَرؤوسِهم، وأنه لا طريق إلى الله عَزَّوَجَلَّ لأحد من الخلق إلا بمتابعته ﷺ باطناً وظاهراً، حتى لو أدركه موسى وعيسى، وغيرهم من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام؛ لوجب عليهم اتباعه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ . فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[آل عمران:٨١- ٨٢].

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا:

«ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بُعِثَ محمد وهو حيٌّ ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بُعِثَ محمد وهم أحياء ليؤمنن به، ولينصرنه»[1]؛ ولهذا جاء في الحديث: «لو كانَ

---

(١) أسنده ابن جرير في التفسير (٥٥٦/٦) (٧٣٣٤) ويروى بنحوه عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وانظر:

«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لابن تيمية ص٧٧، ١٩١-٢٠٠، وفتاوى ابن تيمية، ٩/١٩-٦٥، بعنوان: «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة للثقلين»، و«الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح» ٣١/١-١٧٦، وتفسير ابن كثير ٣٧٨/١، و«أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» ٣٣٤/٢.

موسى حَيًّا بين أَظْهُرِكُم ما حَلَّ له إلَّا أن يَتَّبِعَنِي»[1].

ومَن خالف عموم رسالة النبي ﷺ لا يخلو من أحد أمرين:

١ - إما أن يكون المخالِفُ مؤمناً بأنه مرسل من عند الله؛ ولكنه يقول رسالته خاصة بالعرب.

٢ - وإما أن يكون المخالف منكراً للرسالة جملةً وتفصيلاً.

فأما المعترف له بالرسالة؛ ولكنه يجعلها خاصة بالعرب فإنه يلزمه أن يصدقه في كل ما جاء به عن الله تعالى، ومن ذلك عموم رسالته، ونسخها للشرائع قبلها، فقد بيَّن ﷺ أنه رسول الله إلى الناس أجمعين، وأرسل رسله، وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي، وسائر ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، ثم قاتل من لم يدخل في الإسلام من المشركين، وقاتل أهل الكتاب، وسبى ذراريهم، وضرب الجزية عليهم، وذلك كله بعد امتناعهم عن الدخول في الإسلام. أما كونه يؤمن برسول ولا يصدِّقه في جميع ما جاء به فهذا تناقض ومكابرة.

---

(١) أخرجه أحمد ١٤٦٣١ وابن أبي شيبة في «المصنف» ٢٦٤٢٤ والدارمي ٤٣٥ والبزار (كشف الأستار عن زوائد البزار ١٢٤) وأبو يعلى ٢١٣٥ والبيهقي في «السنن الكبرى» ٢/١٠-١١ وفي «شعب الإيمان» ١٧٥و١٧٦ وهو حديث حسن بشواهده.

وفيه قصة، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَغَضِبَ وَقَالَ: «أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي».

وأما المُنكِر لرسالة نبينا محمد ﷺ مطلقاً، فقد قام البرهان القاطع على صدق صاحب الرسالة ﷺ، ولا تزال معجزات القرآن تتحدى الإنس والجن، فإمَّا أن يأتي بما يُناقض المعجزة القائمة وإلا لزمه الاعتراف بمدلولها، فإن اعترف بالرسالة لزمه التصديق بكل ما أخبر به الرسول ﷺ، وإن ذهب يُكابر ويُعاند ليأتي بقرآن مثل ما جاء به محمد ﷺ؛ وقع في العجز وفضح نفسه لا محالة؛ لأن أصحاب الفصاحة والبلاغة قد عجزوا عن ذلك، ولا شك أن غيرهم أعجز عن هذا؛ لأن القرآن معجزة قائمة مستمرة خالدة[1]، وحينئذ يَلزم جميعَ الخلق العملُ بما فيه، والتحاكمُ إليه.

وقد صرح القرآن الكريم بأن محمداً ﷺ رسول إلى جميع الناس، وخاتم النبيين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف:١٥٨]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان:١]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾[الأنعام:١٩]، وهذا تصريح بعموم رسالته لكل مَن بَلَغَهُ القرآن.

وصرح تعالى بشمول رسالة النبي ﷺ لأهل الكتاب، فقال: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ

---

(١) انظر: «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح» لابن تيمية ١/١٤٤، ١٦٦، و«الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد» للشيخ صالح بن فوزان ٢/١٨٢.

فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٢٠]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[سبأ:٢٨].

وبَلَّغَ رسولُ ﷺ الناسَ جميعاً أنه خاتم الأنبياء، وأن رسالته عامَّة، قال ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْساً لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِن الأنبياءِ قَبْلي»، وذكر منها: «وكانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إلى قَومِهِ خاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى الناسِ كافَّةً»[1].

وقال ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي؛ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ »[2].

وعموم رسالته ﷺ لجميع الإنس والجن في كل زمان ومكان من بعثته إلى يوم القيامة، وكونها خاتمة الرسالات؛ يقضي ويدل دلالة قاطعة على أن النبوة قد انقطعت بانقطاع الوحي بعده، وأنه لا مصدر للتشريع والتعبد إلا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وهذا يقتضي وجوب الإيمان بعموم رسالته، واتباع ما جاء به، فقد قال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ؛ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ »[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٨) ومسلم (٥٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٣٥) ومسلم (٢٢٨٦).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، برقم ١٥٣.

وبهذا تقوم الحجة وتثبت رسالة النبي محمد ﷺ وعمومها وشمولها لجميع الثقلين: الإنس والجن، في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[الأنعام:١٠٤]، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف:٢٩].

أنواع التوحيد

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

وهذا التقسيم دلت عليه نصوص شرعية من القرءان والسنة، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دَلَّ استقراء القرآن العظيم على أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول: توحيده في ربوبيته، وهذا النوع جبلت عليه فِطَرُ العقلاء. الثاني: توحيده جل وعلا في عبادته، وضابط هذا النوع من التوحيد هو: تحقيق معنى لا إله إلا الله، وهي متركبة من نفي وإثبات. الثالث: توحيده جل وعلا في أسمائه وصفاته»[١].

وهذا التقسيم موجود في كلام بعض المتقدمين من الأئمة كما سيأتي.

والعلاقة بين هذه الأقسام الثلاثة علاقة تضمنية والتزامية، فتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد

---

(١) «أضواء البيان» للشنقيطي ٣/ ٤١٠-٤١١.

الألوهية، وتوحيد الربوبية يتضمن توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الأسماء والصفات يستلزم توحيد الربوبية. ويزداد الأمر وضوحاً بعد بيان الأقسام الثلاثة وتفصيلها.

وقبل التفصيل فهذا بيان مختصر لمعنى أنواع التوحيد الثلاثة: فتوحيد الربوبية: هو إفراد الله بأنه هو الخالق وحده، وهو الرزاق، وهو المحيي وهو المميت، وغير ذلك. وتوحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة، فلا يُعبد إلا الله سبحانه وتعالى. وتوحيد الأسماء والصفات: هو إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله محمد ﷺ من الأسماء والصفات، من غير تحريف أو تعطيل أو تمثيل، أو تكييف. وكذلك نفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله محمد ﷺ.

وقد اجتمعت هذه الأقسام الثلاثة في آية واحدة من كتاب الله تعالى؛ في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم: ٦٦].

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضحاً ذلك: «فقوله: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا توحيد الربوبية. وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ هذا توحيد الألوهية. وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ هذا توحيد الأسماء والصفات؛ أي: لا تعلم له سمياً؛ أي: مسامياً يضاهيه ويماثله عَزَّوَجَلَّ»(١).

قال الإمام ابن أبي العزِّ الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه على العقيدة الطحاوية: «التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع: أحدها: الكلام في الصفات.

---

(١) «الجواب المفيد في بيان أقسام التوحيد» لابن عثيمين ص٩.

والثاني: توحيد الربوبية وبيان أن الله وحده خالق كل شيء والثالث: توحيد الألوهية، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يُعبد وحده لا شريك له»[1].

وتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام موجود في كلام بعض الأئمة المتقدمين، منهم الإمام الطبري، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[آل عمران:٨٣]، قال: «وله أَسلَمَ مَن في السماوات والأرض، يقول: وله خشع من في السموات والأرض، فخضع له بالعبودية، وأَقَرَّ له بإفراد الربوبية، وانقاد له بإخلاص التوحيد والألوهية»[2].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء:٣٦]: «يعني بذلك جَلَّ ثناؤه: وذلُّوا لله بالطاعة واخضعوا له بها، وأفرِدُوه بالربوبية، وأخلصوا له الخضوع والذِّلة بالانتهاء إلى أمره والانزجار عن نهيه، ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شريكاً تعظِّمونه تعظيمَكم إياه»[3].

توحيد الربوبية:

تعريف توحيد الربوبية:

الرب له أربعة معانٍ: هو الإله، والسَّيِّد، والمالك، والمُصلح[4]، وكل هذه المعاني موجودة في قوله تعالى: ﴿رَبِّ العَالَمِيْنَ﴾[الفاتحة:٢]،

---

(١) شرح ابن أبي العز للعقيدة الطحاوية (٧٨).

(٢) جامع البيان (٥٦٤/٦).

(٣) جامع البيان (٣٣٣/٨).

(٤) وانظر: «الصحاح» للجوهري ١٣٠/١، و«القاموس المحيط» للفيروز آبادي ص١١١.

ومعنى (العالَمِين): كل موجود سوى الله عَزَّوَجَلَّ.

وتوحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله عَزَّوَجَلَّ هو خالق كل شيء وبيده الرزق، والإحياء، والإماتة، وإنزال الغيث، وتدبير وتصريف أمور جميع الخلق. ويسمى أيضاً: توحيد المعرفة والإثبات.

وهذا النوع من التوحيد قد أقر به الكفار على عهد النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون:٧٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٤).

يعترفون بأن هذه الأشياء خلقها الله ولكنهم لم يعبدوه وحده تعالى، فكانوا يعبدون أوثاناً ويقولون تقرِّبنا إلى الله زُلفَى، فلم ينفعهم الإقرار بالربوبية عندما لم يوحدوا توحيد الألوهية، فلم يفردوا الله بالعبادة وأشركوا غيره بالعبادة، فحكم الله عليهم بالكفر ودمغهم بالشرك؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُون﴾[يوسف:١٠٦]. والملاحظ أن الله عَزَّوَجَلَّ نسب إليهم في هذه الآية إيماناً مع حكمه عليهم بالشرك، وهذا الإيمان الذي أثبته لهم هو قولهم: إن الله خلقنا، ويرزقنا، ويميتنا، فهذا إيمانهم، مع إشراكهم في عبادتهم غيره[١].

وهذا التوحيد أنكره فرعون ظاهراً وأقر به باطناً، كما حكى الله عنه وعن قومه فقال: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُم﴾[النمل: ١٤].

---

(١) وانظر: «الدين الخالص» لصديق حسن خان ٢٠٩/١، و«توحيد الربوبية» لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص١٢).

والآيات الدالة على ربوبية الله تعالى كثيرة في القرآن الكريم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤]، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات: ٥٨].

توحيد الألوهية:

تعريف توحيد الألوهية:

معنى كلمة (إِلَه): مِنْ أَلَهَ إِلَاهَةً وأُلُوْهَةً وأُلُوْهِيَّةً: عَبَدَ عِبادَةً. وَتَأَلَّهَ: تَعَبَّدَ، وَالْإِلَهُ: الْمَعْبُودُ(١).

وتوحيد الألوهية: هو إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، قولاً وعملاً، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله عَزَّوَجَلَّ كائناً مَن كان(٢). ويسمى أيضاً: توحيد العبادة، وتوحيد القصد والطلب.

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري ٢٢٢٣/٦، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ص١٦٠٣، و«المصباح المنير» (١٩/١).

(٢) «أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة» للشيخ حافظ الحكمي ص٥١. و«انظر المجموع الثمين» للشيخ ابن عثيمين ١١/٢.

منزلة توحيد الألوهية بين أنواع التوحيد:

هذا التوحيد هو أول دعوة الرسل عليهم السلام؛ وهو متضمن لتوحيد الربوبية، فمن أجله أرسل الله الرسل؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦].

وبهذا التوحيد أنزل الله الكتب؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥].

وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحِّدين والمشركين، وعليه يقع الثواب أو العقاب في الدارين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالتوحيد ضد الشرك، فإذا قام العبد بالتوحيد الذي هو حق الله، فَعَبَدَهُ لا يشرك به شيئاً؛ كان موحِّداً»[(١)].

وهذا التوحيد هو الذي أُمِرَ رسولُ الله ﷺ أن يقاتِلَ الكفارَ عليه؛ قال رسول ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»[(٢)].

و«لا إله إلا الله» هي معنى توحيد الألوهية، كما سيأتي.

والأدلة الشرعية على توحيد الألوهية من القرءان والسنة كثيرة، فمن القرءان قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء: ٣٦]،

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٥٢/١-٥٣) و(١٤٥/١) و«مدارج السالكين» لابن القيم ٤٤٣/٣ و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز ٢١/١ و«المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين» ١١/٢-١٢.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم ٣٦-(٢٢).

وقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[الإسراء:٢٣]، وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[البينة:٥]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ومن السُّنَّة حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ»[(١)].

ولا يدخل في الإسلام من لم يأت بتوحيد الألوهية، ولو كان آخذاً بالنوعين الآخرين؛ فلو أن رجلاً من الناس يؤمن بأن الله سبحانه هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور، وأنه سبحانه المستحق لما يستحقه من الأسماء والصفات؛ لكن يعبد مع الله غيره، لم ينفعه إقراره بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، وكذا لو صرف شيئاً من العبادة لغير الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[المائدة: ٧٢][(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٦٧) ومسلم ٤٨-(٣٠).

(٢) انظر: «المجموع الثمين» للشيخ ابن عثيمين ١٢/٢.

العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية:

والعلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية هي علاقة الاستلزام والتضمن بين نوعي التوحيد هذين، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والإلهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها؛ هي العبادة والتأْلِيْهُ، ومن لوازمها توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون، فاحتج الله عليهم به؛ فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية»[1].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جلَّ وعَلَا على وجوب توحيد في عبادته، ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقروا بربوبيته احتج بها عليهم على أنه هو المستحق لأن يُعبد وحده، ووبَّخهم منكراً عليهم شركهم به غيره، مع اعترافهم بأنه هو الرب وحده، لأن مَن اعترف بأنه هو الرب وحده لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يعبد وحده.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ إلى قوله: ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾، فلما أقروا بربوبيته وبَّخَهم منكراً عليهم شركهم به غيره؛ بقوله: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[يونس:٣١].

ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، فلما اعترفوا وبَّخَهم منكراً عليهم شركهم؛ بقوله: ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[المؤمنون:٨٤،٨٥]، ثم قال: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ

(١) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» لابن القيم ١٥٣/٢.

السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، فلما أقروا وبَّخهم منكراً عليهم شركهم؛ بقوله: ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[المؤمنون:٨٦،٨٧]، ثم قال: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، فلما أقروا وبَّخهم منكراً عليهم شركهم؛ بقوله: ﴿قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾[المؤمنون: ٨٨،٨٩].

ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾، فلما صح الاعتراف وبخهم منكراً عليهم شركهم؛ بقوله: ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾[الرعد: ١٦].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، فلما صح إقرارهم وبخهم منكراً عليهم؛ بقوله: ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[الزخرف: ٨٧].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، فلما صح اعترافهم وبخهم منكراً شركهم؛ بقوله: ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[العنكبوت:٦١] وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، فلما صح إقرارهم وبخهم منكراً عليهم شركهم؛ بقوله: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[العنكبوت:٦٣].

إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«والآيات بنحو هذا كثيرة جداً، ولأجل ذلك ذكرنا في غير هذا الموضع أن كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير، يراد منها أنهم إذا أقروا رَتَّبَ لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار، لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة، نحو قوله تعالى:

﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾[إبراهيم:١٠]، وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ [الأنعام:١٦٤]، وإن زعم بعض العلماء أن هذا استفهام إنكار، لأن استقراء القرآن دل على أن الاستفهام المتعلق بالربوبية استفهام تقرير وليس استفهام إنكار، لأنهم لا ينكرون الربوبية، كما رأيت كثرة الآيات الدالة عليه»[1].

فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ فمن أقر بالأول لزمه الثاني؛ أي: من عرف أن الله ربه وخالقه ومدبر أموره؛ -وقد دعاه هذا الخالق إلى عبادته- وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك له؛ فإذا كان هو الخالق الرازق النافع الضار وحده؛ لَزِمَ إفراده بالعبادة.

وكما أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ فإن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية؛ يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ عن توحيد الألوهية: «وهو متضمِّن لتوحيد الربوبية؛ لأن كل من عَبَدَ اللهَ وحده؛ فإنه لن يعبده حتى يكون مُقِرًّا له بالربوبية»[2].

فتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية؛ أي يدخل ضمناً فيه؛ فمن عَبَدَ اللهَ وحده لا شريك له، فلا بد أن يكون معتقداً أنه ربه وخالقه ورازقه؛ إذ لا يعبد إلا من بيده النفع والضر، وله الخلق والأمر[3].

---

(١) أضواء البيان (٣/١٩-٢١).

(٢) «المجموع الثمين» لابن عثيمين ص٢٢.

(٣) انظر: «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد» للشيخ الفوزان ص٣٤-٣٥، و«توحيد الألوهية» للشيخ الحمد ص٦١.

الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية:

أعظم الغلط إنما حصل من جهة الانحراف في فهم مدلول كل من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ فليس أحدهما هو الآخر، والفروق بينهما كثيرة، منها:

١- فرق في الاشتقاق اللغوي؛ فالربوبية مشتق من اسم «الرب»، والألوهية مشتق من لفظ «الإله».

٢- فرق في التعريف؛ فتوحيد الربوبية: إفراد الله بأفعاله؛ من خَلْق، ورِزق، وإحياء، وإماتة، وإعطاء، ومنع، وضر، ونفع، وهكذا. وتوحيد الألوهية: إفراد الله بأفعال عباده؛ من صلاة وزكاة وصيام وخشية ورجاء ومحبة وخوف وتوكل، إلى آخره.

٣- فرق في الكفاية؛ فتوحيد الربوبية لا يكفي وحده في دخول الإسلام، أما توحيد الألوهية فيدخل فيه توحيد الربوبية؛ لأن من أَتى بتوحيد الألوهية فقد أَتى ضمناً بتوحيد الربوبية، لذلك فمن حَقَّقَ «لا إله إلا الله»، فقد أتى بجميع أنواع التوحيد.

٤- فرق في الإقرار؛ فتوحيد الربوبية أقر به المشركون، وتوحيد الألوهية رفضه المشركون ولم يؤمنوا به، وعبدوا آلهة أخرى، وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر:٣]، ولما طلب منهم أن يعبدوا الله وحده قالوا ما حكاه الله عنهم: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص: ٥].

٥- فرق في اللزوم والتضمن؛ فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ فمن أتى بتوحيد الربوبية لزمه أن يأتي بتوحيد الألوهية. أما توحيد الألوهية فإنه متضمن لتوحيد الربوبية؛ فمن جاء بتوحيد

الألوهية، فقد أتى ضمناً بتوحيد الربوبية.

وهذه الفروق مع غيرها من فروق؛ تَرُدُّ على من زعم أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل هو توحيد الربوبية، ولا يفرق بين هذا التوحيد وتوحيد الألوهية(١).

معنى العبادة وأنواعها:

العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [الجن:١٨].

فمن صرف شيئاً من تلك العبادات لغير الله فهو مشرك كافر.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[المؤمنون:١١٧] وفي الحديث: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ»(٢).

---

(١) انظر: «المفيد في مهمات التوحيد» للدكتور عبد القادر بن محمد عطا (ص٦٣).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٢٩٦٩و٣٢٤٧و٣٣٧٢) والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٦٤) وابن ماجه (٣٨٢٨) وأحمد (٢٦٧/٤و٢٧١و٢٧٦) والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٤) وابن حبان (٨٩٠) والحاكم (٤٩٠/١-٤٩١) من حديث =

والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠].

ودليل الخوف قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٧٥].

ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[الكهف:١١٠].

ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[المائدة:٢٣]. وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق:٣].

ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء:٩٠].

ودليل الخشية قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾[البقرة:٥٠].

ودليل الإنابة قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[الزمر:٥٤].

= النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعاً به. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح» وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»، وهو كذلك.

وأما الرواية التي بلفظ: «الدعاء مخ العبادة» فهي ضعيفة، أخرجها الترمذي (٣٣٧١) من حديث أنس، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة». قلت: هو عبد الله بن لهيعة، ضعيف.

ودليل الاستعانة قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]. وفي الحديث: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ باللَّهِ»(١).

ودليل الاستعاذة قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[الفلق:١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[الناس:١].

ودليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[الأنفال:٩].

ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣].

ومن السُّنَّة: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»(٢).

ودليل النذر قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾[الإنسان:٧](٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (١/٢٩٣و٣٠٣و٣٠٧) وابن السني (٤٢٧) وابن منده في «التوحيد» (٢٥١) من طريق قيس بن الحجاج، عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: كُنْتُ خَلْفَ (وفي رواية: رَدِيْفَ) النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْماً، فقال: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح» وهو كذلك.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٣) وانظر: «ثلاثة الأصول» ضمن مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ص١٨٨-١٨٩.

توحيد الأسماء والصفات:

قام مُعْتَقَدُ أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله وصفاته على ثلاثة أسس رئيسية، هي[(١)]:

الأساس الأول: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتًا ونفيًا.

الأساس الثاني: تنزيه الله عَزَّوَجَلَّ عن أن يُماثل شيءٌ من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

الأساس الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بتلك الصفات.

وهذه الأسس الثلاثة هي التي تفضِّل وتميِّز عقيدة أهل السنة في هذا الباب عن عقيدة أهل التعطيل (من الفلاسفة وأهل الكلام) من جهة؛ وعن عقيدة أهل التمثيل (من الكرامية والهشامية وغيرهم) من جهة أخرى.

فالأساس الأول: فيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المعطِّلة، فأهل السنة يجعلون الأصل في إثبات الأسماء والصفات أو نفيها عن الله تعالى هو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولا يتجاوزونهما، فما ورد إثباته من الأسماء والصفات في القرآن والسنة الصحيحة فيجب إثباته، وما ورد نفيه فيهما فيجب نفيه.

وأما ما لم يرِد إثباته ونفيه فلا يصح استعماله في باب الأسماء وباب الصفات إطلاقًا، وأما في باب الإخبار فمن السلف من يمنع ذلك، ومنهم

---

(١) وانظر: «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات» للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص ٢٥.

من يجيزه بشرط أن يستفصل عن مراد المتكلم فيه، فإن أراد به حقًّا يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أراد به معنى لا يليق بالله عَزَّوَجَلَّ وجب رده[(١)].

ومجمل القول إن في الأمر ثلاثة أبواب:

١- باب الأسماء: وهذا يجب الاعتماد فيه على الكتاب والسنة فقط.

٢- باب الصفات: وهذا كذلك يجب الاعتماد فيه على الكتاب والسنة فقط.

٣- باب الإخبار: وهذا لا يشترط فيه ورود النص الشرعي، ولكن يشترط أن يكون معنى اللفظ المستعمل ليس بسَيِّءٍ[(٢)].

أسماء اللَّه تعالى توقيفية:

أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[الإسراء:٣٦]. وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣]؛ ولأن تسميته تعالى بما لم يُسَمِّ به نفسه، أو

---

(١) «رسالة في العقل والروح» ٤٦/٢-٤٧ لابن تيمية (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية).

(٢) «معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات» لمحمد بن خليفة بن علي التميمي ص ٧١- ٧٢.

إنكار ما سَمَّى به نفسه؛ جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار على ما جاء به النص[1].

أركان الإيمان بالأسماء الحُسنى:

١ - الإيمان بالاسم.

٢ - الإيمان بما دل عليه الاسم من المعنى.

٣ - الإيمان بما يتعلق به من الآثار.

فنؤمن بأن اللهَ رحيمٌ ذو رحمة وَسِعَتْ كل شيء، ويرحم عباده. قدير ذو قدرة، ويقدر على كل شيءٍ. غفور ذو مغفرة ويغفر لعباده[2].

دلالة الأسماء الحُسنى ثلاثة أنواع:

أسماء الله كلها حُسنى، وكلها تدل على الكمال المطلق والحمد المطلق، وكلها مشتقة من أوصافها، فالوصف فيها لا ينافي العَلَمِيَّة، والعَلَمِيَّة لا تنافي الوصف، ودلالتها ثلاثة أنواع:

دلالة مطابَقَة: إذا فسَّرنا الاسم بجميع مدلوله.

ودلالة تَضَمُّن: إذا فسرناه ببعض مدلوله.

ودلالة التزام: إذا استدللنا به على غيره من الأسماء التي يتوقف هذا الاسم عليها.

فمثلاً «الرحمن» دلالته على الرحمة والذات دلالة مطابَقة. وعلى أحدهما دلالة تضمُّن؛ لأنها داخلة في الضِّمن، ودلالته على الأسماء التي

(١) «القواعد المُثلَى في صفات الله وأسمائه الحُسنَى» للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص١٣، وانظر: «بدائع الفوائد» لابن القيم ١٦٢/١.

(٢) «مختصر الأجوبة الأصولية شرح العقيدة الواسطية» لعبد العزيز السلمان، ص٢٧.

لا توجد الرحمة إلا بثبوتها كالحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة، ونحوها؛ دلالة التزام، وهذه الأخيرة تحتاج إلى قوة فِكر وتأمُّل، ويتفاوت فيها أهل العلم، فالطريق إلى معرفتها أنك إذا فهمت اللفظ وما يدل عليه من المعنى وفهمته فهماً جيداً، فَفَكِّر فيما يتوقف عليه ولا يتم بدونه. وهذه القاعدة تنفعك في جميع النصوص الشرعية، فدلالاتها الثلاث كلها حجة لأنها معصومة محكمة(١).

النهي عن الإلحاد في أسماء اللَّه تعالى:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:١٨٠].

وحقيقة الإلحاد فيها هو الميل بها عن الاستقامة: إما بإثبات المشاركة فيها لأحدٍ من الخلق، كإلحاد المشركين الذين اشتقوا لآلهتهم من صفات الله ما لا يصلح إلا لله، كتسميتهم اللَّات من الإله، والعُزَّى من العزيز، ومَنَاة من المنَّان، وكل مشرك تعلق بمخلوق اشتق لمعبوده من خصائص الربوبية والإلهية ما بَرَّرَ له عبادته. وأعظم الخلق إلحاداً طائفة الاتحادية الذين من قولهم: إن الرب عين المربوب، فكل اسم ممدوح أو مذموم يطلق على الله عندهم، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وإما أن يكون الإلحاد بنفي صفات الله وإثبات أسماء لا حقيقة لها، كما فعل الجهمية ومن تفرع عنهم، وإما بجحدها وإنكارها رأساً إنكاراً

---

(١) «توضيح الكافية الشافية» للشيخ عبد الرحمن السعدي ص٢٠٧-٢٠٨.

لوجود الله، كما فعل زنادقة الفلاسفة، فهؤلاء الملحدون قد انحرفوا عن الصراط المستقيم ويَمَّمُوا طرق الجحيم(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، وهو مأخوذ من الميل كما تدل عليه مادته (ل ح د)، فمنه اللحد وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه الْمُلحِد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل. قال ابن السِّكِّيت: الملحد المائل عن الحق المُدخِل فيه ما ليس منه. ومنه الملتحد وهو مفتعل من ذلك. وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[الكهف:٢٧] أي من تعدل إليه وتهرب إليه وتلتجئ إليه وتبتهل إليه فتميل إليه عن غيره. تقول العرب: التَحَدَ فلان إلى فلان إذا عدل إليه.

إذا عُرِفَ هذا فالإلحاد في أسمائه تعالى أنواع:

أحدها: أن تُسَمَّى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإله، والعُزَّى من العزيز. وتسميتهم الصنم إلهاً، وهذا إلحاد حقيقة؛ فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أباً، وتسمية الفلاسفة له موجباً بذاته، أو عِلَّة فاعلة بالطبع، ونحو ذلك.

ثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول أخبث اليهود: إنه فقير. وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه. وقولهم:

---

(١) «توضيح الكافية الشافية» للشيخ عبد الرحمن السعدي ص ٢٠٩.

﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾[المائدة:٦٤]، وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع، والبصير، والحي، والرحيم، والمتكلم، والمريد، ويقولون: لا حياة له، ولا سمع له، ولا بصر له، ولا كلام، ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً، وشرعاً، ولغةً، وفطرةً، وهو يقابل إلحاد المشركين؛ فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه، ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد، فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب. وكل من جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك فليستقلّ أو لِيستكثر.

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه، تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيراً. فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فَجَمَعَهُم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه، وبَرَّأَ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته، ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظاً ولا معنىً؛ بل أثبتوا له الأسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريئاً من التشبيه، وتنزيههم خالياً من التعطيل، لا كَمَنْ شَبَّهَ حتى كأنه يعبد صَنَماً، أو عَطَّلَ حتى كأنه لا يعبد إلا عَدَماً.

وأهل السنة وَسَطٌ في النِّحَل، كما أن أهل الإسلام وَسَطٌ في المِلَل، توقد مصابيح معارفهم من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يُضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء. فنسأل الله تعالى أن يَهدِيَنا لنوره، ويُسَهِّلَ لنا السبيل إلى الوصول إلى مرضاته ومتابعة رسوله، إنه قريب مجيب[١].

أسماء اللَّه كلها حُسنى:

أسماء الله كلها حسنى، ليس فيها اسم غير ذلك أصلاً، وقد تقدم أن من أسمائه ما يطلق عليه باعتبار الفعل نحو الخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، وهذا يدل على أن أفعاله كلها خيرات محض لا شر فيها، لأنه لو فعل الشر لاشتقَّ له منه اسم، ولم تكن أسماؤه كلها حُسنى، وهذا باطل، فالشر ليس إليه، فكما لا يدخل في صفاته ولا يلحق ذاته، ولا يدخل في أفعاله، فالشر ليس إليه، لا يُضاف إليه فعلاً ولا وصفاً، وإنما يدخل في مفعولاته. وفرق بين الفعل والمفعول، فالشر قائم بمفعوله المباين له، لا بفعله الذي هو فعله، فتأملْ هذا فإنه خَفِيَ على كثير من المتكلمين، وزلَّت فيه أقدامٌ، وضلَّت فيه أفهامٌ، وهدى الله أهل الحق لما اختلفوا فيه بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم[٢].

---

(١) انظر: «بدائع الفوائد» لابن القيم ١/١٦٩-١٧٠

(٢) المصدر السابق ١/١٦٣.

أسماء اللَّه تعالى منها ما يطلق عليه مفرداً ومقترناً بغيره ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقروناً بمقابله:

إن أسماءه تعالى منها ما يطلق عليه مفرداً ومقترناً بغيره وهو غالب الأسماء. فالقدير، والسميع، والبصير، والعزيز، والحكيم، وهذا يسوغ أن يُدعَى به مفرداً ومقترناً بغيره، فتقول: يا عزيزُ يا حليمُ، يا غفورُ يا رحيمُ، وأن يفرد كل اسم، وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه بما يسوغ لك الإفراد والجمع.

ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقروناً بمقابله كالمانع، والضار، والمنتقم، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله فإنه مقرون بالمُعطي، والنافع، والعفوّ، فهو المعطي المانع، الضارُّ النافعُ، المنتقمُ العفوّ، المعزّ المذلّ، لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله؛ لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية، وتدبير الخلق، والتصرف فيهم عطاءً، ومنعاً، ونفعاً، وضراً، وعفواً، وانتقاماً. وأما أن يثنى عليه بمجرد المنع، والانتقام، والإضرار؛ فلا يسوغ.

فهذه الأسماء المزدوجة تُجرى الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعدَّدت جارية مجرى الاسم الواحد؛ ولذلك لم تجئ مفردة ولم تطلق عليه إلا مقترنة، فاعلمه، فلو قلتَ: يا مُذِلُّ، يا ضارُّ، يا مانعُ، وأخبرت بذلك لم تكن مثنياً عليه ولا حامداً له حتى تذكر مقابلها[1].

---

(١) «بدائع الفوائد» لابن القيم ١٦٧/١.

من أسماء اللَّه الحسنى ما يكون دالًّا على عدة صفات:

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أسمائه الحسنى ما يكون دالًّا على عدة صفات، ويكون ذلك الاسم متناولاً لجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها... كاسمه العظيم، والمجيد، والصمد، كما قال ابن عباس فيما رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره[(١)]: الصمد السيد الذي قد كَمُلَ في سُؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع شرفه وسؤدده وهو الله سبحانه، وهذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفواً أحد، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار. هذا لفظه. وهذا مما خَفِيَ على كثير ممن تعاطَى الكلام في تفسير الأسماء الحسنى، ففسَّر الاسم بدون معناه، ونقصه من حيث لا يعلم، فمن لم يُحِطْ بهذا علماً بخس الاسم الأعظم حقه وهضمه معناه، فتدبره»[(٢)].

الأسماء الحسنى التي ترجع إليها جميع الأسماء والصفات:

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في تفسير سورة الفاتحة: «اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمَّنتها أكمل تضمُّن، فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحُسْنَى والصفات العُلَى إليها، ومدارها عليها، وهي: اللهُ، والرَّبُّ، والرَّحْمَنُ.

---

(١) ورواه الطبري كذلك في تفسيره (٢٤/٦٩٢) بسنده إلى ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) «بدائع الفوائد» للإمام ابن القيم ١٦٨/١.

وبُنيت السورة على الإلهية، والربوبية، والرحمة، فـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مبني على الإلهية، و﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على الربوبية، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة. والحمد يتضمن الأمور الثلاثة: فهو المحمود في إلهيته، وربوبيته، ورحمته، والثناء والمجد كمالان لجده... وتضمنت -يعني سورة الفاتحة- إثبات النبوَّات من جهات عديدة:

١ - كون الله «رب العالمين». فلا يليق به أن يترك عباده سُدًى هَمَلاً لا يُعرِّفهم ما ينفعهم في معاشهم، ومعادهم، وما يضرهم فيهما، فهذا هَضْمٌ للربوبية، ونسبة الرب تعالى إلى ما لا يليق به، وما قَدَرَهُ حقَّ قَدْرِهِ مَن نَسَبَهُ إليه.

٢ - من اسم «الله» وهو المألوه المعبود ولا سبيل للعباد إلى معرفة عبادته إلا من طريق رسله عليهم الصلاة والسلام.

٣ - من اسمه «الرحمن» فإن رحمته تمنع إهمال عباده، وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية كمالهم. فمن أعطى اسم «الرحمن» حقه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل، وإنزال الكتب، أعظم من تضمنه إنزال الغيث، وإنبات الكلأ، وإخراج الحَبِّ، فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح، لكن المحجوبون إنما أدركوا من هذا الاسم حظَّ البهائم والدواب، وأدرك منه أُولُو الألباب أمراً وراء ذلك»[١].

واشتملت سورة الفاتحة على أنواع التوحيد الثلاثة التي اتفقت عليها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وهي:

---

(١) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» للإمام ابن القيم ٨/١.

١ - التوحيد العِلمِي -سُمِّي بذلك لتعلقه بالأخبار والمعرفة- ويسمَّى أيضاً بـ «توحيد الأسماء والصفات».

٢ - التوحيد القَصْدِي الإرادي -سُمِّيَ بذلك لتعلقه بالقصد والإرادة- وهذا الثاني نوعان: توحيد في الربوبية، وتوحيد في الإلهية فهذه ثلاثة أنواع.

فأما التوحيد العلمي(توحيد الأسماء والصفات) فمداره على إثبات صفات الكمال، وعلى نفي التشبيه والمثال، والتنزيه عن العيوب والنقائص، وقد دل على هذا شيئان:

أ - **مجمل**. ب - **مفصَّل**.

أ - أما المجمل فإثبات الحمد لله سبحانه.

ب - وأما المفصَّل فذكر صفة «الإلهية، والربوبية، والرحمة، والملك»، وعلى هذه الأربعة مدار الأسماء والصفات.

فأما تضمن الحمد لذلك فإن الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله، ونعوت جلاله، مع محبته والرضا عنه، والخضوع له. فلا يكون حامداً من جحد صفات المحمود، ولا من أعرض عن محبته والخضوع له، وكلما كانت صفات المحمود أكثر كان حمده أكمل، وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها.

ولهذا كان الحمد كله لله، حمداً لا يحصيه سواه، لكمال صفاته وكثرتها؛ ولأجل هذا لا يُحصِي أحدٌ من خلقه ثناءً عليه لما له من صفات الكمال ونعوت الجلال التي لا يحصيها سواه، كما قال ﷺ: «اللّٰهُمَّ أَعُوْذُ

بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[1]، فهذه دَلالة على توحيد الأسماء والصفات.

وأما دلالة الأسماء الخمسة عليها -أي على الأسماء والصفات- وهي: «الله، والرب، والرحمن، والرحيم، والملك» فمبني على أصلين:

الأصل الأول:

أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله فهي مشتقة من الصفات، فهي أسماء وهي أوصاف، وبذلك كانت حُسنى؛ إذْ لو كانت ألفاظاً لا معاني فيها لم تكن حُسنى، ولا كانت دالةً على مدح ولا كمال، ولساغ وقوع أسماء الانتقام والغضب في مقام الرحمة والإحسان، وبالعكس فيقال: اللّهم إني ظلمت نفسي فاغفر إنك أنت المنتقم. واللّهم أعطني فإنك أنت الضار المانع، ونحو ذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ونفي معاني الأسماء الحسنى من أعظم الإلحاد فيها، قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]؛ ولأنها لو لم تدل على معانٍ وأوصاف لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها. لكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها وأثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٨]، فعُلِم أن «القَوِيّ» من أسمائه ومعناه الموصوف بالقوة. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[فاطر:١٠]، فالعزيز مَن

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢٢-(٤٨٦).

له العزة، فلولا ثبوت القوة والعزة لم يُسَمَّ قويًّا، ولا عزيزاً، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾[النساء:١٦٦]... وأجمع المسلمون أنه لو حلف بحياة اللّه، أو سمعه، أو بصره، أو قوَّته أو عزَّته، أو عظمته؛ انعقدت يمينه وكانت مكفرة؛ لأن هذه صفات كماله التي اشتُقَّتْ منها أسماؤه.

وأيضاً لو لم تكن أسماؤه مشتملة على معانٍ وصفات لم يسُغ أن يخبر عنه بأفعالها، فلا يقال: يسمع، ويرى، ويعلم، ويقدر، ويريد؛ فإن ثبوت أحكام الصفات فرع ثبوتها، فإذا انتفى أصل الصفة استحال ثبوت حكمها... فنفي معاني أسمائه سبحانه من أعظم الإلحاد فيها، والإلحاد فيها أنواع، هذا أحدها.

الأصل الثاني:

الاسم من أسمائه تبارك وتعالى كما يدلُّ على الذات والصفة التي اشتُقَّ منها بالمطابقة؛ فإنّه يدل عليه دلالتين أُخرَيَيْن بالتضمن واللزوم.

فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة، ويدل على الصفة الأُخرى باللزوم.

فإن اسم «السميع» يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابَقة، وعلى الذات وحدها وعلى السمع وحده بالتضمن، ويدل على اسم «الحي» وصفة الحياة بالالتزام. وكذلك سائر أسمائه وصفاته، ولكن يتفاوت الناس في معرفة اللزوم وعدمه...

إذا تقرر هذان الأصلان؛ فاسم: «اللّه» دالٌّ على جميع الأسماء الحسنى والصفات العُلَى بالدلالات الثلاث: المطابَقة والتضمن واللزوم.

فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له، مع نفي

أضدادها عنه. وصفات الإلهية -يعني أن الله الإله الحق وحده لا شريك له- هي صفات الكمال المنزهة عن التشبيه والتمثيل، وعن العيوب والنقائص، ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله تعالى: ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ويقال: «الرحمن، والرحيم، والقدوس، والسلام، والعزيز، والحكيم» من أسماء الله ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، ولا من أسماء العزيز، ونحو ذلك.

فعُلِمَ أن اسمه «الله» مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دالٌّ عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم «الله». واسم «الله» دالٌّ على كونه مألوهاً معبوداً، تَأَلَّهَهُ الخلائق محبةً، وتعظيماً، خضوعاً وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المُتَضَمِّنَين لكمال الملك والحمد. وإلهيته وربوبيته، ورحمانيته، وملكه، مستلزم لجميع صفات كماله. إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعَّالٍ لما يريد، ولا حكيم في أفعاله.

وصفات الجلال والجمال أخص باسم «الله»، وصفات الفعل، والقدرة، والتفرّد بالضرّ والنفع، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة، وكمال القوة، وتدبير أمر الخليقة؛ أخص باسم «الرب».

وصفات الإحسان، والجود، والبِر، والحنان، والمِنَّة، والرأفة، واللطف؛ أخص باسم الرحمن.

وكُرِّرَ إيذاناً بثبوت الوصف، وحصول أثره، وتعلقه بمتعلقاته. فالرحمن الذي الرحمة وصفه، والرحيم: الراحم لعباده؛ ولهذا يقول

تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب:٤٣]، ولم يجئ رحمان بعباده ولا رحمان بالمؤمنين، مع ما في اسم «الرحمن» الذي هو على وزن فعلان من سعة هذا الوصف، وثبوت جميع معناه الموصوف به... فبناء فعلان للسعة والشمول. ولهذا يقرن استواءه على العرش بهذا الاسم كثيراً كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]؛ لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها، والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف:١٥٦]،وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ عَلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»، وفي لفظ: «فَهُوَ عِنْدَهُ عَلَى العَرْشِ»[(١)].

فتأمل اختصاص هذا الكتاب بذكر الرحمة، ووضعه عنده على العرش، وطابِق بين ذلك وبين قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾[الفرقان:٥٩]؛ ينفتح لك باب عظيم من معرفة الرب تبارك وتعالى إن لم يغلقه عنك التعطيل والتجهيم.

وصفات العدل، والقبض والبسط، والخفض والرفع، والعطاء والمنع، والإعزاز والإذلال، والقهر والحكم، ونحوها أخص باسم «المَلِك» وخصَّه بيوم الدِّين وهو الجزاء بالعدل؛ لتفرده بالحكم فيه وحده؛ ولأنه اليوم الحق، وما قبله كساعة؛ ولأنه الغاية وأيام الدنيا مراحل إليه.

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٩٤ ومسلم ٢٧٥١.

وفي ذكر هذه الأسماء بعد الحمد في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:١-٣]، وإيقاع الحمد على مضمونها ومقتضاها؛ ما يدل على أنه محمود في إلهيته، محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيته، محمود في ملكه، وأنه إله محمود، ورب محمود، وملِك محمود. فله بذلك جميع أقسام الكمال: كمال من هذا الاسم بمفرده، وكمال من الآخر بمفرده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللّٰهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[التغابن:٦]، ﴿وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[النساء:٢٦]، ﴿وَاللّٰهُ قَدِيرٌ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة:٧]، فالغِنَى صفة كمال والحمد صفة كمال، واقتران غناه بحمده كمال أيضاً، وعلمه كمال وحكمته كمال، واقتران العلم بالحكمة كمال أيضاً.

وقدرته كمال ومغفرته كمال، واقتران القدرة بالمغفرة كمال، وكذلك العفو بعد القدرة: ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾[النساء:١٤٩]. واقتران العلم بالحلم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[النساء:١٢]، فما كل من قدر عفا، ولا كل من عفا يعفو عن قدرة، ولا كل من علم يكون حليماً، ولا كل حليم عالم، فما قُرِنَ شيء إلى شيءٍ أزين من حِلم إلى عِلم، ومن عفو إلى قدرة، ومن مُلك إلى حمد، ومن عزة إلى رحمة: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء:١٩١].

وفي هذا أظهر دلالة على أن أسماء الرب تعالى مشتقة من أوصاف ومعانٍ قامت به، وأن كل اسم يناسب ما ذكر معه واقترن به من فعله وأمره، والله الموفق للصواب[١].

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم ٢٤/١- ٣٧.

إذا قال السائل: «اللَّهُمَّ إني أسألك» كأنه قال: أدعو الله الذي له الأسماء الحسنى والصفات العُلَى بأسمائه وصفاته. فأتى بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم، إيذاناً بسؤاله تعالى بأسمائه كلها كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح[1]: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا»، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا».

فالداعي مندوب إلى أن يسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته كما في الاسم الأعظم: «اللّهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنَّان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيوم»[2].

والدعاء ثلاثة أقسام:

١ - أن تسأل الله بأسمائه وصفاته.

---

(١) جزم ابن القيم بصحة هذا الحديث، وقد أخرجه أحمد (٣٩١/١ و٤٥٢) وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٥٣) وأبو يعلى (٥٢٩٧) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٥٢) وابن حبان (٩٧٢) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث حسن ومن صححه فليس ببعيد.

(٢) سيأتي تخريجه في ذكر اسم الله الأعظم، ص ١٠٩.

٢ - أن تسأله بحاجتك وفقرك وذُلِّك فتقول: أنا العبد الفقير المسكين الذليل المستجير، ونحو ذلك.

٣ - أن تسأل حاجتك ولا تذكر واحداً من الأمرين، فالأول أكمل من الثاني، والثاني أكمل من الثالث، فإذا جمع الدعاء الأمور الثلاثة كان أكمل، وهذه عامة أدعية النبي ﷺ.

فالدعاء الذي علَّمه صِدِّيقَ الأمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكر الأقسام الثلاثة:

١ - فإنه قال في أوله: «اللَّهُمَّ إني ظَلَمْتُ نَفْسي ظلماً كثيراً»[١]، وهذا حال السائل.

٢ - ثم قال: «ولا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت»، وهذا حال المسئول.

٣ - ثم قال: «فاغْفِرْ لِي» فذكر حاجته، وختم الدعاء باسْمَين من الأسماء الحسنى تناسب المطلوب وتقتضيه.

ثم قال ابن القيم رحمه الله: وهذا القول الذي اخترناه قد جاء عن غير واحد من السلف. قال الحسن البصري: «اللّهم» مجمع الدعاء، وقال أبو رجاء العطاردي: إن الميم في قوله: «اللّهم» فيها تسعة وتسعون اسماً من أسماء الله تعالى. وقال النضر بن شميل: من قال: «اللّهم» فقد دعا الله بجميع أسمائه[٢].

---

(١) أخرجه البخاري ٨٣٤ ومسلم ٢٧٠٥ من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ».

(٢) انظر: «التفسير القيم» لابن القيم، ص٢١٠-٢١١ و«عقيدة المسلم» لسعيد بن وهف القحطاني.

أسماء اللَّه وصفاته مختصة به واتفاق الأسماء لا يوجب تماثل المسميات:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سَمَّى الله نفسه بأسماء، وسَمَّى صفاته بأسماء، فكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه، لا يشركه فيها غيره، وسمَّى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمَين تماثل مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص، لا اتفاقهما، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص، فضلاً عن أن يتحد مُسَمَّاهما عند الإضافة والتخصيص.

فقد سَمَّى الله نفسه حيًّا، فقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[البقرة:٢٥٥]، وسمَّى بعض عباده حيًّا، فقال: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾[الروم:١٩]، وليس هذا الحيّ مثل هذا الحيّ؛ لأن قوله «الحيّ» اسم الله مختص به، وقوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ اسم للحي المخلوق مختص به، وإنما يتفقان إذا أُطلقا وجُرِّدا عن التخصيص، ولكن ليس للمطلق مسمًّى موجود في الخارج، ولكن العقل يفهم من المطلق قدراً مشتركاً بين المسميين، وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق، والمخلوق عن الخالق.

ولا بُدَّ من هذا في جميع أسماء الله وصفاته، يُفهم منها ما دلَّ عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق، وما دلَّ عليه بالإضافة والاختصاص المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى.

وكذلك سمَّى الله نفسه عليماً حليماً، وسمّى بعض عباده عليماً،

فقال: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾[الذاريات:٢٨]، يعني إسحاق، وسمَّى آخر حليماً، فقال: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[الصافات:١٠١]، يعني إسماعيل، وليس العليم كالعليم، ولا الحليم كالحليم.

وسمَّى نفسه سميعاً بصيراً، فقال: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[النساء:٥٨]، وسمَّى بعض خلقه سميعاً بصيراً فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[الإنسان:٢]، وليس السميع كالسميع، ولا البصير كالبصير.

وسمَّى نفسه بالرءوف الرحيم، فقال: ﴿إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة:١٤٣]، وسمَّى بعض عباده بالرؤوف الرحيم، فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، وليس الرءوف كالرءوف، ولا الرحيم كالرحيم.

وسمَّى نفسه بالملك، فقال: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾[الحشر:٢٣]، وسمَّى بعض عباده بالملك، فقال: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[الكهف:٧٩]، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾[يوسف:٥٠]، وليس الملك كالملك.

وسمَّى نفسه بالمؤمن، فقال: ﴿الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾[الحشر:٢٣]، وسمَّى بعض عباده بالمؤمن، فقال: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾[السجدة:١٨]، وليس المؤمن كالمؤمن.

وسمَّى نفسه بالعزيز، فقال: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر:٢٣]، وسمَّى بعض عباده بالعزيز، فقال: ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١]، وليس العزيز كالعزيز.

وسمَّى نفسه الجبار المتكبر، وسمَّى بعض خلقه بالجبار المتكبر، فقال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[غافر:٣٥]، وليس الجبار كالجبار، ولا المتكبر كالمتكبر.

ونظائر هذا متعددة.

وكذلك سمَّى صفاته بأسماء، وسمَّى صفات عباده بنظير ذلك، فقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاء﴾[البقرة:٢٥٥]، وقال: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾[النساء:١٦٦]، وقال: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٨]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[فصلت:١٥].

وسمَّى صفة المخلوق علماً وقوة، فقال: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾[الإسراء:٨٥]، وقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يوسف:٧٦]، وقال: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾[غافر:٨٣]، وقال: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[الروم:٥٤]، وقال: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾[هود:٥٢]، وقال: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات:٤٧] أي: بقوة، وقال: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ﴾[ص:١٧] أي: ذا القوة، وليس العلم كالعلم، ولا القوة كالقوة.

وكذلك وصف نفسه بالمشيئة، ووصف عبده بالمشيئة، فقال:

﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ. وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[التكوير:٢٨-٢٩]. وقال: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً. وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:٢٩-٣٠].

وكذلك وصف نفسه بالإرادة، ووصف عبده بالإرادة، فقال: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال:٦٧].

ووصف نفسه بالمحبة، ووصف عبده بالمحبة فقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة:٥٤]، وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[آل عمران:٣١].

ووصف نفسه بالرضا، ووصف عبده بالرضا، فقال: ﴿رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[المائدة:١١٩].

ومعلوم أن مشيئة الله ليست مثل مشيئة العبد، ولا إرادته مثل إرادته، ولا محبته مثل محبته، ولا رضاه مثل رضاه.

وكذلك وصف نفسه بأنه يمقت الكفار، ووصفهم بالمقت، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾[غافر:١٠]، وليس المقت مثل المقت.

وهكذا وصف نفسه بالمكر والكيد، كما وصف عبده بذلك، فقال: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ﴾[الأنفال:٣٠]،وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا. وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[الطارق:١٥-١٦]، وليس المكر كالمكر، ولا الكيد كالكيد.

ووصف نفسه بالعمل، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ

أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾[يس:٧١]، ووصف عبده بالعمل، فقال: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[السجدة:١٧]، وليس العمل كالعمل.

ووصف نفسه بالمناداة والمناجاة، في قوله: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[مريم:٥٢]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ [القصص:٦٢]، وقوله: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الأعراف:٢٢]، ووصف عبده بالمناداة والمناجاة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات:٤]، وقال: ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾[المجادلة:١٢]. وقال: ﴿إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[المجادلة:٩]، وليس المناداة كالمناداة، ولا المناجاة كالمناجاة.

ووصف نفسه بالتكليم في قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾[البقرة:٢٥٣]، ووصف عبده بالتكليم في مثل قوله: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ﴾[يوسف:٥٤]، وليس التكليم كالتكليم.

ووصف نفسه بالتنبئة، ووصف بعض الخلق بالتنبئة، فقال: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[التحريم:٣]، وليس الإنباء كالإنباء.

ووصف نفسه بالتعليم، ووصف عبده بالتعليم، فقال: ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الإنسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[الرحمن:١-٤]، وقال:

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ﴾[المائدة:٤]، وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[آل عمران:١٦٤]، وليس التعليم كالتعليم.

وهكذا وصف نفسه بالغضب في قوله: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ [الفتح:٦]، ووصف عبده بالغضب في قوله: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ [الأعراف:١٥٠]، وليس الغضب كالغضب.

ووصف نفسه بأنه استوى على عرشه، فذكر في سبع آيات[١] من كتابه أنه استوى على العرش، ووصف بعض خلقه بالاستواء على غيره، في مثل قوله: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾[الزخرف:١٣]، وقوله: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾[المؤمنون:٢٨]، وقوله: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾[هود:٤٤]، وليس الاستواء كالاستواء.

ووصف نفسه ببسط اليدَين، فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[المائدة:٦٤]، ووصف بعض خلقه ببسط اليد، في قوله: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾[الإسراء:٢٩]، وليس اليد كاليد، ولا البسط كالبسط، وإذا كان المراد بالبسط الإعطاء

---

(١) وهذه الآيات السَّبع هي: ١-﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[الأعراف، الآية:٥٤]. ٢-﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[يونس، الآية:٣]. ٣-﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[الرعد، الآية:٢]. ٤-﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه، الآية:٥]. ٥-﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾[الفرقان، الآية:٥٩]. ٦-﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[السجدة، الآية:٤]. ٧- ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[الحديد، الآية:٤].

والجُود فليس إعطاء الله كإعطاء خلقه، ولا جُوده كجُودهم. ونظائر هذا كثيرة.

فلا بد من إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي مماثلته لخلقه، فمن قال: ليس لله علم، ولا قوة، ولا رحمة، ولا كلام، ولا يحب، ولا يرضى، ولا نادى، ولا ناجى، ولا استوى؛ كان معطِّلاً، جاحداً، ممثلاً لله بالمعدومات والجمادات. ومن قال: له علم كعلمي، أو قوة كقوتي، أو حب كحبي، أو رِضاً كرِضاي، أو يدان كيدَيَّ، أو استواء كاستوائي؛ كان مشبِّها، ممثلاً لله بالحيوانات، بل لا بد من إثباتٍ بلا تمثيل، وتنزيهٍ بلا تعطيل[(١)].

وقد بيَّن الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن الاسم والصفة من هذا النوع له ثلاثة اعتبارات:

الاعتبار الأول: اعتبار من حيث هو مع قطع النظر عن تقييده بالرب تبارك وتعالى أو العبد.

الاعتبار الثاني: اعتباره مضافاً إلى الرب مختصاً به.

الاعتبار الثالث: اعتباره مضافاً إلى العبد مقيداً به. فما لزم الاسم لذاته وحقيقته كان ثابتاً للرب والعبد، وللرب منه ما يليق بكماله، وللعبد منه ما يليق به. وهذا كاسم السميع الذي يلزم إدراك المسموعات، والبصير الذي يلزمه رؤية المبصرات، والعليم والقدير وسائر الأسماء؛ فإن شرط صحة إطلاقها حصول معانيها وحقائقها للموصوف بها، فما لزم

---

(١) «التدمرية» لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٢١-٣٠.

هذه الأسماء لذاتها فإثباته للرب تعالى لا محذور فيه بوجه؛ بل يثبت له على وجه لا يماثل فيه خلقه ولا يشابههم، فمن نفاه عنه لإطلاقه على المخلوق ألحد في أسمائه، وجحد صفات كماله، ومن أثبته له على وجه يماثل فيه خلقه فقد شَبَّهَهُ بخلقه، ومن شَبَّهَ الله بخلقه فقد كفر، ومن أثبته له على وجه لا يماثل فيه خلقه؛ بل كما يليق بجلاله وعظمته، فقد برئ من فرث التشبيه ودم التعطيل، وهذا طريق أهل السنة، وما لزم الصفة لإضافتها إلى العبد وجب نفيه عن الله، كما يلزم حياة العبد من النوم والسِّنَة والحاجة إلى الغذاء ونحو ذلك. وكذلك ما يلزم إرادته من حركة نفسه في جلب ما ينتفع به ودفع ما يتضرر به. وكذلك ما يلزم علوَّه من احتياجه إلى ما هو عالٍ عليه، وكونه محمولاً به، مفتقراً إليه، محاطاً به. كل هذا يجب نفيه عن القدوس السلام تبارك وتعالى، وما لزم صفة من جهة اختصاصه تعالى بها؛ فإنه لا يثبت للمخلوق بوجهٍ، كعلمه الذي يلزمه القدم والوجوب والإحاطة بكل معلوم وقدرته وإرادته وسائر صفاته، فإن ما يختص به منها لا يمكن إثباته للمخلوق، فإذا أَحَطتَ بهذه القاعدة خُبْراً، وعقلتَها كما ينبغي، خلصتَ من الآفتين اللتين هما أصل بلاء المتكلمين: آفة التعطيل، وآفة التشبيه، فإنكَ إذا وفَّيْتَ هذا المقام حقه من التصور أثبتَّ لله الأسماء الحسنى والصفات العُلَى حقيقة، فخلصتَ من التعطيل، ونفيتَ عنها خصائص المخلوقين ومشابهتهم، فخلصتَ من التشبيه، فتدبَّرْ هذا الموضع، واجعله جنَّتك التي ترجع إليها في هذا الباب، والله الموفق للصواب(١).

---

(١) «بدائع الفوائد»، للعلامة ابن القيم ١/١٦٥-١٦٦ بتصرف يسير جداً، وانظر: «مختصر الصواعق المرسَلة على الجهمية والمعطِّلة» أيضاً لابن القيم ٢/٣٧

وقال ابن القيم أيضاً: «اختلف النُّظَّار في الأسماء التي تطلق على الله وعلى العباد كالحي، والسميع، والبصير، والعليم، والقدير، والملك ونحوها، فقالت طائفة من المتكلمين: هي حقيقة في العبد مجاز في الرب، وهذا قول غُلَاة الجهمية، وهو أخبث الأقوال وأشدها فساداً. الثاني مقابله وهو أنها حقيقة في الرب مجاز في العبد، وهذا قول أبي العباس الناشي. الثالث أنها حقيقة فيهما، وهذا قول أهل السنة وهو الصواب. واختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما. وللرب تعالى منها ما يليق بجلاله، وللعبد منها ما يليق به»[1].

أمور ينبغي أن تُعْلَمَ:

الأمر الأول: أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته: كالشيء، والموجود، والقائم بنفسه؛ فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العُلَى.

الثاني: أن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه؛ بل يطلق عليه منها كمالها، وهذا كالمريد، والفاعل، والصانع؛ فإن هذه الألفاظ لا تدخل من أسمائه، ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الإطلاق، بل هو الفعال لما يريد، فإن الإرادة والفعل والصنع منقسمة، ولهذا إنما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلاً وخبراً.

الثالث: أنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيداً أن يُشتق له منه

---

(١) انظر: «بدائع الفوائد» ١٦٤/١ بتصرف.

اسم مطلق، كما غلط فيه بعض المتأخرين فجعل من أسمائه الحسنى المُضِل، الفاتن[1]، الماكر، تعالى الله عن قوله؛ فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينة، فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة، والله أعلم.

الرابع: أن أسماءه الحسنى هي أعلامٌ وأوصافٌ، والوصف بها لا يُنافي العَلَمية، بخلاف أوصاف العباد، فإنها تنافي عَلَميتهم؛ لأن أوصافهم مشتركة، فنافتها العَلَمية المختصة بخلاف أوصافه تعالى.

الخامس: أن أسماءه الحسنى لها اعتباران: اعتبار من حيث الذات، واعتبار من حيث الصفات، فهي بالاعتبار الأول مترادفة، وبالاعتبار الثاني متباينة.

السادس: أن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفياً كالقديم، والشيء، والموجود، والقائم بنفسه. فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية، أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع.

السابع: أن الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل، فيخبر به عنه فعلاً ومصدراً، نحو السميع، البصير، القدير، يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة، ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو ﴿قَدْ سَمِعَ

---

(١) وأما ما أخرجه الإمام مالك في الموطأ ٣٣٤١ عَنْ زِيَادِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: «إِنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى هُوَ الْهَادِي وَالْفَاتِنُ». فهذا مع الاقتران بضده وهو جائز ومعناه الهادي والمضل، أما بالإفراد فعليه يتنزل كلام ابن القيم، والله أعلم.

اللَّهُ﴾[المجادلة:١]، ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾[المرسلات:٢٣]، هذا إن كان الفعل متعدياً، فإن كان لازماً لم يخبر عنه به نحو الحي؛ بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل، فلا يقال: حَيِيَ.

الثامن: أن أفعال الرب تبارك وتعالى صادرة عن أسمائه وصفاته، وأسماء المخلوقين صادرة عن أفعالهم، فالرب تبارك وتعالى فعاله عن كماله، والمخلوق كماله عن فعاله، فاشتقت له الأسماء بعد أن كمل بالفعل. فالرب لم يزل كاملاً، فحصلت أفعاله عن كماله؛ لأنه كامل بذاته وصفاته، فأفعاله صادرة عن كماله، كَمُلَ فَفَعَلَ، والمخلوق فَعَلَ فَكَمُلَ الكمال اللائق به[١].

التاسع: أن الصفات ثلاثة أنواع: صفات كمال، وصفات نقص، وصفات لا تقتضي كمالاً ولا نقصاً، وإن كانت القسمة التقديرية تقتضي قسماً رابعاً، وهو: ما يكون كمالاً ونقصاً باعتبارين، والرب تعالى منزَّه عن الأقسام الثلاثة، وموصوف بالقسم الأول، وصفاته كلها صفات كمال محض، فهو موصوف من الصفات بأكملها وله من الكمال أكمله. وهكذا أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها، ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها، وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيراً بمرادفٍ محضٍ؛ بل هو على سبيل التقريب والتفهيم. وإذا عرفتَ هذا فله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمَّه معنًى، وأبعده وأنزهه عن شائبة عيب أو نقص، فله من صفة الإدراكات: العليم الخبير، دون العاقل الفقيه، والسميع البصير، دون

---

(١) انظر: «بدائع الفوائد» للإمام ابن القيم ١٦١/١- ١٦٢

السامع والباصر والناظر. ومن صفات الإحسان: البَرُّ، الرحيم، الودود، دون الشفوق ونحوه. وكذلك العلي العظيم، دون الرفيع الشريف. وكذلك الكريم، دون السخي، والخالق البارئ المصور، دون الفاعل الصانع المشكِّل، والغفور العَفُوّ، دون الصفوح الساتر. وكذلك سائر أسمائه تعالى يُجري على نفسه منها أكملها وأحسنها، وما لا يقوم غيره مقامه، فتأمَّلْ ذلك، فأسماؤه أحسن الأسماء، كما أن صفاته أكمل الصفات، فلا تعدِلْ عما سمَّى به نفسه إلى غيره، كما لا تتجاوز ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله إلى ما وصفه به المبطلون والمعطلون[(١)].

الضابط في معرفة أسماء اللَّه الحسنى:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يُدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها»[(٢)].

هذا التعريف هو أصلح وأفضل تعريف للأسماء الحسنى وذلك:

أولاً: لموافقته للنص الشرعي، ولعل شيخ الإسلام ابن تيمية استقاه من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠].

فقوله في التعريف: «هي التي يُدعى بها» مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

وقوله: «هي التي وردت في الكتاب والسنة» مأخوذ من قوله:

---

(١) انظر: «بدائع الفوائد» ١/١٦٧-١٦٨.

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ص٥.

﴿الأَسْمَاءُ﴾ فالألف واللام هنا للعهد، فالأسماء بذلك تكون معهودة، ولا معروف في ذلك إلا ما نص الله عليه في كتابه أو سنة رسوله ﷺ.

وقوله: «وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها» مأخوذ من قوله تعالى: ﴿الْحُسْنَى﴾ فالحسنى تأنيث الأحسن، والمعنى أن أسماء الله أحسن الأسماء وأكملها، فما كان مسماه منقسماً إلى كمال ونقص وخير وشر لم يدخل اسمه في الأسماء الحسنى.

وبهذا يتبيَّن أن ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريف الأسماء الحسنى هو مطابق لما ذكره الله في كتابه العزيز.

ثانياً: مما يؤكد صحة هذا التعريف اشتماله على شرطين للاسم هما:

الشرط الأول: ورود النص من القرآن أو السنة بذلك الاسم.

والشرط الثاني: صحة الإطلاق، وذلك أن يقتضي الاسم المدح والثناء بنفسه.

وهذان الشرطان يحققان للتعريف مقوماته بأن يكون جامعاً لجوانب الشيء ومانعاً من دخول غيره فيه، فالشرط الأول يؤكد على كون أسماء الله توقيفية، وأنه لا يجوز استعمال القياس فيها.

والشرط الثاني يؤكد على خاصية باب الأسماء وأنه أخص من باب الصفات وباب الإخبار[١].

---

(١) «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى» لمحمد بن خليفة بن علي التميمي ص٣٨-٣٩ بتصرف يسير.

إحصاء الأسماء الحسنى أصل للعلم:

إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقاً له تعالى أو أمراً. إما علم بما كَوَّنَهُ أو علم بما شَرَعَهُ، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه، فالأمر كله مصدره عن أسمائه الحسنى، وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد والرأفة والرحمة بهم، والإحسان إليهم بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه، فأمره كله مصلحة، وحكمة، ورحمة، ولُطف، وإحسان؛ إذ مصدره أسماؤه الحسنى، وفعله كله لا يخرج عن العدل، والحكمة، والمصلحة، والرحمة، إذ مصدره أسماؤه الحسنى، فلا تفاوت في خلقه، ولا عبث، ولم يخلق خلقه باطلاً، ولا سُدًى، ولا عبثاً.

وكما أن كل موجود سواه فبإيجاده، فوجود من سواه تابع لوجوده، تبع المفعول المخلوق لخالقه، فكذلك العلم بها أصل للعلم بكل ما سواه، فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق؛ أحصى جميع العلوم؛ إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها، وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه وحكمته تعالى؛ ولهذا لا تجد فيها خللاً ولا تفاوتاً؛ لأن الخلل الواقع فيما يأمر به العبد أو يفعله إما أن يكون لجهله به أو لعدم حكمته. وأما الرب تعالى فهو العليم الحكيم، فلا يلحق فعله ولا أمره خلل، ولا تفاوت، ولا تناقض[1].

مراتب إحصاء أسماء اللّه الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة:

هذا بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة، ومدار النجاة والفلاح.

---

(١) «بدائع الفوائد» لابن القيم ١٦٣/١.

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]، وهو مرتبتان:

إحداهما: ثناء وعبادة.

والثانية: دعاء طلب ومسألة.

فلا يُثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العُلَى، وكذلك لا يُسأل إلا بها، فلا يقال: يا موجود، أو يا شيء، أو يا ذات، اغفر لي وارحمني؛ بل يُسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم. ومن تأمل أدعية الرسل، ولا سيما خاتمهم وإمامهم؛ وجدها مطابقة لهذا، وهذه العبارة أَولى من عبارة من قال: يتخلَّق بأسماء الله، فإنها ليست بعبارة سديدة، وهي منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله قدر الطاقة. وأحسن منها عبارة أبي الحكم ابن برجان، وهي التعبد، وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن، وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال. فمراتبها أربعة أشدها إنكاراً عبارة الفلاسفة وهي التشبه. وأحسن منها عبارة من قال: التخلق. وأحسن منها عبارة من قال: التعبد. وأحسن من الجميع الدعاء، وهي لفظ القرآن[(١)].

الأسماء الحسنى لا تُحَدُّ بعدد:

الصحيح أن الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد،

---

(١) «بدائع الفوائد» للإمام ابن القيم ١٦٤/١.

فإن لله تعالى أسماءً وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها ملك مقرَّب ولا نبي مرسل، كما في الحديث الصحيح: «أسألك بكل اسمٍ هو لك سمَّيتَ به نفسك، أو عَلَّمْتَه أحداً من خَلْقِكَ، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك»(١)، فجعل أسماءه ثلاثة أقسام: قسم سمَّى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم، ولم ينزل به كتابه، وقسم أنزل به كتابه فتعرَّف به إلى عباده، وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطلع عليه أحد من خلقه، ولهذا قال: «استأثرتَ به» أي انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمِّي به؛ لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها كتابه. ومن هذا قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة: «فيفتح عَلَيَّ من محامده بما لا أُحسِنُهُ الآن»(٢)، وتلك المحامد تفي بأسمائه وصفاته.

ومنه قوله ﷺ: «لا أُحصِي ثَنَاءً عليك أنت كما أَثْنَيْتَ على نفسِكَ»(٣)، وأما قوله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْماً مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٤)، فالكلام جملة واحدة، وقوله: «مَن أَحصاها دخل الجنة»

---

(١) تقدم تخريجه في ص٨٩.

(٢) أخرجه البخاري ٤٧١٢ و٧٥١٠ ومسلم ٣٢٧-(١٩٤) ولفظه عندهما: «ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي». وعند البخاري ٧٥١٠: «وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الآنَ». وعبارة: «لا أُحسِنُهُ الآن» التي ذكرها ابن القيم في نص الحديث لم أجدها بلفظ(أُحْسِنُهُ) فيما وقفت عليه من روايات الحديث.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٢- (٤٨٦).

(٤) أخرجه البخاري ٢٧٣٦ ومسلم ٢٦٧٧، والحديث في آخره: «وهو وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ».

صفة لا خبر مستقبل. والمعنى: له أسماء متعددة من شأنها أنَّ من أحصاها دخل الجنة. وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها. وهذا كما تقول: لفلان مائة مملوك قد أعدهم للجهاد، فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم مُعَدُّون لغير الجهاد، وهذا لا خلاف بين العلماء فيه(١).

سَرْدٌ لطائفة من أسماء اللّه الحُسْنَى مما ثبت في القرءان والسُّنَّة

اللهُ، الرَّحْمَـٰنُ، الرَّحِيمُ، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظاهِرُ، الباطِنُ، العَلِيُّ، الأَعْلَى، المُتَعَالِ، العَظِيمُ، المَجِيدُ، الكَبِيرُ، السَّمِيعُ، البَصِيرُ، العَلِيمُ، الخَبِيرُ، الحَمِيدُ، العَزِيزُ، القَدِيرُ، القادِرُ، المُقْتَدِرُ، القَوِيُّ، المَتِينُ، الغَنِيُّ، الحَكِيمُ، الحَلِيمُ، العَفُوُّ، الغَفُورُ، الغَفَّارُ، التَّوَّابُ، الرَّقِيبُ، الحَسِيبُ، الشَّهِيدُ، الحَفِيظُ، الحافِظُ، اللَّطِيفُ، القَرِيبُ، المُجِيبُ، الوَدُودُ، الشَّاكِرُ، الشَّكُورُ، القاهِرُ، القَهَّارُ، الجَبَّارُ، الهَادِي، الحَكَمُ، القُدُّوسُ، السَّلَامُ، البَرُّ، الوَهَّابُ، الكَرِيمُ، الأَكرَمُ، الرَّءُوفُ، الفتَّاحُ، الرَّزَّاقُ، الرَّازِقُ، الحَيُّ، القَيُّومُ، الدَّيَّانُ، الرَّبُّ، الإِلَهُ، المَلِكُ، المَلِيكُ، مالِكُ المُلْكِ، الواحِدُ، الأَحَدُ، الصَّمَدُ، المُتَكَبِّرُ، الخالِقُ، البارِئُ، المُصَوِّرُ، الخَلَّاقُ، المُؤْمِنُ، المُهَيمِنُ، المُحِيطُ، المُقِيتُ، الوَكِيلُ، الكَفِيلُ، ذُو الجَلَالِ والإِكْرامِ، جامِعُ الناسِ ليومٍ لا رَيبَ فيه، فاطِرُ السماوات والأرض، بَدِيعُ السماوات والأرض، نُوْرُ السماوات والأرض، الكَافِي، الوَاسِعُ، الحَقُّ، المُبِينُ، الوَلِيُّ، المَوْلَى، النَّصِيرُ، المُسْتَعَانُ، السَّيِّدُ، الجَمِيلُ، الرَّفِيقُ، الحَيِيُّ، السِّتِّيْرُ، المُعْطِي، الجَوَادُ، المُقَدِّمُ، المُؤَخِّرُ، المَنَّانُ، الشَّافِي، المُحْسِنُ، الطَّيِّبُ، الوِتْرُ، السُّبُّوحُ.

---

(١) «بدائع الفوائد» للإمام ابن قيم الجوزية ١/١٦٦-١٦٧، وانظر أيضاً: «فتاوى ابن تيمية» ٦/٣٧٩-٣٨٢.

تنبيه:

الحديث الذي فيه سرد لأسماء الله لا يثبت، وقد أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما من حديث أبي هريرة، وله طرق كلها معلولة، ورجح بعض الحفاظ أن سرد الأسماء فيه مدرج من كلام بعض الرواة، وأن الثابت فيه قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»، وليس فيه سرد للأسماء.

قال ابن القيم: «والصحيح أنه-أي العَدّ- ليس من كلام النبي ﷺ»[1].

وقال ابن حجر: «وقد استضعف الحديث أيضاً جماعة، فقال الداودي: لم يثبت أن النبي ﷺ عَيَّنَ الأسماء المذكورة. وقال ابن العربي: يحتمل أن تكون الأسماء تكملة الحديث المرفوع، ويحتمل أن تكون من جَمْعِ بعض الرواة، وهو الأظهر عندي»[2].

اسم اللَّه الأعظم:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]، ودعاء الله بأي اسم من أسمائه مرغّب فيه، والدعاء باسم الله الأعظم أرغب والإجابة أوكد بفضل الله تعالى.

---

(١) «مدارج السالكين» ٤١٥/٣.

(٢) «فتح الباري» ٢١٧/١١.

وأصح ما روي في اسم الله الأعظم حديثان:

الأول: حديث بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»(١).

الثاني: حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْحَلْقَةِ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ جَلَسَ وَتَشَهَّدَ، ثُمَّ دَعَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَّانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا اللهَ؟» فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود ١٤٩٣ والترمذي ٣٤٧٥ والنسائي في السنن الكبرى ٥٦١٩ وابن ماجه ٣٨٥٧ وأحمد ٢٣٤١ والحاكم ١٨٥٨ من طرق عن مالك بن مغول عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه، به. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وقال الحاكم: «حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» وأقره الذهبي، وهو كذلك.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٩٥) والنسائي (٥٢/٣) وابن ماجه (٣٨٥٨) وأحمد (١٢٦١١) والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٠٥) وابن حبان (٨٩٣) والطبراني في الدعاء (١١٦) والحاكم ٥٠٣/١-٥٠٤ وهو حديث حسن لغيره، فله إسنادان يشد بعضهما بعضاً.

صفات اللَّه تعالى

منهج أهل السنة والجماعة في صفات اللَّه تعالى:

تقدم أن منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته يرتكز على ثلاثة أمور رئيسية، هي:

الأول: منهجهم في الإثبات: وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، فيؤمنون بأن جميع ما ثبت في النصوص الشرعية من صفات الله تعالى أنها صفات حقيقية تليق بجلال الله تعالى، وأنها لا تماثل صفات المخلوقين. ويؤمنون كذلك بجميع أسماء الله تعالى الثابتة في النصوص الشرعية، ويؤمنون بأن كل اسم يتضمن صفة لله تعالى، فاسم «العزيز» يتضمن صفة العزة لله تعالى، واسم «القوي» يتضمن صفة القوة له سبحانه، وهكذا بقية الأسماء.

وكل ما ثبت لله تعالى من الصفات فهي صفات كمال يُحمد عليها، ويُثنى بها عليه، وليس فيها نقص بوجه من الوجوه، بل هي ثابتة له على أكمل وجه.

الثاني: منهجهم في النفي: نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ من صفات النقص، مع اعتقادهم ثبوت كمال ضد الصفة المنفية عنه عَزَّوَجَلَّ.

وكل ما نفاه الله تعالى عن نفسه فهي صفات نقص، تنافي كماله الواجب، فجميع صفات النقص ممتنعة على الله تعالى لوجوب كماله. وما نفاه الله عن نفسه فالمراد به انتفاء تلك الصفة المنفية وإثبات كمال

ضدها، وذلك أن النفي لا يدل على الكمال إلا إذا كان متضمناً لصفة ثبوتية يُحمد عليها، فإن مجرد النفي قد يكون سببه العجز فيكون نقصاً، وقد يكون سببه عدم القابلية فلا يقتضي مدحاً، كما لو قلت: الجِدَارُ لا يَظلِمُ.

إذا تبين هذا فمما نفى الله عن نفسه الظلمَ، قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف:٤٩]، والمراد به انتفاء الظلم عن الله مع ثبوت كمال ضده له تعالى، وهو العدل، ونفى عن نفسه اللغوب وهو التعب والإعياء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾[ق:٣٨]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الأحقاف:٣٣]، والمراد نفي اللغوب مع ثبوت كمال ضده، وهو القوة، وهكذا بقية ما نفاه الله تعالى عن نفسه.

الثالث: منهجهم فيما لم يرد نفيه ولا إثباته مما تنازع الناس فيه، كالجسم، والحيِّز، والجهة ونحو ذلك، فطريقتهم فيه التوقف في لفظه، فلا يثبتونه ولا ينفونه، لعدم وروده، وأما معناه فيَسْتَفْصِلُونَ عنه، فإن أريد به باطل ينزَّهُ الله عنه ردوه، وإن أريد به حق لا يمتنع على الله قبلوه(١).

وهذا المنهج هو المنهج الواجب، وهو القول الوسط بين أهل التعطيل وأهل التشبيه، وقد دل على وجوبه وصحته العقل والسمع:

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٢٩٩/٥، ٣٦٦.

فأما العقل فوجه دلالته: أن تفصيل القول فيما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى لا يُدرَكُ إلا بالسمع، لأنه من أمر الغيب الذي لا يحيط به الإنسان علماً فوجب اتباع السمع في ذلك، بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه، والسكوت عما سكت عنه.

وأما السمع: فمن أدلته قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وقوله: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦].

فالآية الأولى: دلت على وجوب الإثبات من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تشبيه، لأن هذه الأمور الثلاثة من الإلحاد.

والآية الثانية: دلت على وجوب نفي التشبيه مع وجوب الإثبات.

والآية الثالثة: دلت على وجوب نفي التكييف، وعلى وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه[1].

ومما ينبغي التنبيه إليه هنا أن أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ ومَن بعدهم يؤمنون بأن جميع صفات الله جل وعلا الثابتة في الكتاب والسنة صفات حقيقية لا مجازية.

وقد ذكر الحافظ ابن عبد البر الأندلسي المالكي المولود سنة ٣٦٨هـ إجماعَ أهل السنة على ذلك، فقال:

---

(١) «فتح رب البرية بتلخيص الحموية» للشيخ محمد بن عثيمين، مطبوع ضمن مجموع فتاويه ورسائله ٤/١٩-٢٤.

«أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيِّفون شيئاً من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبِّهٌ، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود. والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة ولله الحمد»[1].

وذكر غير واحد من الأئمة إجماع السلف على ذلك، قال الحافظ أبوالقاسم التيمي الأصبهاني الملقب بِقِوَام السُّنَّة المولود سنة ٤٥٧هـ: «ما جاء في الصفات في كتاب الله أو رُوي بالأسانيد الصحيحة، فمذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها، لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات»[2]. وقال بنحو كلام الأصبهاني: الخطيب البغدادي المولود سنة ٣٩٢هـ في رسالته في الصفات التي كتبها جواباً لأهل دمشق حين سألوه عن الصفات[3]. ونقل الحافظ الذهبي في العلو[4] عن أبي سليمان الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨هـ نحو قول الأصبهاني والخطيب. ثم قال الذهبي: «وكذا نقل الاتفاق عن السلف في هذا: الحافظ أبوبكر الخطيب ثم الحافظ أبو القاسم التيمي الأصبهاني وغيرهم». وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في

---

(١) في كتابه «التمهيد» ١٤٥/٧.

(٢) ينظر «الحُجَّة في بيان المَحَجَّة» لأبي القاسم التيمي الأصبهاني ١٨٨/١، ١٨٩.

(٣) (ص ٦٤).

(٤) (ص ٢٣٦).

الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله[1]: «أطلق غير واحد ممن حكى إجماع السلف منهم الخطابي مذهب السلف: أنها -أي أحاديث الصفات- تُجرَى على ظاهرها، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها». ونقل الحافظ الذهبي عن أبي القاسم الأصبهاني في كتاب العلو[2] أنه قال: «مذهب مالك، والثوري، والأوزاعي، والشافعي، وحماد ابن سلمة، وحماد بن زيد، وأحمد، ويحيى بن سعيد القطان، وعبدالرحمن بن مهدي، وإسحاق بن راهويه: أن صفات الله التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله من السمع والبصر والوجه واليدين وسائر أوصافه؛ إنما هي على ظاهرها المعروف المشهور، من غير كيف يُتَوَهَّمُ فيها، ولا تشبيه، ولا تأويل».

فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الظاهر المتبادر من لفظ الصفة معنىً حقيقياً يليق بجلال الله تعالى، فيثبتون المعنى الذي يدل عليه لفظ الصفة الوارد في الكتاب أو السنة، فمثلاً يثبتون المعنى الذي يدل عليه لفظ «العِزَّة» في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾[المنافقون:٨]، وهذا المعنى هو: القدرة والغلبة، وكذلك يثبتون المعنى الذي يدل عليه لفظ «استوى» في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]، وهذا المعنى هو: العلو والاستقرار كما سيأتي بيانه عند الكلام على صفة الاستواء -إن شاء الله تعالى-، وهكذا بقية الصفات؛ لأن الله تعالى خاطب عباده في كتابه بلسان عربي مبين، والنبي ﷺ خاطب أمته بألفاظ عربية صريحة، فوجب إثبات المعنى الحقيقي الذي يدل عليه اللفظ الوارد في القرآن أو السنة في لغة العرب، وهذا هو مقتضى الإيمان بهما ومقتضى الانقياد لما جاء فيهما.

---

(١) (ص١٢١).

(٢) (ص٢٦٣).

الضالون عن الحق في صفات اللَّه تعالى:

إن الناس قد انقسموا في نصوص صفات الله سبحانه وتعالى الواردة في القرآن والسنة إلى ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: هم أهل الحق وهم أهل السنة والجماعة الذين أجروا هذه النصوص على ظاهرها، وقالوا: إن ظاهرها مراد بما يليق بجلاله، وإن الله عز وجل خاطبنا بلغة بيِّنة وواضحة، ونفوا عن معانيها مماثلة المخلوقين؛ لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] وغيرها من الآيات التي تدل على تنزيه الله سبحانه وتعالى عن مماثلة المخلوقين.

الطائفة الثانية: هم المُؤَوِّلة، وهم الذين قالوا: إن نصوص صفات الله سبحانه وتعالى ليست على ظاهرها.

وقالوا: إن ظاهرها تشبيه الله عز وجل بخلقه، وإن هذه النصوص لا يمكن أن تكون على ظاهرها، وإن لها معاني مجازية أخرى يمكن أن نستخرجها، ثم بدءوا يؤَوِّلون صفات الله سبحانه وتعالى على معانٍ أخرى غير المعاني الحقيقية التي يدل عليها ظاهر النص، وهؤلاء هم المؤوِّلة وهم الجهمية والمعتزلة، وهم المتأخرون من الأشاعرة والماتريدية.

الطائفة الثالثة: هم المفوِّضة، وهم الذين قالوا: إن نصوص الصفات ليست على ظاهرها، وإن ظاهرها يدل على التشبيه، فاشتركوا مع

المؤَوِّلة في هذا الأمر، وهو أن ظاهر نصوص الصفات ليست مرادة، وإنما هي تدل على التشبيه، ثم افترقوا عن المؤَوِّلة بأنهم قالوا: إن معانيها مجهولة لنا لا نعلمها، وإنما يعلمها الله سبحانه وتعالى وحده.

وأنكروا على المؤوِّلة الذين زعموا أن لها معاني مجازية يعلمونها، وقالوا: إن لها معاني أخرى غير معناها الظاهر، لكن نحن لا نعلمها، ونفوِّض علم ذلك إلى الله، وسموا ذلك تفويضاً.

المفوِّضة قالوا: نحن لا نفهم لنصوص الصفات معاني محددة، ونفوِّض معرفة معاني الصفات إلى الله، فهم بذلك لا يفرقون بين النصوص، فعندهم أن قول الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] كقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] وكغيرها من الآيات التي تدل على صفات الله سبحانه وتعالى، فهم لا يفرقون بين معانيها؛ لأنهم يجهلون المعاني، ولا يرون أن هناك فرقاً بين هذا المعنى وذاك.

وأما السلف الصالح أهل السنة والجماعة فإنهم يقولون: المعنى مفهوم ومعروف، وهو ما تدل عليه لغة العرب، وأما كيفيات صفات الله عز وجل، فنحن لا نعلمها؛ لأن الله عز وجل عَلَّمَنا هذه الصفات، ونفى عن نفسه كيفية مشابهة المخلوقات، ولم يعلمنا كيفية محددة لصفاته سبحانه وتعالى، فهي ليست من جنس صفات البشر، ولا يمكن أن يدركها الإنسان بعقله المجرد إلا بخبر الله عز وجل، والله لم يخبرنا عن ذلك. ومن ذلك قول الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في استواء الله تعالى على عرشه: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب،

والسؤال عنه بدعة». وسيأتي كلامه مخرَّجاً عند ذكر صفة الاستواء، فالإمام مالك لم يجهل معنى الاستواء ولم يفوِّض معناه، وإنما نفى الكيفية، وهكذا يكون الأمر في كل صفات الله تعالى.

فهناك فرق بين تفويض المعنى وتفويض الكيفية، تفويض الكيفية هو منهج السلف مع إقرار المعنى وإثباته، وأما تفويض المعنى وقولهم بأن نصوص الصفات ليس لها معانٍ نفهمها فهذا قول باطل، وهو مذهب التفويض الباطل، ونسبته إلى الصحابة والسلف من أبطل الباطل، فإن مقتضاه تجهيل الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فمذهب أهل السنة هو إثبات المعنى وتفويض الكيفية. فهناك فرق بين تفويض السلف -وهو تفويض الكيفية- وتفويض الكلامية الباطل. والتعطيل له صور متعددة، والتفويض من شر أقوال أهل البدع.

وسنذكر مزيداً من أقوال أئمة أهل السنة والجماعة في الصفات قريباً عند ذكر طائفة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ.

معنى التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل:

التحريف معناه: تغيير النص لفظاً أو معنىً، والتغيير اللفظي قد يتغير معه المعنى، وقد لا يتغير، فهذه ثلاثة أقسام:

١- تحريف لفظي يتغير معه المعنى: كتحريف بعضهم قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾[النساء:١٦٤] بنصب لفظ الجلالة ليكون التكليم من موسى.

٢- وتحريف لفظي لا يتغير معه المعنى: ككسر الدال من قوله

تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، وهذا في الغالب لا يقع إلا من جاهل، إذ ليس فيه غرض مقصود لفاعله غالباً.

٣- تحريف معنوي: وهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل، كتحريف معنى اليدين المضافتين إلى الله إلى القوة أو النعمة، وتحريف معنى الاستواء إلى الاستيلاء، وتحريف معنى الضحك إلى الثواب، وغير ذلك، كما فعل الأشاعرة وغيرهم. وهذا من الإلحاد في أسماء الله وآياته، فيتأولون نصوص الصفات على غير تأويلها، ويدَّعون فيها صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بغير دليل، سوى الآراء البشرية والشُّبَهِ العقلية التي ظنوها بيِّنات، وإنما هي في واقع الأمر شبهات كلامية مبنية على الفلسفة اليونانية، فتأويلهم لنصوص الصفات حقيقته تحريف لكلام الله وكلام رسوله ﷺ عن مواضعه، فإن التأويل الصحيح هو الذي يوافق ما جاء في الكتاب والسنة، وما خالف ذلك باطل، فإن كل تأويل لم يدل عليه دليل من السياق ولا معه قرينة تقتضيه فهذا لا يقصده الهادي المبين بكلامه، إذ لو قصده لَحَفَّ به قرائن تدل على المعنى المخالف لظاهره حتى لا يوقع السامع في اللبس والخطأ، فإن الله أنزل كلامه بياناً وهدى، فإذا أراد به خلاف ظاهره ولم يلحق به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فهم كل أحد لم يكن بياناً ولا هُدى. فالتأويل إخبار بمراد المتكلم لا إنشاء، فإذا قيل: «معنى اللفظ كذا وكذا» كان إخباراً بالذي عَنَى المتكلم وأراده بكلامه، فإن لم يكن الخبر مطابِقاً كان تفسيراً لكلام المتكلم بغير مراده، وذلك خطأ ظاهر.

والتعطيل معناه: إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات، أو

إنكار بعضها، فهو نوعان:

١- تعطيل كلي: كتعطيل الجهمية الذين ينكرون الأسماء والصفات.

٢- تعطيل جزئي: كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات ويؤولونها، ويثبتون بعض الصفات.

وأول من عرف بالتعطيل من هذه الأمة هو الجعد بن درهم، وكل من جاء بعده من المعطِّلة فهو مقلِّد له مُتَأَسٍّ به في كل ما جاء به من التعطيل أو في بعضه.

والتكييف معناه: حكاية كيفية الصفة، كقول القائل: كيفية يد الله كذا وكذا، وكيفية نزوله إلى السماء الدنيا كذا وكذا. وقد يقيد أو يقرن هذه الكيفية بمماثل فيقول مثلاً: نزول الله تعالى كيفيته كنزول المطر، تعالى الله عن ذلك، فيجمع بين التكييف والتمثيل.

ومعنى التمثيل أو التشبيه: إثبات مثيل وشبيه للشيء، كأن يقول: يد الله مثل يد الإنسان، تعالى الله عن ذلك[1].

صفات اللّه تعالى باعتبار الثبوت وعدمه:

تنقسم إلى قسمين:

ثبوتية: وهي التي أثبتها الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه في كتابه، أو أثبتها له رسوله ﷺ في سُنَّته.

وسلبية: وهي التي نفاها الله عَزَّوَجَلَّ عن نفسه في كتابه، أو نفاها عنه رسوله ﷺ في سُنَّته.

---

(١) «تسهيل العقيدة الإسلامية» للشيخ عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ص٨٨-١٠٠.

والصفة السلبية يجب الإيمان بما دلت عليه من نفي وإثبات كمال ضده، فقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]. يجب الإيمان بانتفاء الظلم عن الله وثبوت ضده وهو العدل الذي لا ظلم فيه.

وصفات اللّه نوعان: ذاتية وفعلية:

الصفات الذاتية: وهي اللازمة لذات الرب كالعلم، والسمع، والبصر، والحياة، والقدرة، والعزة، والرحمة، والقيُّوميَّة، فهي صفاتٌ ذاتية.

فكل ما تستطيع أن تقول فيه «مازال كذا» فهي ذاتية.

والصفات الفعلية: وهي حسب مشيئته تعالى مثل: الاستواء على العرش، والنزول، والمجيء، والغضب.

فتقول: إن الله تعالى ينزل إذا شاء، واستوى على العرش حين شاء، ويجيء يوم القيامة إذا شاء، فهذه فعلية.

ولكن لا يصح أن تقول: إنه يعلم إذا شاء، ويسمع إذا شاء، وهو حَيٌّ إذا شاء؛ لأن هذه من لوازم ذاته سبحانه وتعالى.

وربما تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارَين، كالكلام، فإنه بالنظر إلى أصله صفة ذاتية، لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً، وباعتبار آحاده وأفراده التي يتكلم بها شيئًا فشيئًا صفة فعلية، لأنه يتعلق بمشيئته[1].

قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«لم يَزَلْ، ولا يَزَالُ بأسمائه، وصفاته الذاتية والفعلية»[2].

---

(١) انظر: «مذكرة في العقيدة الواسطية» للشيخ ابن عثيمين ص١٠.

(٢) كتاب «الفقه الأكبر» للإمام أبي حنيفة مع شرحه لِمُلَّا علي قاري الحنفي (ص٢٥).

ذِكر طائفة من صفات اللَّه تعالى التي ثبتت بالكتاب والسنة

من ذلك مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي «سُورَةِ الإِخْلَاصِ» الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيْثُ يَقُولُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١-٤].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ»[1].

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ وهي آيةُ الكُرسِي، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥].

إثبات صفة الحياة للَّه عَزَّوَجَلَّ:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[البقرة:٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان: ٥٨].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[غافر:٦٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٣٧٥ ومسلم ٢٦٣-(٨١٣).

إثبات صفة العلم لله عَزَّوَجَلَّ:

قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد:٣].

وقال تعالى: ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[التحريم: ٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[سبأ:٢].

وقال: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[الأنعام:٥٩].

وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾[فاطر: ١١].

وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[الطلاق:١٢].

إثبات صفة القُوَّة لله عَزَّوَجَلَّ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات: ٥٨].

إثبات صِفَتَي المشيئة والإرادة لله عَزَّوَجَلَّ:

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[الكهف: ٣٩].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[البقرة: ٢٥٣].

إثبات صفة المحبة للَّه عَزَّوَجَلَّ:

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة: ١٩٥].

إثبات صفة الرِّضَا للَّه عَزَّوَجَلَّ:

قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[البينة: ٨].

إثبات صفة الرحمة للَّه عَزَّوَجَلَّ:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[النمل: ٣٠].

وقال تعالى حاكياً دعاء الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب: ٤٣].

إثبات صفات: الغضب والسخط والكراهية والبغض والمقت:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾[النساء: ٩٣].

وَقَال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾[محمد:٢٨].

وَقَال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[الزخرف: ٥٥].

وَقَال تعالى: ﴿وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾[التوبة: ٤٦].

وَقَال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[الصف:٣].

إثبات صفتَي: المجيء والإتيان للَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾[البقرة: ٢١٠].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾[الأنعام: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا. وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر: ٢١-٢٢].

إثبات الوجه للَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٢٧].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص: ٨٨].

والأحاديث في إثبات الوجه لله كثيرة، ومنها حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد: «إنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فتعملَ عملاً تبتغي به وَجْهَ اللهِ؛ إلا ازْدَدتَّ به درجةً ورِفعةً... الحديث»(١).

قال إمام الأئمة ابن خزيمة (٢) بعد أن أورد جملةً من الآيات تثبت صفة الوَجْهِ لله تعالى:

«فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر؛ مذهبنا: أَنَّا نُثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نُقِرُّ بذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٣٣) ومسلم (١٦٢٨).

(٢) «كتاب التوحيد» (٢٥/١).

بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا؛ من غير أن نُشَبِّهَ وَجْهَ خالقنا بوَجْهِ أحد من المخلوقين، عَزَّ ربنا أن يشبه المخلوقين، وجَلَّ ربنا عن مقالة المعطِّلين».

إثبات العَينَين للَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[طه:٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور: ٤٨].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ. تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾[القمر:١٣-١٤].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَانَيِ النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»(١).

قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إن الله ليس بأعور» يدل على أن لله عَينَين حقيقةً؛ لأن العور فَقْدُ إحدى العَينَين أو ذهاب نورها.

قال ابن خزيمة رَحِمَهُٱللَّهُ:

«فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثَبَّتَ الخالق البارئ لنفسه من العين، وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبّته الله في محكم تَنْزيله ببيان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، الذي جعله الله مبيِّناً عنه عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٣٩ ومسلم ٢٧٤-(١٦٩).

إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤]، فبيَّن النبي ﷺ أن لله عَيْنَيْن، فكان بيانه موافقاً لبيان محكم التَنْزيل، الذي هو مسطور بين الدفتين، مقروء في المحاريب والكتاتيب»[1].

وقال أيضاً:

«نحن نقول: لربنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرى وتحت الأرض السابعة السفلى، وما في السماوات العُلَى»[2].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأجمع أهل السنة على أن العَينَين اثنتان، ويؤيده قول النبي ﷺ في الدجَّال: إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور»[3].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فإن قيل: ما تصنعون بقوله تعالى: ﴿أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[المؤمنون:٢٧]، وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[القمر:١٤]، حيث ذكر الله تعالى العين بلفظ الجمع؟

قلنا: نتلقاها بالقبول والتسليم، ونقول: إن كان أقل الجمع اثنين كما قيل به إما مطلقاً أو مع الدليل فلا إشكال؛ لأن الجمع هنا قد دل الدليل على أن المراد به اثنتان فيكون المراد به ذلك، وإن كان أقل الجمع ثلاثة فإننا نقول جمع العين هنا كجمع اليد في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا

---

(١) «كتاب التوحيد» لابن خزيمة ٩٧/١.

(٢) المصدر السابق ١١٤/١.

(٣) «عقيدة أهل السنة والجماعة» لابن عثيمين (ص ١٢).

خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾[يس:٧١]؛ يراد به التعظيم والمطابقة بين المضاف والمضاف إليه وهو «نا» المفيد للتعظيم دون حقيقة العدد، وحينئذ لا يصادم التثنية.

فإن قيل: فما تصنعون بقوله تعالى يخاطب موسى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[طه:٣٩]؛ حيث جاءت بالإفراد؟

قلنا: لا مصادمة بينها وبين التثنية؛ لأن المفرد المضاف لا يمنع التعدد فيما كان متعدداً، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[إبراهيم:٣٤ والنحل:١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[المائدة:٧]، فإن النعمة اسم مفرد، ومع ذلك فأفرادها لا تحصى.

وبهذا تبيَّن ائتلاف النصوص واتفاقها وتلاؤمها، وأنها -ولله الحمد- كلها حق، وجاءت بالحق، لكنها تحتاج في بعض الأحيان إلى تأمل وتفكير، بقصد حسن، وأداة تامة، بحيث يكون عند العبد صدق نية بطلب الحق واستعداد تام لقبوله، وعلم بمدلولات الألفاظ، ومصادر الشرع وموارده، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[النساء:٨٢]، فَحَثَّ على تدبر القرآن الكريم، وأشار إلى أنه بتدبره يزول عن العبد ما يجد في قلبه من الشبهات، حتى يتبيَّن له أن القرآن حق يصدِّق بعضه بعضاً. والله المستعان»[١].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١/١٥٢-١٥٣.

إثبات اليَدَين للّه عَزَّوَجَلَّ:

قال الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[المائدة:٦٤].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[الفتح:١٠].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(١).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ...الحديث»(٢).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي

---

(١) أخرجه مسلم ٣١-(٢٧٥٩).

(٢) أخرجه البخاري ٣٣٤٠ ومسلم ١٩٤.

فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[1].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»، وَقَالَ: «يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، وَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ المِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»[2].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»[3].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ (وفي رواية: وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللهِ إِلَّا الطَّيِّبُ)؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيْهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ[4]، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ»[5].

قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي هَذَا الحَدِيثِ وَمَا يُشْبِهُ هَذَا مِنَ الرِّوَايَاتِ مِنَ الصِّفَاتِ، وَنُزُولِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالُوا: قَدْ تَثْبُتُ الرِّوَايَاتُ فِي هَذَا وَيُؤْمَنُ بِهَا وَلَا يُتَوَهَّمُ وَلَا يُقَالُ:

---

(١) أخرجه البخاري ٧٥١٨ ومسلم ٢٨٢٩.

(٢) أخرجه البخاري ٧٤١١ ومسلم (٩٩٣).

(٣) أخرجه مسلم ١٨-(١٨٢٧).

(٤) (فُلُوَّهُ) مُهْره، وهو الصغير من الخيل.

(٥) أخرجه البخاري ١٤١٠ ومسلم ٦٣-(١٠١٤).

كَيْفَ؟ هَكَذَا رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، أَنَّهُمْ قَالُوا فِي هَذِهِ الأَحَادِيثِ: أَمِرُّوهَا بِلَا كَيْفٍ. وَهَكَذَا قَوْلُ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَأَمَّا الجَهْمِيَّةُ فَأَنْكَرَتْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَقَالُوا: هَذَا تَشْبِيْهٌ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابهِ اليَدَ وَالسَّمْعَ وَالبَصَرَ، فَتَأَوَّلَتِ الجَهْمِيَّةُ هَذِهِ الآيَاتِ فَفَسَّرُوهَا عَلَى غَيْرِ مَا فَسَّرَ أَهْلُ العِلْمِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ آدَمَ بِيَدِهِ، وَقَالُوا: إِنَّ مَعْنَى اليَدِ هَاهُنَا القُوَّةُ.

وقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: إِنَّمَا يَكُونُ التَّشْبِيهُ إِذَا قَالَ: يَدٌ كَيَدٍ، أَوْ مِثْلُ يَدٍ، أَوْ سَمْعٌ كَسَمْعٍ، أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ، فَإِذَا قَالَ: سَمْعٌ كَسَمْعٍ، أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ، فَهَذَا التَّشْبِيْهُ.

وَأَمَّا إِذَا قَالَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَدٌ، وَسَمْعٌ، وَبَصَرٌ، وَلَا يَقُولُ كَيْفَ، وَلَا يَقُولُ: مِثْلُ سَمْعٍ، وَلَا كَسَمْعٍ، فَهَذَا لَا يَكُونُ تَشْبِيهًا، وَهُوَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾. انتهى كلام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

وقال أبو الحسن الأشعري:

«وأَجْمَعُوا على أنَّه عَزَّ وَجَلَّ يَسْمَعُ ويَرَى، وأنَّ له تعالى يَدَين مبسوطَتَين»[2].

---

(١) سنن الترمذي عقب الحديث رقم (٦٦٢).

(٢) «رسالة إلى أهل الثغر» (ص٢٢٥).

وقال أبو بكر الإسماعيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وخلق آدم عليه السلام بيده، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء، بلا اعتقاد كيف يداه، إذ لم ينطق كتاب الله تعالى فيه بكيف»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إنَّ لله تعالى يدين مختصتان به ذاتيتان له كما يليق بجلاله»[٢].

إثبات الأصابع للّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»[٣].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ -أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ- إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ، تَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧][٤].

---

(١) «اعتقاد أئمة الحديث» (ص٥١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٦/٢٦٣).

(٣) أخرجه مسلم ١٧-(٢٦٥٤).

(٤) أخرجه البخاري ٧٥١٣ ومسلم ١٩-(٢٧٨٦).

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«والإصْبَع المذكورة في الحديث صفةٌ من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك كلُّ ما جاء به الكتاب أو السُّنَّة من هذا القبيل من صفات الله تعالى؛ كالنَّفس، والوجه، والعين، واليد، والرِّجل، والإتيان، والمجيء، والنُّزُول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك، والفرح»[(١)].

إثبات الرِّجْل وَالْقَدَم للَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟!، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ (وفي رواية: قَدَمَهُ) فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا»[(٢)].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ (وفي رواية: رِجْلَهُ)، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ.

---

(١) «شرح السُّنَّة» (١٦٨/١).

(٢) أخرجه البخاري ٤٨٥٠ و٧٤٤٩ ومسلم ٣٥-(٢٨٤٦).

وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ»[1].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «الْكُرْسِيُّ: مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يُقْدَرُ قَدْرُهُ»[2].

إثبات السمع والبصر للَّه عَزَّ وَجَلَّ:

قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[المجادلة:١].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾[آل عمران: ١٨١].

وقال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[الزخرف: ٨٠].

وقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[طه: ٤٦].

وقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾[العلق:١٤].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ. وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٨-٢١٩].

وقال: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٨٤٨ ومسلم ٢٨٤٨.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد رقم ١٥٤، والحاكم ٢/ ٢٨٢ وصححه، وهو كذلك، وهو أَثَر موقوف وله حكم المرفوع لأنه مما لا يقال بالرأي.

إثبات صفات: المكر والكيد والمِحال للَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على ما يليق بجلاله:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾[الرعد: ١٣].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾[آل عمران: ٥٤].

وقال: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[النمل:٥٠].

وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا. وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[الطارق: ١٥-١٦].

إثبات العفو والمغفرة والعزة والقدرة للَّه عَزَّ وَجَلَّ:

قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾[النساء: ١٤٩].

وقال ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النور: ٢٢].

وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون: ٨].

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[ص: ٨٢].

إثبات الاسم للَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٧٨].

وقال: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم: ٦٥].

إثبات الكلام والحديث والصوت للَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[الأنعام: ١١٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مِنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾[البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[الأعراف: ١٤٣]

وقال عَزَّوَجَلَّ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[الأنعام: ١١٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[النساء:١٢٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾[المائدة: ١١٦].

وقال: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[مريم:٥٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[الشعراء: ١٠].

وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[(١)].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ -أُرَاهُ قَالَ- تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الوَلِيدُ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ»، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ

(١) أخرجه البخاري ٧٥١٢ ومسلم ٦٧-(١٠١٦).

وُجُوهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الأَبْيَضِ -أَوْ كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ- وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا[1].

وعن عبدِ اللهِ بن أُنَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ- عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا» قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ» قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟ قَالَ: «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٧٤١.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٠٤٢) ومن طريقه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٢/١٣) (٣٣١) والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٥٠) وفي «خلق أفعال العباد» (ص٩٨) وتعليقاً في «الجامع الصحيح» (١٤١/٩) وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٥١٤) والحاكم في «المستدرك» (٣٦٣٨) وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٠٠) وصححه الحاكم وأقره الذهبي. والحديث من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر، عن عبد الله بن أنيس، به. وعبد الله بن محمد بن عقيل ليس بالقوي، ولكنه متابَع من وجه آخر عن جابر، أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٥٦) ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٨٦/٧٢) وتمام في «الفوائد» (٩٢٨) وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١٨٤/١): «إسناده صالح» وهو كذلك.

قال الإمام البخاري تعقيباً على هذا الحديث:

«وإنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ ينادي بصوتٍ يسمعه مَن بَعُدَ كما يسمعه مَن قَرُبَ، فليس هذا لغير الله جَلَّ ذِكره، وفي هذا دليلٌ أنَّ صوت الله لا يشبه أصوات الخَلْقِ؛ لأنَّ صوت الله جل ذِكره يُسمَعُ من بُعْدٍ كما يُسمَعُ من قُرْبٍ، وأنَّ الملائكة يُصعَقُون من صوته؛ فإذا تَنَادَى الملائكة؛ لم يُصعَقُوا»(١).

وقال أبو بكر الخلال: أخبرني علي بن عيسى أنَّ حنبلاً حدثهم؛ قال: قلت لأبي عبد الله (يعني أحمد بن حنبل): الله يكلم عبده يوم القيامة؟ قال: نعم؛ فمن يقضي بين الخلائق إلا الله عَزَّوَجَلَّ؟! يكلم عبده ويسأله، الله متكلم، لم يزل الله متكلماً؛ يأمر بما يشاء، ويحكم بما يشاء، وليس له عدل ولا مثل، كيف شاء وأين شاء(٢).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: «سألت أبي رحمه الله عن قوم يقولون: لمَّا كلم الله عَزَّوَجَلَّ موسى لم يتكلم بصوت، فقال أبي: بلى؛ إن ربك عَزَّوَجَلَّ تكلم بصوت، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت»(٣).

إثبات الفرح لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «للَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ

---

(١) «خلق أفعال العباد» للإمام البخاري (ص ١٤٩).

(٢) انظر: «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد» (١/٢٨٨).

(٣) المصدر السابق، و«الجامع لعلوم الإمام أحمد- العقيدة» (٣/٣٢٩).

فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»(١).

إثبات الضحك للَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلاَنِ الجَنَّةَ: يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى القَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ»(٢).

قال الإمام ابن خزيمة: «باب: ذكر إثبات ضحك ربنا عَزَّ وَجَلَّ: بلا صفةٍ تصفُ ضحكه جلَّ ثناؤه، لا ولا يشبَّهُ ضَحِكُه بضحك المخلوقين، وضحكهم كذلك، بل نؤمن بأنه يضحك؛ كما أَعْلَمَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونسكت عن صفة ضحكه جلَّ وعلا، إذ الله عَزَّ وَجَلَّ استأثر بصفة ضحكه، لم يطلعنا على ذلك؛ فنحن قائلون بما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مصَدِّقون بذلك بقلوبنا، منصتون عمَّا لم يبين لنا مما استأثر الله بعلمه»(٣).

وقال أبو بكر الآجري: «باب الإيمان بأن الله عَزَّ وَجَلَّ يضحك: اعلموا - وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل- أنَّ أهل الحق يصفون الله عَزَّ وَجَلَّ بما وصف به نفسه عَزَّ وَجَلَّ، وبما وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبما وصفه به

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٨ و ٦٣٠٩)، ومسلم (٤٩٢٧- ٤٩٣٣).

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٢٦ ومسلم ١٨٩٠.

(٣) كتاب «التوحيد» (٥٦٣/٢).

الصحابة رضي الله عنهم. وهذا مذهب العلماء مِمَّن اتَّبَعَ ولم يَبْتَدِعْ، ولا يقال فيه: كيف؟ بل التسليم له، والإيمان به؛ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يضحك، كذا روي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن صحابته رضي الله عنهم؛ فلا ينكر هذا إلا من لا يحمد حاله عند أهل الحق»(١).

إثبات العَجَب للَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ»(٢).

إثبات العُلُوِّ والفوقيَّة للَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

عُلُوُّ الله تعالى ينقسم إلى قسمين: علو ذات، وعلو صفات.

فأما علو الصفات فمعناه: أنه ما من صفة كمال إلا ولله تعالى أعلاها وأكملها.

وأما علو الذات فمعناه: أن الله بذاته فوق جميع خلقه، وقد دل على ذلك: الكتاب، والسنة، والإجماع، والفطرة.

فأما الكتاب والسنة فهما مملوءان بما هو نص أو ظاهر في إثبات علو الله تعالى بذاته فوق خلقه.

فمن القرءان:

قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[البقرة: ٢٥٥].

وقوله تعالى: ﴿سَبِّح اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[الأعلى: ١].

---

(١) «الشريعة» (ص ٢٧٧).

(٢) أخرجه البخاري ٣٠١٠.

وقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[الرعد: ٩].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[الأنعام: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[النحل: ٥٠].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الأَرْضَ﴾ [الملك:١٦].

قال الإمام ابن أبي زيد القيرواني: «وأنه فوق عرشه المجيد بذاته، وهو في كل مكان بعلمه، خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، على العرش استوى وعلى الملك احتوى، وله الأسماء الحسنى والصفات العُلَى»[١].

وقال الإمام البيهقي في كتاب «الاعتقاد»[٢] في الكلام على قوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء﴾[الملك:١٦]: «أراد مَن فوق السَّماء، كما قال: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[طه:٧١]، بمعنى: على جذوع النخل، وقال: ﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ﴾[التوبة:٢] أي: على الأرض. وكل ما عَلَا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات، فمعنى الآية: أأمنتم من على العرش، كما صرَّح به في سائر الآيات.

قال: وفيما كتبنا من الآيات دلالةٌ على إبطال قول من زَعَمَ من الجهميَّة أنَّ الله بذاته في كلِّ مكان، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، إنَّما أراد بعِلمه لا بذاته». انتهى.

---

(١) «الرسالة» لابن أبي زيد القيرواني (ص٥).

(٢) «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث» للإمام البيهقي ص ١١٢-١١٤.

ومن السُّنَّة في إثبات عُلُوِّ الله وأن الله تعالى في السماء:

١ - حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حديث طويل وفيه قول النبي ﷺ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً»(١).

٢ - وحديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في وصف حجة النبي ﷺ وفي خطبته بعرفة، وفي آخرها قول الرسول ﷺ: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(٢).

وفيه إشارة حِسيَّة بيد النبي ﷺ تدل على علوِّ الله سبحانه وتعالى في السماء، قال ابن أبي العز الحنفي:

«أشار إليه مَن هو أعلم به وبما يجب له ويمتنع عليه من جميع البشر، لمَّا كان بالمجمع الأعظم الذي لم يجتمع لأحد مثله، في اليوم الأعظم في المكان الأعظم... فكأَنَّا نشاهد تلك الإصبع الكريمة وهي مرفوعة إلى الله، وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع إصبعه إليه: اللّهم اشهد»(٣).

٣ - وحديث معاوية بن الحكم السُّلَمِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ،

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٥١ ومسلم ١٠٦٤

(٢) أخرجه مسلم ١٤٧-(١٢١٨).

(٣) شرح الطحاوية ص٣٤٨

لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «ائْتِنِي بِهَا» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»[1].

قال الإمام أبو سعيد الدارمي:

«وَفِي قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَيْنَ اللَّهُ؟» تَكْذِيبٌ لِقَوْلِ مَنْ يَقُولُ: هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَا يُوصَفُ بِـ«أَيْنَ»، لِأَنَّ شَيْئًا لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ يَسْتَحِيلُ أَنْ يُقَالَ: «أَيْنَ هُوَ؟»، وَلَا يُقَالُ: «أَيْنَ» إِلَّا لِمَنْ هُوَ فِي مَكَانٍ يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ.

وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَدَّعِي هَؤُلَاءِ الزَّائِغَةُ لَأَنْكَرَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْلَهَا وَعِلْمَهَا، وَلَكِنَّهَا عَلِمَتْ بِهِ، فَصَدَّقَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَشَهِدَ لَهَا بِالْإِيمَانِ بِذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ كَمَا هُوَ فِي السَّمَاءِ لَمْ يَتِمَّ إِيمَانُهَا حَتَّى تَعْرِفَهُ فِي الْأَرْضِ، كَمَا عَرَفَتْهُ فِي السَّمَاءِ.

فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ عَرْشِهِ، فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ بِذَلِكَ لَمْ يَعْرِفْ إِلَهَهُ الَّذِي يَعْبُدُ، وَعِلْمُهُ مِنْ فَوْقِ الْعَرْشِ بِأَقْصَى خَلْقِهِ وَأَدْنَاهُمْ وَاحِدٌ، لَا يَبْعُدُ عَنْهُ شَيْءٌ ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُهُ الْمُعَطِّلُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا»[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٣٣-(٥٣٧).

(٢) «الرد على الجهمية» للإمام أبي سعيد الدارمي ص ٤٦.

٤ - وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي» وفي رواية: «سَبَقَتْ غَضَبِي»[١].

٥ - وحديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقِ اللَّهَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ»، قَالَ أَنَسٌ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا لَكَتَمَ هَذِهِ، قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ»[٢].

وقد ذكر بعض كبار أصحاب الإمام الشافعي أن أدلة علو الله تعالى بذاته على خلقه في كتاب الله تعالى تزيد على ألف دليل.

وقد جمع هذه الأدلة الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب «العرش»، والموفق ابن قدامة في كتاب «إثبات علو الله تعالى على عرشه»، والحافظ الذهبي في كتاب «العلو للعلي الغفار»، وأبو محمد الجويني في رسالة «إثبات الاستواء والفوقية»، والإمام ابن القيم في كتاب «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وغيرهم.

وقال ابن أبي العز الحنفي بعد ذكره ثمانية عشر نوعاً من أدلة إثبات علو الله بذاته على خلقه، قال:

«وهذه الأنواع من الأدلة لو بُسِطَتْ أفرادُها لبلغت نحو ألف دليل، فعلى المتأَوِّل أن يجيب عن ذلك كله! وهيهات له بجواب صحيح عن بعض ذلك!»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٩٤ ومسلم ١٤-(٢٧٥١).

(٢) أخرجه البخاري ٧٤٢٠.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٦٧.

وأما دليل الإجماع على علوِّ الله:

فقد أجمع الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة أهل السنة على أن الله تعالى عالٍ على خلقه بذاته، مُستَوٍ على عرشه، وكلامهم في ذلك مشهور ومتواتر.

قال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«كُنَّا وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتِ السُّنَّةُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ جَلَّ وَعَلَا»(١).

وقد حكى أبوعبد الله القرطبي المالكي إجماع السلف على علو الله في السماء، قال: «قد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة، ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة»(٢).

ولم يقل أحد من السلف قط: إن الله ليس في السماء، ولا أنه بذاته في كل مكان، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء(٣).

وأما دليل الفطرة على علوِّ الله:

فإن جميع العباد بطباعهم إذا أرادوا دعاء الله تعالى والتضرع إليه

---

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٥) وقد صحح إسناده ابن تيمية كما في مجموع الفتاوي ٣٩/٥، وجَوَّدَهُ الحافظ ابن حجر في الفتح في التوحيد باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ ٤٠٦/١٣.

(٢) تفسير القرطبي ٢١٩/٧، تفسير الآية ٥٤ من سورة الأعراف.

(٣) «تسهيل العقيدة الإسلامية» ص١١٣.

رفعوا أيديهم، واتجهت قلوبهم جهة العلو، فالله تعالى قد فطر قلوب عباده على التوجه في دعائه إلى الجهة العلوية، وهذا يدل على أنه تعالى بذاته فوق جميع مخلوقاته[1].

وقد روى الحافظ أبو منصور بن الوليد بإسناده إلى أبي جعفر بن أبي علي الهمداني الحافظ، قال: سمعت أبا المعالي الجويني وقد سُئل عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، فقال: كان الله ولا عرش. وجعل يتخبط في الكلام. فقلت: قد عَلِمنا ما أَشَرتَ إليه، فهل عندك للضرورات من حيلة؟، فقال: ما تريد بهذا القول وما تعني بهذه الإشارة؟، فقلت: ما قال عارف قط: يا رَبَّاه، إلا قبل أن يتحرك لسانه؛ قام من باطنه قصد لا يلتفت يُمنة ولا يُسرة يقصدُ الفوقَ، فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة؟ فَنَبِّئْنَا نتخلص من الفوق والتحت!. وبكيت، وبكى الخلق، فضرب الأستاذ بكمه على السرير وصاح: يا لَلْحَيرة!، ونزل، ولم يجبني إلا: يا حبيبي الحَيرة الحَيرة، والدَّهْشَة الدَّهْشَة!. فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون: سمعناه يقول: حَيَّرَني الهَمْدَاني[2].

إثبات استواء اللَّه على عرشه:

قال الله ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[الأعراف:٥٤]، و[يونس:٣]، و[الرعد:٢]، و[الفرقان:٥٩]، و[السجدة:٤]، و[الحديد:٤].

---

(١) المصدر السابق ص١١٣.

(٢) ذكر هذه القصة الحافظ الذهبي في «العلو» ص٢٥٩، وقال الشيخ الألباني في «مختصر العلو» ص٢٧٧: «إسناد هذه القصة صحيح مسلسل بالحفاظ».

معنى الاستواء:

إذا جاء لفظ الاستواء مقيداً بـ (على) فمعناه في لغة العرب: العلو على الشيء والاستقرار عليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف:١٣]، والمعنى لتعلُوا على ظهورها، وتستقروا عليها، وكما في قوله تعالى عن سفينة نوح عليه السلام: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود:٤٤] أي استقرت على جبل الجودي، وكما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨] أي استقررت عليه، ويقال: استوى فلان على سطح المنزل إذا صعد عليه وعلاه واستقر عليه.

أما العرش فهو في اللغة: السرير الذي للملك، كما قال تعالى عن بلقيس: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣][(١)].

وعرش الله تعالى سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، كما ورد في النصوص الشرعية، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ

---

(١) انظر «تأويل مختلف الحديث» شرح حديث النزول ص١٨٢ للإمام اللغوي أبي محمد بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ، و«الصحاح» للإمام اللغوي إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٣هـ، مادة (سوي)، ومادة (عرش)، و«شرح اعتقاد أهل السنة» للالكائي ٦٦٨ نقلاً عن إمام العربية أبي العباس ثعلب المتوفى سنة ٢٩١هـ، و«مختصر الصواعق المرسلة» للحافظ ابن القيم ص٣٦٠-٣٦٨، و«المصباح المنير» للفيومي، مادة (سوي)، و«فتح رب البرية» ٣٥/٤-٤٥.

يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧]. وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبيﷺ قال: «لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ»(١).

وقال الحافظ ابن كثير: «العرش في اللغة: عبارة عن السرير الذي للمَلِك، كما قال تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]... فهو أي عرش الرحمن جل وعلا سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات»(٢).

وقال ابن كثير أيضاً: «والصحيح أن الكرسي غير العرش، والعرش أكبر منه، كما دلت على ذلك الآثار والأخبار»(٣).

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: «الْكُرْسِيُّ: مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يُقْدَرُ قَدْرُهُ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري ٦٩١٧ ومسلم ١٦٢ - (٢٣٧٤).

(٢) «البداية والنهاية» ٢٠/١.

(٣) «تفسير القرءان العظيم» لابن كثير ٦٨١/١.

(٤) رواه وكيع في تفسيره كما في تفسير ابن كثير ٦٨٠/١، ومن طريقه عبد الله بن أحمد بن حنبل في «السنة» ٥٨٦، والدارمي في الرد على المريسي ص٤٢٥، ٤٢٩، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٦٠١، والطبراني في المعجم الكبير١٢٤٠٤، وابن خزيمة في كتاب التوحيد رقم ١٥٤، والحاكم ٢٨٢/٢، والبيهقي في الأسماء والصفات ٧٥٨، والمقدسي في المختارة ٣١٠/١٠، ٣١١ وإسناده حسن.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَلَهُ أَطِيطٌ كَأَطِيطِ الرَّحْلِ»[1].

معنى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]:

روى البخاري في صحيحه في التوحيد باب: وكان عرشه على الماء، تعليقاً عن التابعي الجليل مجاهد بن جبر أنه قال: «استوى: عَلَا على العرش».

وروى البيهقي من طريق أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ، ثنا أبو جعفر أحمد بن زَيْرَك اليزدي، سمعت محمد بن عمرو بن النضر النيسابوري يقول: سمعت يحيى بن يحيى يقول: كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥] فَكَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: فَأَطْرَقَ مَالِكٌ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلَاهُ الرُّحَضَاءُ[2]، ثُمَّ قَالَ: «الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا». فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُخْرَجَ[3].

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» ٥٨٨ عن أبيه، ومحمد بن أبي شيبة في «العرش» وابن جرير الطبري في تفسيره (٩/٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» ٦٢٧/٢، وابن منده في «الرد على الجهمية» ص ٤٦، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٥٠٩، ٥١٠ من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني أبي قال: سمعت محمد بن جحادة، عن سلمة بن كهيل، عن عمارة بن عمير، عن أبي موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: وذكره. وإسناده صحيح.

(٢) الرُّحَضَاء»: هُوَ عَرَقٌ يَغْسِلُ الجِلْدَ لِكَثْرَتِهِ. «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير الجزري (٢٠٨/٢).

(٣) «الأسماء والصفات» (٨٦٧) و«الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد» (ص١١٩).

وروى البيهقي[1] عقب هذا بنحوه عن ربيعة شيخ الإمام مالك.

وقال الحافظ أبوعمر الطلمنكي المالكي المولود سنة ٣٣٩هـ: «قال أبوعبيدة معمر بن المثنى: استوى: عَلَا. وتقول العرب استويتُ على ظهر الفرس بمعنى: علوتُ عليه».

وروى الدارقطني عن الإمام اللغوي أبي العباس ثعلب المتوفى سنة ٢٩١هـ أنه قال في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾: عَلَا[2].

وروى اللالكائي عن بشر بن عمر، وهو من أئمة السلف، توفي سنة ٢٠٧هـ أنه قال: «سمعت غير واحد من المفسرين يقولون: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾: ارتفع[3].

وروى البخاري في صحيحه في الموضع السابق تعليقاً عن التابعي الجليل أبي العالية الرياحي أنه قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: ارتفع.

ووصله ابن أبي حاتم في تفسيره[4] وقال: « وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ مِثْلُهُ».

وقال الحافظ أبوعمر الطلمنكي المالكي المولود سنة ٣٣٩هـ: «قال عبد الله بن المبارك ومن تابعه من أهل العلم وهم كثير: إن معنى استوى على العرش: استقر».

---

(١) ص(٨٦٨).

(٢) ينظر «شرح اعتقاد أهل السنة» للالكائي ٦٦٨.

(٣) «شرح اعتقاد أهل السنة» ٦٦٢.

(٤) ص ٣٠٨.

وقال الإمام اللغوي أبو محمد بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ في كتابه «تأويل مختلف الحديث» في شرح حديث النزول[١]: «قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أي استقر، كما قال: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ﴾ أي استقررت».

وقال الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر المالكي الأندلسي المولود سنة ٣٦٨هـ في كتابه «التمهيد»[٢] في شرح حديث النزول بعد ذكره للآيات الدالة على استواء الله على عرشه: «أما ادِّعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل: استوى: استولى. فلا معنى له؛ لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة، والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أُنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله عَزَّوَجَلَّ إلى الأشهر والأظهر من وجوهه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مُدَّعٍ، ما ثبت شيء من العبارات، وجل الله عَزَّوَجَلَّ أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها، مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه».

وقال الحافظ الذهبي في «العلو»[٣] عند ذِكْرِ أبي أحمد الكرجي

---

(١) ص١٨٢.

(٢) ١٣١/٧.

(٣) (٥٢٠).

القصاب المتوفى في حدود سنة ٣٦٠هـ: «قال العلَّامة أبو أحمد الكرجي في عقيدته التي ألفها فكتبها الخليفة القادر بالله وجمع الناس عليها، وذلك في صدر المائة الخامسة، وفي آخر أيام الإمام أبي حامد الاسفراييني شيخ الشافعية ببغداد، وأمر باستتابة من خرج عنها من معتزلي، ورافضي، وخارجي، فمما قال فيها: كان ربنا عَزَّوَجَلَّ وحده لا شيء معه ولا مكان يحويه، فخلق كل شيء بقدرته، وخلق العرش لا لحاجة إليه، فاستوى عليه استواء استقرار كيف شاء وأراد، لا استقرار راحة كما يستريح الخلق».

وقال أبوعبد الله القرطبي المالكي المتوفى سنة ٦٧١هـ في تفسيره، تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ قال: «الاستواء في كلام العرب هو العلو والاستقرار»[(١)].

وهذا هو التفسير الصحيح لاستواء الله تعالى على عرشه، أما تفسير المعتزلة والجهمية ومن تبعهم الاستواء بالاستيلاء فهو تفسير خاطئ، وتأباه اللغة العربية التي نزل بها القرآن كما ذكر ذلك الإمام اللغوي أبو عبد الله بن الأعرابي المولود سنة ١٥١هـ كما روى ذلك عنه البيهقي في الأسماء والصفات واللالكائي. وأقر نفطويه إمام العربية المتوفى سنة ٢٤٣هـ ابن الأعرابي على ذلك[(٢)].. كما أن تفسير الاستواء بالاستيلاء تفسير ينزَّه الله تعالى عنه، وهذا شأن من حكَّم عقله في صفات الله تعالى التي لا يحيط بها علماً، فهو يريد أن يُنَزِّهَ الله، فيؤَوِّل

---

(١) تفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرءان» ٧/٢٢٠.

(٢) ينظر «العلو» للذهبي ٤٩٦.

خوفاً من التشبيه، فيقع في شَرٍّ مما فَرَّ منه!.

وقال أبو الحسن الأشعري:

«وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ إنه استولى ومَلَكَ وقَهَرَ، وإن الله عَزَّوَجَلَّ في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض، فالله سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عَزَّوَجَلَّ مستول على الأشياء كلها لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأفراد، لأنه قادر على الأشياء مستول عليها، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ مستو على الحشوش والأخلية لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معناه: استواء يختصُّ العرشَ دون الأشياء كلها»[١].

وقد أبطل شيخ الإسلام ابن تيمية تفسير الاستواء بالاستيلاء من اثني عشر وجهاً[٢]، وأبطله الحافظ ابن القيم من واحد وأربعين وجهاً[٣].

---

(١) «الإبانة» ص٨٦- ٨٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١٤٤/٥-١٤٩.

(٣) ينظر مختصر الصواعق ص٣٥٢-٣٦٨، وينظر شرح النونية لابن عيسى ٤٤٠/١، ٤٤١، وتسهيل العقيدة (ص١٢٥).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الاستواء في اللغة العربية يأتي لازماً، ويأتي متعدياً إلى المعمول بحرف الجر، ويأتي مقروناً بواو المعية. فهذه ثلاثة وجوه للاستواء. أما الأول وهو أن يأتي مطلقاً غير مقيد بالمعمول ولا بواو المعية فإنه يكون بمعنى الكمال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ أي: كمل. ومنه قول الناس في لغتهم العامية: استوى الطعام. أي: كمل نضجه. والوجه الثاني أن يأتي مقروناً بواو المعية، فيكون بمعنى التساوي، كقولهم: استوى الماء والخشبة. أي: تساوَيَا. والثالث يأتي معدًّى بحرف الجر، فإن عُدِّيَ بِعَلَى صار معناه العلو والاستقرار، وإن عدِّي بإلَى فقد اختلف المفسرون فيه، فمنهم من يقول إنه بمعنى الارتفاع والعلو، ومنهم من يقول: إنه بمعنى القصد والإرادة. مثال المعدَّى بعلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وقوله بعد ذلك في سبعة مواضع في القرآن الكريم. ومثال المعدَّى بإلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[فصلت:١١]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾[البقرة:٢٩]، ولذلك اختلف المفسرون في الاستواء، استوى هنا، فبعضهم قال: معناها على السماء. ومنهم من قال: معناها قَصَدَ وأَرَاد. وعلى كلٍّ فاستواء الله على العرش من الصفات الثابتة التي يجب على المؤمن أن يؤمن بها، وهو أن الله تعالى استوى على عرشه؛ أي: عَلَا عليه علواً خاصاً ليس كعلو على سائر المخلوقات، بل هو علو خاص بالعرش كما قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾[غافر:١٥]، ولكن هذا الاستواء ليس معلوماً لنا في

كيفيته؛ لأنه لا يمكن الإحاطة بها، ولم يخبرنا الله عنها ولا رسوله. ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه الله عن قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ فأطرق برأسه حتى علاه العرق ثم قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة». ونحن نعلم معنى الاستواء ونؤمن به ونقره، وهو أنه سبحانه وتعالى عَلَا عرشه واستوى عليه عُلُوًّا واستقراراً يليق به سبحانه وتعالى، ولكننا لا نعلم كيفية هذا الاستواء، فالواجب علينا أن نمسك عن الكيفية، وأن نؤمن بالمعنى. وأما قول من قال إن معنى استوى على العرش أي استولى عليه؛ فهذا قول لا يصح، وهو مخالف لما كان عليه السلف ولما تدل عليه هذه الكلمة في اللغة العربية، فلا يعول عليه، بل هو باطل، ولو كان معنى استوى استولى للزم أن يكون الله تعالى مستولياً على شيء؛ لأنه سبحانه وتعالى مستولٍ على كل شيء، وللزم أن يكون العرش قبل هذا ليس ملكاً لله بل ملكاً لغيره ثم استولى عليه من غيره، وهذه مَعَانٍ باطلة لا تليق بالله سبحانه وتعالى»[1].

قال الإمام أبو محمد الجويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ونؤمن بأنه الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، السميع البصير العليم القدير، الرحمن الرحيم، الملك القدوس العظيم، لطيف خبير، قريب مجيب، متكلم مريد فعال لما يريد، يقبض ويبسط، ويرضى ويغضب، ويحب ويبغض، ويكره ويضحك، ويأمر وينهى، ذو الوجه الكريم والسمع السميع والبصر البصير، والكلام المبين، واليدين

---

(١) فتاوى نور على الدرب، شريط (١٠٩).

والقبضتين، والقدرة والسلطان والعظمة والامتنان، لم يزل كذلك ولا يزال، استوى على عرشه فبان من خلقه، لا يخفى عليه منهم خافية، علمه بهم محيط، وبصره بهم نافذ، وهو في ذاته وصفاته لا يشبهه شيء من مخلوقاته، ولا يمثل بشيء من جوارح مبتدعاته، وهي صفات لائقة بجلاله وعظمته لا تتخيل كيفيتها الظنون، ولا تراها في الدنيا العيون، بل نؤمن بحقائقها وثبوتها واتصاف الرب تعالى بها، وننفي عنها تأويل المتأولين، وتعطيل الجاحدين، وتمثيل المشبِّهين، تبارك الله أحسن الخالقين، فبهذا الرب نؤمن، وإياه نعبد، وله نصلي ونسجد، فمن قصد بعبادته إلى إله ليست له هذه الصفات؛ فإنما يعبد غيرَ الله، وليس معبوده ذلك بإله فكفرانه لا غفرانه»[1].

إثبات مَعِيَّة اللَّه لخَلْقِهِ:

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الحديد: ٤].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[المجادلة:٧].

وقال تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[طه: ٤٦].

---

(١) «رسالة في إثبات الاستواء والفوقية» لأبي محمد الجويني ص ٢٧-٢٨.

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[النحل: ١٢٨].

وقال ﷻ: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[الأنفال: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة:٢٤٩].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وليس معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، بل القمر آية من آيات الله تعالى، من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان»(٢).

إثبات نزول اللَّه ﷻ إلى السماء الدنيا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري ٧٤٠٥ ومسلم ٢-(٢٦٧٥).

(٢) «العقيدة الواسطية» (ص١١٥).

(٣) أخرجه البخاري ١١٤٥ ومسلم ٧٥٨.

قال أبو سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية»[١] بعد أن ذكر ما يثبت النُّزول من أحاديث رسول الله ﷺ: «فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها».

وقال إمام الأئمة محمد بن خزيمة في «كتاب التوحيد»[٢]: «باب: ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام، رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ في نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة: نشهد شهادة مُقِرٍّ بلسانه، مُصَدِّقٍ بقلبه، مُستَيقِنٍ بما في هذه الأخبار من ذكر نُزول الرب، من غير أن نصف الكيفية؛ لأنَّ نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأَعلَمَنا أنه يَنْزل، والله جل وعلا لم يترك ولا نبيُّهُ عليه السلام بيانَ ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم؛ فنحن قائلون مصدِّقون بما في هذه الأخبار من ذكر النُّزول، غير متكلِّفين القول بصفته أو بصفة الكيفية؛ إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النُّزول. وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح أنَّ الله جل وعلا فوق سماء الدنيا الذي أخبرنا نبينا ﷺ أنه يَنْزل إليه، إذ محال في لغة العرب أن يقول: نزل من أسفل إلى أعلى، ومفهوم في الخطاب أنَّ النُّزول من أعلى إلى أسفل».

---

(١) ص ٧٩.

(٢) (٢٨٩/١).

وقال أبو القاسم اللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»[1]: «سياق ما روي عن النبي ﷺ في نزول الرب تبارك وتعالى، رواه عن النبي ﷺ عشرون نفساً».

وقال الإمام ابن جرير الطبري في «التبصير في معالم الدين»[2] في «فصل: القولُ فيما أُدرك علمه من صفات الصانع خبراً لا استدلالاً: وذلك نحو إخبار الله تعالى ذِكره إيَّانا أنه سميعٌ بصيرٌ، وأنَّ له يَدَيْن، بقوله ﴿بَل يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾... وأنه يَهْبِطُ إلى السماء الدنيا لخبر رسول الله ﷺ».

قال أحمد بن سعيد بن إبراهيم بن عبد الله الرباطي: حضرتُ مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم، وحضر إسحاق بن إبراهيم -يعني: ابن راهويه- فسُئل عن حديث النزول: أصحيحٌ هو؟ قال: نعم. فقال له بعض قواد عبد الله: يا أبا يعقوب، أتزعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال: نعم.

قال: كيف ينزل؟ فقال له إسحاق: أَثْبِتْهُ فوق حتى أصف لك النزول، فقال له الرجل: أَثْبَتُّهُ فوق. فقال له إسحاق: قال الله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر: ٢٢].

فقال الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب، هذا يوم القيامة! فقال إسحاق: أعز الله الأمير، ومَن يجيء يوم القيامة مَن يمنعه اليوم؟!![3].

قال أحمد بن سلمة: سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: جمعني وهذا المبتدع -يعني: إبراهيم بن أبي صالح- مجلس الأمير

---

(١) (٤٣٤/٣).

(٢) ص ١٣٢.

(٣) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» ص ٤٨ برقم(٤٤).

عبد الله بن طاهر، فسألني الأمير عن أخبار النزول فسردتها، فقال إبراهيم: كفرتُ بربٍّ ينزل من سماء إلى سماء. فقلت: آمنتُ بربٍّ يفعل ما يشاء!

قال: فَرَضِيَ عبد الله كلامي وأنكر على إبراهيم(1).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قال بعض الناس: إن الذي ينزل أمر الله، وقال آخرون: الذي ينزل رحمة الله، وقال آخرون: الذي ينزل مَلَكٌ من ملائكة الله، سبحان الله!! هل الرسول ﷺ ما يعرف أن يعبر هذا التعبير لا يعرف أن يقول: تنزل رحمة الله، أو ينزل أمر الله، أو ينزل مَلَكٌ من ملائكة الله؟ الجواب: يعرف أن يعبر، ولو كان المراد ينزل أمره أو رحمته أو ملكه لكان الرسول عليه الصلاة والسلام ملبساً على الأمة حين قال: «ينزل ربنا»، ولم يكن مبيناً للأمة بل ملبساً عليهم، لأن الذي يقول لك: «ينزل ربنا»، وهو يريد ينزل أمره هل وضَّحَ لك وبَيَّنَ أو غَشَّكَ ولَبَّسَ عليك؟ الجواب: غشك ولبس عليك، فإذاً الذي ينزل هو الرب عز وجل، وهذا التحريف -ولا نقول: هذا التأويل، فالقول بأن مثل هذا التحريف تأويل تلطيف للمسألة، وكل تأويل لا يدل عليه دليل فهو تحريف-، نقول: هذا التحريف لا شك أنه باطل، فإذا قلنا: إن الذي ينزل أمر الله في ثلث الليل فمقتضاه:

أولاً: أنه في غير ثلث الليل لا ينزل أمر الله، وأمر الله نازل في كل

---

(1) «الاستواء على العرش» للإمام ابن عبد الهادي ص٦٥، والذهبي في كتابَيه: «العرش» ٢/٢٥١ (٢٢٥) و«العلو» ٢/١١٢٣ (٤٤٧).

لحظة: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[السجدة:٥].

ثانياً: أمر الله ما ينتهي بالسماء الدنيا، قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾، وليس إلى السماء الدنيا فقط، فبطل هذا التحريف من جهة أن الأمر لا يختص بهذا الجزء من الليل، وأن الأمر لا ينتهي إلى السماء بل ينزل إلى الأرض.

ورحمة الله أيضاً نفس الشيء، نقول رحمة الله عز وجل تنزل كل لحظة ولو فقدت رحمة الله من العالم لحظة لهلك، فكل لحظة تنزل الرحمة وتنزل إلى الأرض، إذاً ما الفائدة لنا بنزول الرحمة إلى السماء فقط، إذا لم تصلنا الرحمة فلا فائدة لنا منها، فبطل تفسيره بالرحمة، بل ما يترتب على تفسيره بالأمر أو بالرحمة من اللوازم الفاسدة أعظم مما يتوهمه من صرف اللفظ إلى الأمر أو الرحمة من المفاسد في تفسيره بنزول الله نفسه.

ثالثاً: هل يمكن للأمر أو الرحمة أن تقول: من يدعوني فأستجيب له إلخ؟ الجواب: لا يمكن أن تقول رحمة الله: من يدعوني، ولا يمكن أن يقول أمر الله: من يدعوني، فالذي يقول هو الله عز وجل، كذلك إذا قيل: إن الذي ينزل ملك من ملائكته، نقول: الملك إذا نزل إلى السماء الدنيا لا يمكن أن يقول: من يدعوني، أبداً، لو قال الملك: من يدعوني صار من دعاة الشرك، لأن الذي يجيب الداعي إذا دعاه هو الله عز وجل، فلا يمكن للملك أن يقول هكذا، حتى لو فُرض أن الله أمره أن يقول، لقال: من يدعو الله فيستجيب له، ولا يمكن لملك من الملائكة وهم لا يعصون الله أن يقول: من يدعوني فأستجيب له، وبهذا بطل تحريف هذا الحديث إلى هذا المعنى أن يكون النازل ملكاً.

وتحريف نصوص الصفات من القرآن والسنة يجري فيها هذا المجرى، يعني أن كل التحريفات إذا تأملتها وجدت أنه يترتب عليها من المفاسد أضعاف ما يترتب على المفاسد التي توهموها لو أجروا اللفظ على ظاهره، ولهذا نجد الصحابة رضي الله عنهم سَلِموا من هذا، فلا يوجد عنهم حرف واحد في تحريف نصوص الصفات، لأنه ليس فيها إشكال عندهم، يجرونها على ظاهرها، كما يجرون آيات الأحكام على ظاهرها.

والغريب أن هؤلاء الذين يحرفون في نصوص الصفات وهم لا يستطيعون أن يعقلوها؛ لو حرَّف أحد من نصوص الأحكام مع أن الأحكام مربوطة بالمصالح، والمصالح للعقول فيها مدخل، لو حرَّف أحد في نصوص الأحكام لأقاموا عليه الدنيا، وقالوا: ما يمكن أن تخرج اللفظ عن ظاهره، مع أن الأحكام مربوطة بالمصالح والمصالح للعقل فيها مجال، لكن صفات الله غير مربوطة بهذا، صفات الله طريقها الخبر المجرد، يعني ما فيه تلقٍّ في صفات الله نفياً أو إثباتاً إلا من الكتاب والسنة، ومع ذلك نجد من يلعب بنصوص الكتاب والسنة فيما يتعلق بصفات الله ويحرفها حينما يرى أن العقل يقتضي ذلك، مع أن العقل الذي يدعي أنه يقتضي ذلك، عقل من؟ عقل زَيد أو عَمرو أو بَكر؟!.. كل واحد منهم له عقل يقول: هذا هو الحق، ولهذا تجدهم يتناقضون، بل إن الواحد منهم ينقض كلامه بعضه بعضاً، يؤلف كتاباً فينقض به ما في الكتاب الأول، وهكذا.

حجج تهافت كالزجاج تخالها   حقًّا وكل كاسر مكسور

فهم يتناقضون، لأنهم على غير برهان وعلى غير أساس، فلهذا نقول:

الطريق السليم، والمنهج الحكيم هو: ما درج عليه السلف من إجراء هذه النصوص على ظاهرها».[1]

إثبات قُرْب اللَّه تعالى مِن خَلْقه:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة: ١٨٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيب﴾ [هود:٦١].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وأما دُنُوُّهُ وتَقَرُّبُهُ من بعض عباده؛ فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله، واستواءه على العرش، وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر»[3].

إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ عَنْ رَبِّهِ بِمَا

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى- المجلد الأول - باب النزول ١/ ٢٠٧-٢١٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣٨٤ ومسلم ٤٤-(٢٧٠٤).

(٣) «الفتاوى» (٥/ ٤٦٦).

يُخْبِرُ بِهِ. فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ. كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، مِنْ غَيْرِ: تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ: تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ[1].

إثبات أن القرآن مُنَزَّل من اللّه تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾[الأنعام: ١٥٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[الحشر: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ . وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[النحل: ١٠١-١٠٣].

إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة:

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:٢٢-٢٣].

وقال تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾[المطففين: ٢٤].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[ق: ٣٥].

الصفات المنفية تنزيهاً للّه ونفي المثل عنه:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:٤].

---

(١) «العقيدة الواسطية» ص ٧٥-٨١.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[الإسراء: ١١١].

وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ. عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[المؤمنون: ٩١-٩٢].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا . الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان: ١ - ٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[البقرة:١٦٥].

من ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات:

كان في ماتقدم ذكر طائفة مما ثبت من صفات الله في الكتاب والسنة، وكل ما يثبت فهو على ما ذكرنا من إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وإن معرفة العبد بأسماء الله وصفاته ومعرفته بمعانيها؛ وإيمانه بأنها صفات حقيقية تليق بجلال الله وعظمته؛ وأنها لا تماثل صفات المخلوقين؛ يُكسبه سعادة الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بها أو أوَّلَها وصرَفَها عن معناها الحقيقي حُرِم السعادة، فإيمان العبد بأسماء الله وصفاته له ثمرات وفوائد كثيرة، من أهمها ما يلي:

١- أعظم ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات: تنزيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن النقائص والعيوب، ووصفه بصفات الكمال اللائقة بجلاله، ونفي

مماثلتها لصفات المخلوق الضعيف، وإثبات الأسماء الحسنى له عَزَّوَجَلَّ.

٢- أنَّ مَنْ آمن بأن من أسماء الله تعالى العَفُوّ والغفور والرحيم، وأن من صفاته المغفرة للمذنبين والرحمة والعَفْو؛ دعاه ذلك إلى عدم اليأس من رَوْح الله، وإلى عدم القنوط من رحمته، بل ينشرح صدره لما يرجو من رحمة ربه ومغفرته.

٣- أنَّ من عرف أن من صفات الله تعالى أنه شديد العقاب، والغيرة إذا انتهكت محارمه، والغضب، وأنه ذو انتقام ممن عصاه؛ حمله ذلك على الخوف من الله تعالى والبعد عن معصيته.

٤- أنَّ المؤمن إذا أيقن أن من أسماء الله تعالى: القَوِيّ والقادر والعزيز، وأنه تعالى يتولى المؤمنين بالحفظ والنصر؛ أَكسبه ذلك عظمة التوكل على الله، والوثوق بنصره، وعدم الهلع من أعدائه، فيعيش قرير العين، واثقاً بحفظ الله وتأييده ونصره.

٥- أنَّ من استقر في قلبه أن من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ البصير، وأنه تعالى يرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء، وكذلك إذا علم أن من أسماء الله تعالى الرقيب، والعليم، وأنه تعالى يعلم نيات العباد وخلجات نفوسهم، حمله ذلك على البعد عن معصية الله، وألا يراه الله حيث نهاه، وعلى مراقبته سبحانه في كل ما يأتي وما يذر.

٦- أنَّ من آمن بصفات الله واستعاذ بها أعاذه الله مما يخاف منه.

٧- أنَّ من علم أسماء الله وصفاته وتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بها؛ استجاب الله دعاءه، فحصل له ما يرجوه، واندفع عنه ما يخافه[١].

---

(١) ينظر: «مدارج السالكين» ١/٤٤٩-٤٥٣ و«بدائع الفوائد» ١/١٦٣ و«طريق الهجرتين» ص٤٢ و«معارج القبول» ١/١٢٦- ١٢٨ و«تسهيل العقيدة الإسلامية» ص١٤١.

نواقض التوحيد وهي نواقض لا إله إلا اللَّه

نواقِض جمع ناقِض، والنَّقْضُ: إِفْسادُ مَا أَبْرَمْتَ مِنْ عَقْدٍ أَو بِناء، وَفِي الصِّحَاحِ: النَّقْضُ نَقْضُ البِناء والحَبْلِ والعَهْدِ. والنقض ضد الإبرام(١).

ونَقْضُ لا إله إلا الله، هو الإتيان بما يفسد هذه الشهادة العظيمة، من اعتقاد، أو قول، أو عمل، أو إقرار.

وكل من أتى بناقض من نواقض الإسلام فقد أبطل كلمة التوحيد في حقه وصار مرتداً كافراً.

الفرق بين نواقض التوحيد ومنقِّصاته:

نواقض التوحيد: هي الأمور التي إذا وُجدت عند العبد خرج من دين الله بالكُلِّيَّة، وأصبح بسببها كافراً أو مرتداً عن دين الإسلام، وهي كثيرة، تجتمع في الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الأكبر الاعتقادي.

أما منقِّصات التوحيد: فهي الأمور التي تنافي كمال التوحيد ولا تنقضه بالكلية، فإذا وُجدت عند المسلم قدحت في توحيده ونقص إيمانه، ولم يخرج من دين الإسلام، وهي المعاصي التي لا تصل إلى درجة الشرك الأكبر أو الكفر الأكبر أو النفاق الأكبر، وعلى رأسها: وسائل الشرك الأكبر، والشرك الأصغر، والكفر الأصغر، والنفاق الأصغر، والبدعة غير المكفِّرة(٢).

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» ص٦٥٦ و«لسان العرب» (٢٤٢/٧).

(٢) انظر «تسهيل العقيدة الإسلامية» ص ١٤٩.

ونواقض الإسلام إجمالاً هي: الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الأكبر. وسيأتي تفصيل كل واحد منها.

وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عشرة من نواقض التوحيد، هي من أخطر النواقض وأكثرها وقوعاً، وهي:

١- الشرك في عبادة الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء: ٤٨، ١١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[المائدة: ٧٢]. ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر.

٢ - مَن جعل بينَهُ وبينَ الله وسائط؛ يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم؛ فإنه يكفر إجماعًا.

٣ - من لم يكفر المشركين، ومن يشك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كَفَرَ.

٤ - من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكم الرسول ﷺ ويفضلون حكم القوانين على حكم الإسلام.

٥ - من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عَمِلَ به؛ كَفَرَ.

٦ - من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه كَفَرَ، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦] .

٧ - السِّحر، ومنه الصرفُ والعطفُ[١]، فمن فعله، أو رضي به كَفَرَ، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٨ - مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١] .

٩ - من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام؛ فهو كافر.

١٠ - الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه، ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

قال: «ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل، والجاد، والخائف، إلا المُكرَه، وكلها أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه»[٢].

---

(١) الصَّرْف: عمل سحري يقصد منه صرف الإنسان عما يهواه كصرف الرجل عن محبة زوجته إلى بغضها. والعَطْف: عمل سحري يقصد منه عطف وترغيب الإنسان فيما لا يهواه بطرق شيطانية.

(٢) «مجموعة رسائل في التوحيد» مطبوع ضمن مؤلفات الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية ص٣٨٥، ٣٨٧.

وسيأتي ذكر كل ناقض من هذه النواقض بنصه أو بمعناه، في موضعه المناسب مع غيرها من النواقض، عند الكلام على الشرك الأكبر والكفر الأكبر.

تعريف الشرك:

الشرك في اللغة يدل على المشاركة، التي هي ضد الانفراد، وهو أن يكون الشيء بين اثنين أو أكثر، لا ينفرد به أحدهم. وبالرجوع إلى أهم معاجم اللغة العربية يتبيَّن أن مادة: (ش ر ك) في اللغة تدور حول المخالطة، والنصيب، والتسوية، والكفر، وحبائل الصائد، والنِّد، والمِثل، والشبيه، والكُفء، والنظير، ونحو ذلك[1].

أما في الاصطلاح فتعريفه هو الإشراك بالله في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته، ويتضح التعريف أكثر بحسب نَوعَي الشرك، وهما: الشرك الأكبر، والشرك الأصغر.

الشرك الأكبر

الشرك الأكبر هو أن يجعل العبد لله نِدًّا يسوِّيه به في شيء من ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته[2].

---

(١) وانظر: «العين» للفراهيدي ٢٩٣/٥ و«تهذيب اللغة» للأزهري ١٢/١٠ و«الصحاح» للجوهري ١٥٩٣/٤-١٥٩٤ و«لسان العرب» لابن منظور ٤٤٨/١٠-٤٥١ و«القاموس المحيط» للفيروزآبادي ٩٤٤-٩٤٥.

(٢) وانظر: مدارج السالكين ٣٦٨/١، والنونية مع شرحها لابن عيسى ٢٦٣/٢، ٢٦٦، وأعلام السنة المنشورة ص٥٢، وسلم الوصول مطبوع مع شرحه معارج القبول ٤٧٥/٢.

حُكم الشرك:

الشرك هو أعظم ذنب عُصي الله به، فهو أكبر الكبائر، وأعظم الظلم؛ لأن الشرك صرف خالص حق الله تعالى - وهو العبادة- لغيره، أو وصف أحد من خلقه بشيء من صفاته التي اختص بها عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾[النساء:١١٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة: ٧٢].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَوْلُ الزُّورِ، - أَوْ قَالَ: وَشَهَادَةُ الزُّورِ -»[1].

ولذلك رتَّب الشرع عليه آثاراً وعقوبات عظيمة، أهمها:

١- أن الله لا يغفره إذا مات صاحبه ولم يتب منه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

٢- أن صاحبه خارج من ملة الإسلام، حلال الدم والمال، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٧١ ومسلم١٤٤-(٨٨).

٣- أن الله تعالى لا يقبل من المشرك عملاً، وما عمله من أعمال سابقة تكون هباءً منثوراً[(١)]، كما قال تعالى عن المشركين: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال سبحانه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

٤- أن دخول الجنة عليه حرام، وهو مخلد في نار الجحيم - نسأل الله السلامة والعافية - كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

٥- يحرم أن يتزوج المشرك بمسلمة، كما يحرم أن يتزوج المسلم مشركة، كما قال تعالى: ﴿وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة:٢٢١]. ويستثنى من ذلك نساء أهل الكتاب -اليهود والنصارى- كما قال تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥]. وينظر تفسير الآية ٢٢١ من سورة البقرة في تفسير ابن كثير.

٦- إذا مات المشرك فلا يُغسل، ولا يُكفن، ولا يُصلَّى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، وإنما يحفر له حفرة بعيدة عن الناس ويُدفن فيها.

وينقسم الشرك الأكبر إلى ثلاثة أقسام بالنسبة إلى أنواع التوحيد:

١- شرك في الربوبية.

---

(١) انظر: «الجواب الكافي» ص٢١٠، و«إغاثة اللهفان»: فصل فيما في الشرك من الخبث ١/٦٠-٦٢، و«التيسير» باب الخوف من الشرك ص ٨٩، و«فتح المجيد» ١/١٧٣، ١٧٤، و«معارج القبول» ٢/٤٧٥-٤٨٢، ٤٨٦.

٢- شرك في الأسماء والصفات.

٣- شرك في الألوهية.

الشرك في الربوبية:

الشرك في الربوبية أحد أقسام الشرك الأكبر، وهو شرك يتعلق بذات الله عَزَّوَجَلَّ، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

وهو صرف خصائص الربوبية كلها أو بعضها لغير الله عَزَّوَجَلَّ، أو تعطيله عَزَّوَجَلَّ عنها بالكلية أو عن بعضها.

وخصائص الربوبية هي: التفرد بالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والإعطاء والمنع، والضر، والنفع، وغير ذلك.

والشرك في الربوبية نوعان؛ شرك تعطيل، وشرك تمثيل.

١- شرك التعطيل:

تعريفه: هو تعطيل المصنوع عن صانع، وتعطيل الصانع عن أفعاله، ويكون ذلك بتعطيل خصائص الربوبية، وإنكار أن يكون الله رب العالمين[١].

ومن الأمثلة عليه[٢]: شرك فرعون الذي حكاه الله عنه؛ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِين﴾[الشعراء:٢٣]، وقال فرعون لهامان: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾[غافر: ٣٦-٣٧].

---

(١) انظر: «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» لابن القيم ص٢٣١.

(٢) انظر: «تجريد التوحيد المفيد» للمقريزي ص٦٩.

ومن هذا الشرك[1]: شرك أهل وحدة الوجود؛ كابن عربي، وابن سبعين، وغيرهما، الذين يقولون: إن الخالق عَين المخلوق؛ فعطلوا لله عَزَّوَجَلَّ عن أن يكون رب العالمين، ولم يفرقوا بين رب وعبد!!.

٢- شرك التمثيل:

تعريفه: هو التسوية بين الله وخلقه في شيء من خصائص الربوبية، أو نسبتها إلى غيره عَزَّوَجَلَّ.

ومن الأمثلة عليه[2]:

١ - شرك النصارى الذين اتخذوا معه أرباباً، فجعلوه ثالث ثلاثة.

٢ - وشرك المجوس القائلين بأن للعالم رَبَّين أحدهما خالق للخير، والآخر خالق للشر.

٣ - وشرك الصابئة الذين زعموا أن الكواكب هي المدبِّرة لأمر العالم.

٤ - وشرك القدرية مجوس هذه الأمة، القائلين بأن كل إنسان يخلق فعل نفسه.

٥ - وشرك عُبَّاد القبور الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت، فتقضي الحاجات، وتفرج الكربات، وتنصر من دعاها، وتحفظ من لاذ بحماها. ومزاعم غُلَاة الصوفية في الأولياء: أنهم ينفعون،

---

(١) انظر: «الدين الخالص» لصديق حسن خان ٣١٥/١.

(٢) انظر: «تجريد التوحيد المفيد» للمقريزي ص٥٥-٥٧،٧٠. و«الجواب الكافي» لابن القيم ٢٣١-٢٣٢، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز ٣٨/١، و«توحيد الربوبية» لمحمد إبراهيم الحمد ص٢١-٢٥.

ويضرون، ويتصرفون في الكون، إلخ.

٦ - والاستسقاء بالنجوم: وذلك باعتقاد أنها مصدر السُّقْيا، وأنها التي تُنزِل الغيث بدون مشيئة الله تعالى، وأعظم من ذلك أن يعتقد أنها تتصرف في الكون بالخلق، أو الرزق، أو الإحياء، أو الإماتة، أو بالشفاء، أو المرض، أو الربح، أو الخسارة، فهذا كله من الشرك الأكبر. قال الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[الواقعة: ٨٢]، والمعنى تجعلون شكركم لله على ما رزقكم الله من الغيث والمطر أنكم تكذبون -أي تنسبونه إلى غيره-. وقال النبي ﷺ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ»[1].

الشرك في الأسماء والصفات:

وهو: أن يجعل لله سبحانه وتعالى مماثِلاً في شيء من الأسماء أو الصفات.

فمن سمَّى غير الله باسم من أسماء الله تعالى معتقداً اتصاف هذا المخلوق بما دل عليه هذا الاسم مما اختص الله تعالى به، أو وصفه بصفة من صفات الله تعالى الخاصة به؛ فهو مشرك في الأسماء والصفات.

وكذلك من يجعل الله تعالى مماثلاً بشيء من صفات المخلوقين فهو مشرك في الصفات.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩-(٩٣٤).

ومن صور هذا الشرك:

١ - اشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الله تعالى، كاشتقاق اسم اللَّات من الإله، و العُزَّى من العزيز[١].

٢- اعتقاد غلاة الرافضة وغلاة الصوفية أن بعض الأحياء أو الأموات يسمعون مَن دعاهم في أي مكان وفي أي وقت[٢].

٣- شرك المُمَثِّلة: وهو اعتقاد أن صفات الخالق تماثل صفات المخلوق، كمن يقول: يد الله كيدي، أو سمعه كسمعي، أو استواؤه كاستوائي[٣]، وهذا كله شرك، فالله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١].

٤- الشرك بدعوى علم الغيب، أو باعتقاد أن غير الله تعالى يعلم الغيب، فكل ما لم يطلع عليه الخلق ولم يعلموا به بأحد الحواس الخمس[٤] فهو من علم الغيب، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي

---

(١) «بدائع الفوائد» ١٦٩/١، و«تيسير العزيز الحميد» ص ٢٨.

(٢) «أعلام السنة المنشورة» ص٨٧، و«معارج القبول» ٤٧٥/٢.

(٣) «بدائع الفوائد» ١٧٠/١، و«الروح» ص ٣٥٤، و«تيسير العزيز الحميد» ص٢٨.

(٤) وهي السمع والبصر والشم واللمس والذوق، فمن سمع شيئاً أو أخبره مُخبر من الجن أو الإنس بشيء رآه أو سمعه فقد علمه بطريق السمع، إما بنفسه، أو عن طريق سماع كلام هذا الذي رآه أو سمعه، وهكذا بقية الحواس.
وليس من ادِّعاء علم الغيب ما يُعرف من نتائج بعض الأمور من النظر في مقدماتها، ولا الإخبار عن المُسَبَّبات من النظر في أسبابها، كما يحصل في علم الطب، من معرفة شفاء المرض بعلاج معين، ونحو ذلك، وكما يحصل في علم الفلك من رصد هبوب الرياح أو معرفة وقت الكسوف، ونحو ذلك، على تفصيل في ذلك. وكذلك =

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس:٢٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾[الأعراف: ١٨٨]، وقال لنبيه ﷺ أيضاً: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

فمن ادَّعى أنَّ أحداً من الخلق يعلم الغيب، فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة، لأن في ذلك ادعاء مشاركة الله تعالى في صفة من صفاته الخاصة به، وهي علم الغيب.

ومن أمثلة الشرك بدعوى عِلم الغيب:

أ - اعتقاد أن الأنبياء أو أن بعض الأولياء والصالحين يعلمون الغيب: وهذا الاعتقاد يوجد عند غلاة الرافضة والصوفية، ولذلك تجدهم

= معرفة نوع الجنين ذكر أو أنثى في بطن الأم بواسطة الموجات الصوتية، فهذا لم يعلم بذلك استقلالاً وإنما بواسطة آلة، فهو كالذي يفتح البطن بمشرط وينظر نوع الجنين، وإنما الله مختص بعلم ما في الأرحام بلا وسائط جل جلاله كما في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾[لقمان:٣٤]، مع أن علم الله بما في الأرحام أوسع من علم نوع الجنين ذكر أم أنثى كما هو موضح في بعض التفاسير.

وقد ذكر الشيخ محمد بن عثيمين في «القول المفيد» (٥٣١/١) أن الإخبار عن أحوال الطقس في ٢٤ ساعة ونحوها ليس من ادِّعاء علم الغيب، لأنه يستند إلى أمور حسية، وهي تكيف الجو، لأن الجو يتكيف على صفة معينة تعرف بالموازين الدقيقة عندهم، فيكون صالحاً لأن يمطر أو لا يمطر.

يستغيثون بالأنبياء والصالحين الميتين وهم بعيدون عن قبورهم، ويَدْعون بعض الأحياء وهم غائبون عنهم، ويعتقدون أنهم جميعاً يعلمون بحالهم وأنهم يسمعون كلامهم، وهذا كله شرك أكبر مخرج من الملة[1].

ب- الكهانة: والكاهن هو الذي يَدَّعِي أنه يعلم الغيب. ومثله أو قريب منه العرَّاف، والرمَّال، ونحوهما، فكل من ادَّعى أنه يعرف علم ما غاب عنه دون أن يخبره به مخبر، أو زعم أنه يعرف ما سيقع قبل وقوعه فهو مشرك شركاً أكبر، سواء ادَّعى أنه يعرف ذلك عن طريق (الطرق بالحصى)، أم عن طريق حروف (أبا جاد)[2]، أم عن طريق (الخط في الأرض)، أم عن طريق (قراءة الكف)، أم عن طريق (النظر في الفنجان)، أم غير ذلك، كل هذا من الشرك[3].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»[4].

---

(١) رسالة التوحيد للدهلوي ص٢٠، ٣١، ٣٤، وينظر تيسير العزيز الحميد، وفتح المجيد باب من الشرك أن يستغيث بغير الله.

(٢) أما تعلمها من أجل التهجي فمطلوب مرغوب. ينظر التيسير ص٣٦٤.

(٣) ينظر شرح السنة ١٨١/١٢-١٨٤، وشرح مسلم للنووي ٢٢٣/١٤، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٧٠/٣٥-١٩٧، وتفسير القرطبي ٣،٢/٧، ومفتاح دار السعادة ١٢٥/٢-٢٤٢، وفتح الباري ٢١٦/١٠، ٢١٧، وشرح الطحاوية ص ٧٥٩، ٧٦٠، والفروع ١٧٧/٦، ١٧٨، والروض مع حاشيته لابن قاسم ٤١٣/٧، والزواجر ١٠٩/٢، والدين الخالص ٤٢٣/١-٤٥٥، و١٣٧/٢-١٤١، وتيسير العزيز الحميد باب ما جاء في الكهان، ومعارج القبول ص ٥٥٩-٥٧٤، والتوحيد للدهلوي ص٣٤، ٦٩، وفتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١٦٤/١، ١٦٥، والإرشاد للفوزان ص ٨٤.

(٤) أخرجه أحمد (٩٥٣٦) والحاكم (٨/١) وهو حديث حسن بشواهده.

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ عَقَدَ عُقْدَةً -أَوْ قَالَ: عُقِدَ عُقْدَةً- وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» ﷺ[1].

وَعَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[2].

ج- اعتقاد بعض العامة أن السحرة أو الكهان يعلمون الغيب، أو تصديقهم لهم في دعواهم معرفة ما سيقع في المستقبل، فمن اعتقد ذلك أو صدَّقهم فيه فقد وقع في الكفر والشرك المخرج من الملة، كما تقدم حديث: «مَنْ أَتَى كاهِناً أو عَرَّافاً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ».

قال الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومَن يُصَدِّق كاهناً فقد كَفَر   بما أَتَى به الرسولُ المُعْتَبَر

أما مجرد الذهاب إلى الكاهن وسؤاله مع عدم تصديقه فهو محرم وكبيرة من كبائر الذنوب، لقوله ﷺ: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»، قال الحافظ: «الوعيد جاء تارة بعدم قبول الصلاة وتارة بالتكفير، فيُحمَلُ على حالَين من الآتي، أشار إلى ذلك القرطبي»[3].

د- التنجيم: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية المستقبلة. وذلك أن المُنَجِّم يدَّعي من خلال النظر في النجوم

---

(١) أخرجه البزار (٣٥٧٨) وهو حديث حسن بشواهده.

(٢) أخرجه مسلم ١٢٥-(٢٢٣٠).

(٣) «فتح الباري» ٢١٧/١٠.

معرفة ما سيقع في الأرض من نصر لقوم، أو هزيمة لآخرين، أو خسارة لرجل، أو ربح لآخر، ونحو ذلك، وهذا لا شك من دعوى علم الغيب، فهو شرك بالله تعالى.

ومما يفعله كثير من المشعوذين والدجاجلة أن يدعي أن لكل نجم تأثيراً معيناً على مَن وُلِدَ فيه، فيقول: فلان وُلِدَ في برج كذا فسيكون سعيداً، وفلان وُلِدَ في برج كذا فسيكون شقيًّا، ونحو ذلك، وهذا كله كذب، ولا يصدقه إلا جهلة الناس وسفهاؤهم، قال الشيخ ابن عثيمين: «فهذا اتخذ تعلُّم النجوم وسيلةً لادِّعاء علم الغيب، ودعوى علم الغيب كفر مخرج من الملة، لأن الله يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[النمل:٦٥] وهذا من أقوى أنواع الحصر، لأنه بالنفي والإثبات، فإذا ادَّعى أحد علم الغيب؛ فقد كَذَّبَ القرآن»[١].

الشرك في الألوهية:

وهو: اعتقاد أن غير الله تعالى يستحق أن يُعبد، أو أن يَصْرِفَ العبد شيئاً من العبادة لغير الله[٢].

فهو على فَرْعَين:

الفرع الأول: اعتقاد شريك لله تعالى في الألوهية[٣].

فمن اعتقد أن غير الله تعالى يستحق العبادة مع الله[٤] أو يستحق أن يُصرف له أي نوع من أنواع العبادة فهو مشرك في الألوهية.

---

(١) «القول المفيد على كتاب التوحيد» ٥/٢ و«تسهيل العقيدة الإسلامية» ص١٦١.

(٢) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٩١،٧٤/١، و«الإرشاد» للسعدي ص٢٠٥، و«الدرر السنية» ١٥٧/١.

(٣) «تيسير العزيز الحميد» ص ٢٨ نقلاً عن القرطبي.

(٤) «الإرشاد» للسعدي ص ٢٠٥.

الفرع الثاني: صرف شيء من العبادات المحضة لغير الله تعالى، فالعبادات المحضة بأنواعها القلبية والقولية والعملية حق لله تعالى لا يجوز أن تصرف لغيره - كما سبق بيان ذلك عند الكلام على توحيد الألوهية - فمن صرف شيئاً منها لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر.

قال العلامة صديق حسن خان في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]:

«قد تقرر أن العبادة لا تجوز إلا لله، وأنه هو المستحق لها، فكل ما يسمى في الشرع عبادة ويصدق عليه مسمَّاها فإن الله يستحقه، ولا استحقاق لغيره فيها، ومن أشرك فيها أحداً من دون الله فقد جاء بالشرك، وكتب اسمه في ديوان الكفر»[(١)].

أنواعه:

الشرك في الألوهية على أنواع، منها:

١- شرك الأعمال التعبدية المحضة، كالسجود والطواف والذبح.

٢- شرك الدعاء.

٣- شرك الشفاعة.

٤- شرك الطاعة.

٥- شرك المحبة.

٦- شرك الخوف.

٧- شرك الرجاء.

---

(١) «الدين الخالص» باب في رد الإشراك في العبادات ٥٢/٢.

أولاً: شرك الأعمال التعبدية المحضة كالسجود والطواف والذبح:

وهو صرف أي نوع من أنواع العبادة المحضة تقرباً وتذللاً لغير الله، كالسجود، والطواف، والذبح، ونحو ذلك.

ومن أدلته وأمثلته في القرءان: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ. أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل:٢٤-٢٦].

ومن أمثلة ذلك الطواف حول القبر والسجود عنده، والذبح لصاحب القبر، كما يفعل عُبَّاد القبور.

وشرك العبادة تدخل فيه الأنواع التالية، ولكن فَصَلْتُ هذا لبيان أمثلته.

ثانياً: شرك الدعاء:

تعريفه: هو دعاء غير الله من الملائكة، والأنبياء، والأولياء، وغيرهم، فيما لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ؛ فمن دعا أو استغاث أو استعان أو استعاذ بغير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ من طلب رزق، أو شفاء مريض، أو إحياء ميت، أو غير ذلك؛ فقد أشرك مع الله غيره، سواء أكان ذلك الغير مَلَكاً، أو نبياً، أو وليًّا، أو جِنِّيًّا، أو غير ذلك من المخلوقات.

يقول العلامة ابن القيم معدِّداً أنواع الشرك الأكبر: «ومن أنواعه: طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم. وهذا أصل شرك العالم؛ فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا

نفعاً؛ فضلاً عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته».[1]

ومن الأدلة على أن دعاء غير الله شرك:

١ -قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[المؤمنون: ١١٧]؛ فهذا سيقدُم على ربه، فيجازيه بأعماله، ولا ينيله من الفلاح شيئا؛ لأنه كافر[2].

٢- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾[الزمر: ٨]؛ فلا يغنيك ما تتمتع به، إذا كان المآل إلى النار[3].

والدعاء نوعان، والشرك فيه نوعان، فنوعا الدعاء هما: دعاء مسألة وطلب، ودعاء عبادة وثناء[4]. وفي النوعين طلب التوصل والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى؛ سواء أكان على وجه السؤال لله عَزَّوَجَلَّ، والاستعاذة به، رغبة إليه في جلب المنافع ودفع المضار، وهذا دعاء المسألة والطلب؛ أم كان على وجه عبادته عَزَّوَجَلَّ، وطاعته، وامتثال أمره، والانتهاء عن نهيه، وهذا دعاء العبادة والثناء[5].

---

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم ٣٧٥/١.

(٢) انظر: «تيسير الكريم الرحمن» لابن سعدي ٣٨٦/٥.

(٣) انظر: «تيسير الكريم الرحمن» لابن سعدي ٤٥٣/٥.

(٤) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» لابن تيمية ٧٧٨/٢. و«فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص٢٢٣.

(٥) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية ٢/ ٧٧٨.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذين النوعين:

«إن المعبود لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضر؛ فهو يُدعَى للنفع والضر دعاء مسألة، ويُدعَى خوفاً ورجاءً دعاء العبادة؛ فعلم أن النوعين متلازمان»[1].

والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠]؛ فجعل سبحانه الدعاء عبادة.

وشرك الدعاء يقع في هذين النوعين؛ إما شرك في المسألة والطلب، أو شرك في العبادة والثناء.

فإذا توجه الإنسان بواحد من هذين النوعين لأحد غير الله عَزَّوَجَلَّ فقد أشرك.

فيقع الشرك في النوع الأول؛ دعاء العبادة؛ إذا صرف العبد شيئاً من العبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ، يقول فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

«فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فقد كفر كفراً مخرجاً عن الملة؛ فلو ركع إنسان أو سجد لشيء يعظمه كتعظيم الله في هذا الركوع أو السجود، لكان مشركاً خارجاً عن الإسلام»[2].

ويقول الإمام أحمد بن علي المقريزي:

«فالشرك به في الأفعال: كالسجود لغيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والطواف بغير بيته المحرم، وحلق الرأس عبوديةً وخضوعاً لغيره وتقبيل الأحجار غير الحجر

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ١٥/ ١٠-١١.

(٢) فتاوى العقيدة لابن عثيمين ص٣٩٨.

الأسود الذي هو يمينه في الأرض، وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها. وقد لعن النبي ﷺ من اتَّخَذَ قبور الأنبياء والصالحين مساجد[1]، فكيف من اتَّخَذَ القبورَ أوثانًا تُعبد من دون الله؟!» [2].

لأن ذلك من خصائص الألوهية؛ فمن سجد لغيره عَزَّوَجَلَّ، أو صرف له لوناً من ألوان العبادة فقد جعله لله نِدًّا، كذا لو ذبح لغير الله تعظيماً له، وتقرباً إليه، فقد أشرك شركاً أكبر؛ لأن الذبح عبادة أمر الله عَزَّوَجَلَّ بها في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر: ٢][3].

ويقع الشرك في النوع الثاني؛ دعاء المسألة والطلب، إذا كان المدعو ميتاً، أو كان السؤال في شيء لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ؛ فلو كان المدعو حياً قادراً على ذلك فليس بشرك؛ كقولك: اسقِني ماءً، لمن يستطيع ذلك[4].

أما إن كان المدعو ميتاً، فإن دعاءه شرك مخرج عن الملة[5].

على هذا يقال: ليس دعاء المسألة والطلب كله شركاً؛ بل دعاء الإنسان لغيره ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يدعو مخلوقاً بأمر من الأمور التي يمكن أن يدركها بأشياء محسوسة معلومة؛ كسؤال الفقير، فهذا جائز.

---

(١) تقدمت الأحاديث في ذلك في ص ٥٢-٥٣

(٢) «تجريد التوحيد المفيد» للمقريزي ص٥٨-٥٩.

(٣) انظر المجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين ٢/ ١٤٨-١٤٩.

(٤) انظر: فتاوى العقيدة لابن عثيمين ص٣٩٨.

(٥) المصدر السابق ٣٩٩.

والثاني: أن يدعو مخلوقاً مطلقاً -سواء كان حياً أو ميتاً- فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ مثل: يا فلان! اجعل ما في بطن امرأتي ذَكَراً؛ فهذا شرك أكبر؛ لأن هذا من فعل الله عَزَّوَجَلَّ الذي لا يستطيعه البشر، ولا يقدرون عليه.

والثالث: أن يدعو مخلوقاً لا يجيب بالوسائل الحسية المعلومة؛ كدعاء الأموات؛ فهذا شرك أكبر أيضاً؛ لأن هذا لا يقدر عليه المدعو. ولا يقع مثل هذا النوع من الدعاء إلا إذا اعتقد الداعي في المدعو شيئاً سرياً يدبر به الأمور(١).

ودعاء غير الله له صورتان:

الصورة الأولى: الاقتصار على دعاء غير الله، كأن يقول: يا شيخي فلان.

الصورة الثانية: دعاء غير الله مع الله؛ كالذي يقول: يا ربي وشيخي! يا ألله ويا سيدى عبد القادر!

وكل ذلك في الدعاء بما لا يقدر عليه إلا الله، أو دعاء ميت، أو غائب(٢).

إنكار الله لدعاء غيره عَزَّوَجَلَّ:

كان الدعاء لغير الله بنوعيه معهوداً عند العرب في جاهليتهم، فعالجهم الكتاب العزيز ليصرفهم عنه: تارة بتوجيههم إلى سؤال الله، وأخرى بتعجيز المسئولين من دون الله، وأحياناً بتذكيرهم بما كمن في نفوسهم من توحيد الله وظهور ذلك في ألسنتهم عند اشتداد الخطب

---

(١) فتاوى العقيدة لابن عثيمين ٣٩٣.

(٢) وانظر: «رسالة الشرك ومظاهره» للشيخ مبارك الميلي الجزائري ص٢٨٢.

وغلبة اليأس، وتارات بالإخبار عن تعاديهم عند البعث مع أوليائهم الذين يدعونهم اليوم، أتاهم الكتاب من هذه الجهات الأربع ليقتلع من نفوسهم جذور الشرك.

ما جاء في توجيه الداعي إلى اللَّه:

١ - فمن الآيات في الجهة الأولى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦]، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ . إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر: ١٣ -١٤].

ما جاء في تعجيز المسئولين:

٢ - ومنها في الجهة الثانية: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ . وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾[يونس:١٠٦-١٠٧]، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[النحل:٢٠-٢١]، ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾[الإسراء: ٥٦]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ . مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج: ٧٣ -٧٤].

ما جاء في تذكير السائلين بالتوحيد:

٣ - ومنها في الجهة الثالثة: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾[الأنعام:٤٠-٤١]، ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[يونس:٢٢]، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾[الإسراء:٦٧]، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[العنكبوت:٦٥].

ما جاء في تعادي السائلين والمسئولين:

٤ - ومنها في الجهة الرابعة: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾[البقرة:١٦٦]، ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[العنكبوت:٢٥]، ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[الزخرف: ٦٧][(١)].

ومن الأحاديث:

حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ (وفي رواية: رَدِيْفَ) النَّبِيِّ ﷺ يَوْماً، فقال: «يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ

(١) وانظر: «رسالة الشرك ومظاهره» للشيخ مبارك الميلي الجزائري ص٢٨٢-٢٨٤.

فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[1].

ثالثاً: شرك الشفاعة:

الشفاعة المرادة هنا هي تلك التي تتعلق بالآخرة؛ كطلب الشفيع مغفرة ذنوب المشفوع له، أو التجاوز عن سيئاته، ونحو ذلك.

يقع هذا الشرك إذا اتخذ العبد من دون الله أنداداً، فصرف لهم نوعاً من أنواع العبادة، أو كلها، وتوجه بهم، وتقرب بعبادتهم إلى الله، زاعماً أن معبوداته هذه تشفع له عند الله، وتقربه منه زلفى.

من أدلة هذا النوع:

١- قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس: ١٨]؛ فَحَكَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بالشرك على من عبد الشفعاء، أو دعاهم بقصد الشفاعة[2].

٢- وقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ، قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[الزمر:٤٣-٤٤]؛ فنفى سبحانه وتعالى أن تشفع لهم هذه الأنداد عند الله، وأخبر أن الشفاعة لله وحده؛ فلا يشفع أحد عنده إلا بإذنه.

---

(١) تقدم تخريجه في ص٧٢.

(٢) انظر «تيسير العزيز الحميد» للشيخ سليمان بن عبد الله ص٢٧٦.

٣- وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر:٣]؛ فكذَّبهم وكفَّرهم بذلك(١).

٤- وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾[سبأ:٢٢]؛ فقطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون قطعاً؛ لأن المشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع.

والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالك لما يريد عابده منه؛ فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك، فإن لم يكن شريكاً له كان معيناً له وظهيراً، فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده؛ فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً منتقلاً من الأعلى إلى ما دونه؛ فنفى الملك، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه(٢).

الشفاعة التي يقبلها الله عَزَّوَجَلَّ:

الشفاعة التي تقدمت هي الشفاعة الشركية التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء، وهي التي نفاها الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم ١/ ٣٦٩.

(٢) «مدارج السالكين» لابن القيم ٣٧٢/١، وانظر: «تيسير العزيز الحميد» للشيخ سليمان بن عبد الله ص٢٨٥.

ولكنه سبحانه لم ينف الشفاعة مطلقاً؛ بل أخبر أن هناك شفاعة مقبولة عنده؛ وهي الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحَّده؛ فالشفاعة التي يقبلها عَزَّوَجَلَّ هي التي جمعت شرطين: أحدهما: إذنه سبحانه وتعالى للشافع بالشفاعة والرضا لقوله؛ قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾[طه:١٠٩]، فلا يشفع أحد؛ لا مَلَكٌ مقرَّب ولا نبي مرسل، ولا أي أحد إلا بإذنه عَزَّوَجَلَّ. والشرط الثاني: أن يرضى سبحانه وتعالى عن المشفوع فيه، وهذا يتطلب أن يكون من أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شركاء، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُوْنَ إِلَّا لِمَن ارْتَضَى﴾[الأنبياء: ٢٨]، وكما قال رسول الله ﷺ: «أَسْعَدُ الناسِ بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»(١)؛ فشفاعته ﷺ - بعد إذن الله عَزَّوَجَلَّ له بها- لا ينالها إلا أهل التوحيد الخالص، وهذا عكس ما عند المشركين الذين زعموا أن الشفاعة تنال باتخاذهم أولياءهم شفعاء، وعبادتهم وموالاتهم من دون الله(٢).

فالشفاعة المثبتة المقبولة هي التي جمعت شرطين الأول: إِذْن الله عَزَّوَجَلَّ للشافع والرضا لقوله، والثاني: رضاه سبحانه وتعالى عن المشفوع له، يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[النجم:٢٦].

ومن هذه الشفاعات المشروعة الشفاعة الكبرى للنبي ﷺ للناس

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم ١/ ٣٩٦-٣٧٠.

يوم القيامة، وشفاعته الخاصة لأهل الكبائر من أمته ﷺ، وغير ذلك مما هو مذكور في كتب الحديث وغيرها.

رابعاً: شرك الطاعة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[الأنعام: ١٢١].

قال الطبري: «وأما قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، يعني: إنكم إذًا مثلهم، إذ كان هؤلاء يأكلون الميتة استحلالاً، فإذا أنتم أكلتموها كذلك، فقد صرتم مثلهم مشركين»[(١)].

وقال ابن كثير: «وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ أي: حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدَّمتم عليه غيره، فهذا هو الشرك، كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[التوبة:٣١] »[(٢)].

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ، اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ!» فَطَرَحْتُهُ، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَة: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [التوبة:٣١] حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ

---

(١) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» للطبري ٨٧/١٢.

(٢) «تفسير القرءان العظيم» لابن كثير ٣٢٩/٣.

يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ؟ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»(١).

قال القرطبي: «مَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ أَطَاعُوهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَاسْتَحَلُّوا مَا أَحَلُّوا وَحَرَّمُوا مَا حَرَّمُوا، فَاتَّخَذُوهُمْ كَالْأَرْبَابِ»(٢).

خامساً: شرك المحبة:

وهو صرف المحبة الواجبة لله عَزَّوَجَلَّ إلى غيره؛ فمن أحب غير الله حب ذُل وخضوع، فقدم طاعته على طاعة الله، وآثر محابه على محاب الله، فقد جعله نِدًّا لله.

وعنها يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ من اتخذ نِدًّا تساوي محبته محبة الله، فهو الشرك الأكبر»(٣).

من أدلة هذا النوع:

قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[البقرة: من الآية ١٦٥].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) والطبراني في المعجم الكبير (٩٢/١٧) (٢١٨) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٣٥٠) وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث».

وقد روي من وجه آخر عن عدي، فهو بذلك قابل للتحسين إن شاء الله، وقد حسَّنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٢٩٣).

(٢) «الجامع لأحكام القرءان» للقرطبي ٣٩/٤.

(٣) «كتاب التوحيد» (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول) ص٩٠.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وترى المشرك يُكَذِّبُ حالُهُ وعَمَلُهُ قَوْلَهُ؛ فإنه يقول: لا نحبهم كحب الله، ولا نسويهم بالله، ثم يغضب لهم ولحرماتهم إذا انتهكت أعظم مما يغضب لله، ويستبشر بذكرهم، ويتبشبش به، سيما إذا ذكر عنهم ما ليس فيهم؛ من إغاثة اللهفان، وكشف الكربات، وقضاء الحاجات، وأنهم الباب بين الله وبين عباده؛ فإنك ترى المشرك يفرح، ويُسَر، ويحن قلبه، وتهيج منه لواعج التعظيم والخضوع لهم والموالاة، وإذا ذكرت له الله وحده وجَرَّدتَ توحيده؛ لَحِقَتْهُ وحشة وضيق وحرج، ورماك بنقص الإلهية التي له، وربما عاداك»[1].

سادساً: شرك الخوف:

وهو: الخوف من مخلوق أن يؤثر فيه، أو يصيبه بما لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ؛ من مرض، أو منع رزق، أو إصابة بفقر، أو نحو ذلك، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ عن قوم هود عليه السلام إنهم قالوا له: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٤][2].

وهذا الخوف هو الخوف الشركي؛ فمن وقع فيه وقع في الشرك الأكبر.

وأما الخوف من الناس المؤدي إلى ترك الواجب، أوالمؤدي إلى عمل المحرم، فهذا الخوف حرام، وينافي كمال التوحيد[3]، ودليله قول

---

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم ٣٧١/١.

(٢) انظر: «فتح المجيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص٤٨٨.

(٣) انظر: «فتح المجيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص٤٨٩، و«الأسئلة والأجوبة في العقيدة» للشيخ صالح الأطرم ص٣٩، و«الإرشاد» للشيخ صالح الفوزان ص٦٦.

الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ. إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ١٧٣-١٧٥].

وأما الخوف من الله ومن عقابه فهو مطلوب ومحمود، والخوف الطبيعي لا حرج فيه، كالخوف من الأسد والعقرب، والخوف على النفس والأهل والأولاد من الأذى.

سابعاً: شرك الرجاء:

الشرك في الرجاء هو أن يرجو من مخلوق، حجر، أو بشر، أو غير ذلك، حياً أو ميتاً؛ ما لا يقدر عليه إلا الله، كمن يرجو من مخلوق أن يُنزِل المَطر، أو أن يرزقه ولداً، فهذا من الشرك الأكبر المخرج من الملة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧].

الشرك الأصغر

وهو: كل وسيلة: قولية، أو فعلية، أو إرادية توصل إلى الشرك الأكبر، ما لم تبلغ رتبة العبادة، أو هو: كل ما جاء في النصوص بتسميته شركاً ولم يصل إلى حدِّ الشرك الأكبر.

ومنه الرياء، وهو من نوع الشرك الخفي كما سيأتي.

ومنه الحلف بغير الله؛ لقوله ﷺ: «مَن حَلَفَ بِغَيرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أو أَشْرَكَ»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٢٥١، والترمذي ١٥٣٥وحسَّنه، وأحمد ٦٠٧٢، وابن حبان ٤٣٥٨، والحاكم ١٨/١ وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي. وهو حسن.

قال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«هذا حديث حَسَن، وفُسِّرَ هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن قوله: فقد كفر أو أشرك على التغليظ، والحجة في ذلك حديث ابن عمر أن النبي ﷺ سمع عمر يقول: وأَبِي وأَبِي، فقال ﷺ: «ألَا إنَّ اللهَ يَنْهَاكم أن تَحلِفوا بآبائِكم»[1]. وحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قالَ في حَلْفِهِ: واللَّاتَ والعُزَّى فليقل: لا إله إلا الله»[2].

ومن الشرك الأصغر قول: لولا الله وأنت، أو: ما شاء الله وشِئْت، أو: هذا من الله ومنك، أو: أنا بالله وبك، أو: توكلت على الله وعليك.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَكَلَّمَهُ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ، فَقَالَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا؟! قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ» وفي رواية: «جَعَلْتَ لِلَّهِ نِدًّا، [بَلْ] مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»[3].

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٠٨ ومسلم ١-(١٦٠٤٦).

(٢) أخرجه البخاري ٤٨٦٠ ومسلم ٥-(١٦٤٧).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ١٠٧٥٩ وأحمد ٢٥٦١ والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣) والطبراني في المعجم الكبير ١٣٠٠٥، وهو حديث حسن. والرواية الثانية هي رواية البخاري في الأدب المفرد. ومابين المعقوفين زيادة عند الطبراني.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٩٨٠ وأحمد ٢٣١٥٨ والنسائي في عمل اليوم والليلة ٩٨٥ والبيهقي في السنن الكبرى ٢١٦/٣ وفي شعب الإيمان ٥٢٢٢، بإسناد صحيح.

وَعَنْ قُتَيْلَةَ، امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ! تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ. فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»، وَيَقُولُوا: «مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ»(١).

ومن الشرك الأصغر التَطَيُّر، وهو لغةً: مصدر تطيَّر، ويُسمَّى الطِّيَرة، و الطَّيْر(٢). وفي الاصطلاح: التشاؤم بمرئي أو مسموع أو غيرهما.

ويُلحق به عكسه، بأن يَرى أو يَسمع أمراً يُسَرُّ به، فيحمله على فعل أمر لم يكن عازماً على فعله.

ويُلحق بذلك أيضاً الاستقسام بالأزلام الذي حرمه الله تعالى بقوله ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة:٣]، وبقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠].

وأصل التَّطَيُّر جاء مما كان يفعله أهل الجاهلية من أن أحدهم إذا أراد سفراً زجر أو أثار طيراً، فإن اتجه ذات اليمين تفاءل فعزم على السفر، وإن اتجه ذات الشمال تشاءم وترك هذا السفر، وقد كثر استعمال أهل الجاهلية للطيور في هذا الأمر حتى قيل لكل من تشاءَمَ تَطَيَّرَ. وصوره كثيرة غير ما ذكرنا.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧١/٦) والنسائي (٦/٧) والحاكم ٢٩٧/٤، وإسناده صحيح.

(٢) انظر: الصحاح، والقاموس المحيط، والنهاية مادة: (طير)، وإكمال المعلم ١٤١/٧، وجامع الأصول ٦٢٨/٧.

ومن الأدلة على أن التطير من الشرك، حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ» وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ[(١)].

قال الحافظ ابن حجر[(٢)]: «وقوله: «وما مِنَّا إلَّا..» من كلام ابن مسعود أُدرج في الخبر، وقد بينه سليمان بن حرب شيخ البخاري فيما حكاه الترمذي عن البخاري عنه».

«وما مِنَّا إلَّا»: أي: ما منا أحد إلا ويعتريه شيءٌ ما منه في أول الأمر قبل التأمل.

ومما يدل على تحريم الطِّيَرَة أيضاً وإباحة الفَأْل: ما رواه عروة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: ذُكِرَت الطِّيَرةُ عند رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: «أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُل: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»[(٣)]، وقوله ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ» قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «الكَلِمَةُ الصَّالِحَة يَسمَعُها أَحَدُكُم»[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦٨٧) والبخاري في الأدب المفرد (٩٠٩) وأبو داود (٣٩١٠) وابن ماجه (٣٥٣٨) بإسناد صحيح.

(٢) «فتح الباري» ٢١٣/١٠.

(٣) أخرجه أبوداود ٣٩١٩ وابن أبي شيبة في الأدب ٦٤٤٣ وابن السني ٢٩٣ والبيهقي في الدعوات ٥٠٠، وإسناده صحيح إن شاء الله.

(٤) أخرجه البخاري ٥٧٥٤ ومسلم ٢٢٢٣.

ومن الشرك: الرقية الشركية وتعليق التمائم:

الرقية منها الشرعية ومنها الشركية، فالرقية الشرعية هي الأذكار من القرآن والأدعية والتعويذات الثابتة في السنة، أو الأدعية الأخرى المباحة التي يقرؤها الإنسان على نفسه، أو يقرؤها عليه غيره ليعيذه الله من الشرور بأنواعها. وكذلك كل ما ثبت عن النبي ﷺ في ما يفعله المصاب بالعين والسحر.

والرقية الشركية منها ما هو شرك أكبر كالتي تشتمل على الاستغاثة بالشياطين أو غيرهم من المخلوقين، ومنها ما هو شرك أصغر كالتي فيها أسماء لا يفهم معناها؛ لأنها تجر إلى الشرك الأكبر.

عن عَوْفِ بن مالك الأَشجَعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»[1].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ»[2].

والمراد بالرُّقَى في هذا الحديث الرُّقَى غير الشرعية التي تقدم بيانها.

وقال الخطابي: «التِّوَلَة: ضَرْبٌ من السِّحر، قال الأَصمعي: وهو الذي يحبب المرأة إلى زوجها. وأما الرُّقى فالمنهي عنه ما كان منها بغير لسان العرب فلا يدرى ما هو، ولعله قد يدخله سحر أو كفر، فأما إذا كان مفهوم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، وأحمد (٣٦١٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤١) رقم (٧٥٠٥)، وصححه.

المعنى، وكان فيه ذكر الله تعالى، فإنه مستحب متبرك به، والله أعلم».

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ، فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، بَايَعْتَ تِسْعَةً وَتَرَكْتَ هَذَا؟ قَالَ: «إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً» فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا، فَبَايَعَهُ، وَقَالَ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»[١].

وأيضاً عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ»[٢].

والتميمة هي في الأصل خَرَزَة كانت تُعَلَّقُ على الأطفال، يتقون بها من العين ونحوها[٣]، وكأنَّ العرب سمَّوها بهذا الاسم لأنهم يريدون أنها تمام الدواء والشفاء المطلوب.

---

(١) أخرجه أحمد ١٧٤٢٢ والحارث بن أبي أسامة في مسنده (٥٦٣-بغية الباحث) والطبراني في المعجم الكبير ٣١٩/١٧ بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه أحمد ١٧٤٠٤ والحاكم ٧٥٠١ وصححه، وهو حديث حسن.

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَبْصَرَ عَلَى عَضُدِ رَجُلٍ حَلْقَةً، أُرَاهُ قَالَ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «وَيْحَكَ مَا هَذِهِ؟» قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ. قَالَ: «أَمَا إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، انْبِذْهَا عَنْكَ؛ فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا».

أخرجه أحمد (٢٠٠٠٠)، وابن ماجه (٣٠٣١)، وابن حبان (٦٠٨٥)، والحاكم (٢١٦/٤)، والبيهقي (٣٥٠/٩-٣٥١)، وإسناده ضعيف، ولكن يستأنس بمعناه وهو مقارب للأحاديث المذكورة.

(٣) ينظر: تأويل مختلف الحديث ص٢٢٦، والصحاح، والنهاية، والقاموس، ولسان العرب مادة: (تمم).

وفي الاصطلاح: هي كل ما يُعَلِّقُهُ الإنسان لنفسه أو يُعَلَّقُ على المرضى أو الأطفال أو البهائم أو غيرها من تعاويذ؛ للحفظ أو لدفع البلاء أو رفعه.

ومن أنواع التمائم: الحُجُبُ والرُّقَى التي يكتبها بعض المشعوذين ويكتبون فيها طلاسم وكتابات لا يفهم معناها، وغالبها شرك، واستغاثات بالشياطين، وتعلق على الأطفال أو على البهائم، أو على بعض السلع أو أبواب البيوت، يزعمون أنها سبب لدفع العين أو أنها سبب لشفاء المرضى من بني الإنسان أو من الحيوان، ومنها: الخلاخيل التي يجعلها بعض الجهَّال على أولادهم يعتقدون أنها سبب لحفظهم من الموت، ومنها: لبس حلقة الفضة للبركة أو للبواسير، ولبس خواتم لها فصوص معينة يعتقدون أنها تحفظ من الجن، ولبس أو تعليق خيوط عقد فيها شخص له اسم معين كـ(محمد) عقداً للعلاج من بعض الأمراض»[١].

وإن اعتقد متخذ هذه التمائم أنها تنفع بذاتها من دون الله فهو شرك أكبر، وإن اعتقد أن الله هو النافع وحده، لكن تَعَلَّقَ قلبه بها في دفع الضر؛ فهو شرك أصغر، لاعتماده على الأسباب، ولأنه جعل ما ليس بسبب سبباً[٢].

---

(١) «تسهيل العقيدة الإسلامية» ص ٤٠٩.

(٢) ينظر: «التيسير»، و«قرة عيون الموحِّدين»، و«القول السديد»، و«القول المفيد» باب من الشرك لبس الحلقة، وتعليق الشيخ عبد العزيز بن باز على «فتح المجيد» باب الرقى ص١٢، و«مجموع فتاويه ومقالاته» ٢٧٥/١، و«الشرك الأصغر» ص٢١٦، و«تسهيل العقيدة الإسلامية» ص٤١٣.

وأما المُعَلَّقُ إذا كان من القرآن فقال الشيخ حافظ الحكمي:

«يروى جوازه عن بعض السلف، وأكثرهم على منعه كعبد الله بن عكيم، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن مسعود وأصحابه رضي الله عنهم وهو الأولى، لعموم النهي عن التعليق، ولعدم شيء من المرفوع يخصص ذلك، ولصون القرآن عن إهانته إذ قد يحملونه غالباً على غير طهارة، ولئلا يتوصل بذلك إلى تعليق غيره، ولسد الذريعة عن اعتقاد المحظور والتفات القلوب إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ، لا سيما في هذا الزمان»[(١)].

والتوسل البدعي وسيلة للشرك، والتوسل ثلاثة أنواع: توسل شركي، وتوسل بدعي، وتوسل مشروع.

التوسل الشركي: وهو صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله عز وجل من المخلوقين، من ملائكة أو أنبياء أو صالحين، وغير ذلك، زعماً أنها تقرِّب إلى الله، وهو الذي عليه أكثر أهل الجاهلية الذين بعث فيهم النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣]، فهذه الوسائط هي معبودات، وفعلهم شرك أكبر.

التوسل البدعي: وهو أن يتوسل بذات الشخص لا ليدعوه، ولكن يدعو الله، كأن يقول: يا الله أتوسل إليك بفلان، أتوسل إليك برسول الله، فهو لم يَدْعُ غير الله، بل دعا الله، لكن الوسيلة بدعة، حيث توسل بقرب فلان، وكأن يقول: اغفر لي بجاه فلان، اغفر لي بجاه نبيك أو بجاه أنبيائك، فهذا كله توسل بِدعي، ووسيلة للشرك.

(١) «أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة» ص ١٠٦.

النوع الثالث: التوسل المشروع: كأن يتوسل إلى الله بإيمانه بالله وتوحيده لله، وبأسمائه الحسنى وصافاته العُلَى كأن يقول: اللّهم إني أسألك بإيماني بك وبرسولك، كما أخبر الله في كتابه عن المؤمنين: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران:١٦]، فهم توسلوا إلى الله بالإيمان.

وكذلك التوسل إلى الله بالعمل الصالح، كتوسل الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار[(١)]، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم، فأحدهم توسل ببر والديه، والثاني بعِفَّته عن الزنى، والثالث بأمانته، ففرج الله عنهم.

وكذلك التوسل إلى الله بدعاء الحي الحاضر، فيسأل الله لفقرك وحاجتك، كما في حديث عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، أَنَّ رَجُلاً ضَرِيرَ البَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي قَالَ: «إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قَالَ: فَادْعُهْ، قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِي، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ»[(٢)].

وكما توسل عمر بن الخطاب ومن معه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بدعاء العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ

---

(١) أخرجه البخاري ٢٢٧٢ ومسلم ١٠٠- (٢٧٤٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٧٨) والنسائي في السنن الكبرى (١٠٤٩٥) وفي عمل اليوم والليلة (٦٥٩) وابن ماجه (١٣٨٥) وأحمد (١٧٢٤٠) وابن خزيمة (١٢١٩) والحاكم ٣١٣/١ و٥١٩ وصححه الترمذي والحاكم، وهو كذلك.

إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ[(١)].

وهذا ليس من التَّوسُّلِ إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ بذات رجل ولا بجاهه ولا بحَقِّه، بل هو توسلٌ بدعائه؛ فإنَّ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يتوسَّل بدعاء النَّبيِّ ﷺ بعد مماته؛ لأنَّ التَّوسُّلَ بدعائه ﷺ غير ممكنٍ بعد وفاته، فلَجَأَ إلى تَوسُّلٍ ممكنٍ، فاختار العبَّاسَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ لقرابَتِهِ مِن النبيِّ ﷺ مِن ناحيةٍ، ولِصَلاحِه ودِينِه وتَقواهُ مِن ناحيةٍ أُخرى، وطَلَبَ منه أنْ يَدعُوَ لهم بالغَيثِ والسُّقْيا. ولم يتوسلوا بجاه النبي ﷺ ولا ذهبوا إلى قبره ﷺ، فدل على أن ذلك ليس بمشروع، وقد فعلوا المشروع وهو التوسل بدعاء الحي من أهل الفضل والصلاح.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١٠).

وأخرج عبد الرزاق في المصنف (٤٩١٣) وابن أبي الدنيا في «المطر والرعد والبرق» (٥٣) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥٦/٢٦) من حديث إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بن أبي يَحيَى، عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عُمَرَ اسْتَسْقَى بِالْمُصَلَّى، فَقَالَ لِلْعَبَّاسِ: قُمْ فَاسْتَسْقِ، فَقَامَ الْعَبَّاسُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ عِنْدَكَ سَحَابًا، وَإِنَّ عِنْدَكَ مَاءً فَانشُرِ السَّحَابَ، ثُمَّ أَنْزِلْ فِيهِ الْمَاءَ، ثُمَّ أَنْزِلْهُ عَلَيْنَا، فَاشْدُدْ بِهِ الْأَصْلَ، وَأَطِلْ بِهِ الزَّرْعَ، وَأَدِرَّ بِهِ الضَّرْعَ، اللَّهُمَّ شَفَّعْنَا فِي أَنْفُسِنَا وَأَهْلِينَا، اللَّهُمَّ إِنَّا شَفَعْنَا إِلَيْكَ عَمَّنْ لَا مَنْطِقَ لَهُ مِنْ بَهَائِمِنَا وَأَنْعَامِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا سُقْيَا وَادِعَةً بِالِغَةً، طَبَقًا، عَامًّا، مُحْيِيًا، اللَّهُمَّ لَا نَرْغَبُ إِلَّا إِلَيْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ سَغَبَ كُلِّ سَاغِبٍ، وَغُرْمَ كُلِّ غَارِمٍ، وَجُوعَ كُلِّ جَائِعٍ، وَعُرْيَ كُلِّ عَارٍ، وَخَوْفَ كُلِّ خَائِفٍ» فِي دُعَاءٍ لَهُ. وإسناده ضعيف جداً، إبراهيم بن أبي يحيى، متروك، وشيخه حسين بن عبد الله ضعيف، والمتن ليس بمنكر، والله أعلم.

ومن الوسائل المحرمة التى يخشى على صاحبها من الشرك الأكبر: التبرك المحرم، كالتبرك ببعض الأشجار وبعض الأحجار وبعض الأعمدة وبعض الآبار والعيون التي يظن بعض العامة أن لها فضلاً، إما لظنهم أن أحد الأنبياء والأولياء وقف على ذلك الحجر، أو لاعتقادهم أن نبياً نام تحت تلك الشجرة، أو يرى أحدهم رؤيا أن هذه الشجرة أو هذا الحجر مبارك، أو يعتقدون أن نبياً اغتسل في تلك البئر أو العين، أو أن شخصاً اغتسل فيها فشفي، ونحو ذلك، فيغلون فيها ويتبركون بها فيتمسحون بالأشجار والأحجار، ويغتسلون بماء هذه البئر أو تلك العين طلباً للبركة، ويعلقون بالشجرة الخرق والمسامير والثياب، فربما أدى بهم غلوهم هذا في آخر الأمر إلى عبادة هذه الأشياء، واعتقاد أنها تنفع وتضر بذاتها[١].

وَعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِكُفْرٍ، فَمَرَرْنَا عَلَى شَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ وَيَعْكُفُونَ حَوْلَهَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ[٢] كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ،

---

(١) انظر: «تسهيل العقيدة الإسلامية» (ص٣٠٢).

(٢) «ذَاتُ أَنْوَاطٍ»: شجرة خضراء عظيمة كانت الجاهلية تأتيها كلّ سنة تعظيماً لها، فتعلق عليها أسلحتها وتَذبح عندها، وكانت قريبة من مكة، وذُكر أنهم كانوا إذا أتوا يحجُّون يعلقون أرديتهم عليها ويدخلون الحرم بغير أردية تعظيماً للبيت، ولذلك سمِّيت أنواط، يقال: ناط الشيء ينوطه نوطاً إذا علَّقه. «معجم البلدان» (٢٧٣/١).

فَقَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ: سُـبْحَانَ اللهِ! هَـذَا كَمَـا قَـالَ قَـوْمُ مُوسَـى: ﴿اجْعَـلْ لَنَـا إِلَهًـا كَمَـا لَهُـمْ آلِهَـةٌ﴾ وَالَّـذِي نَفْسِـي بِيَـدِهِ لَتَـرْكَبُنَّ سُـنَّةَ مَـنْ كَـانَ قَبْلَكُمْ»[1].

فلما طَلَبَ حُدَثَاءُ العهد بالإسلام شجرةً يتبركون بها تقليداً للمشركين؛ أنكر عليهم النبي ﷺ ذلك، وأخبرهم أن طلبهم هذا يشبه طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام أن يجعل لهم آلهة تقليداً لمشركي زمانهم، فطلبهم مشابه لطلب بني إسرائيل من جهة طلب التشبه بالمشركين فيما هو شرك، وإن كان ما طَلَبَهُ حُدَثاء العهد بالإسلام هؤلاء من الشرك الأصغر[2].

قال أبو بكر الطرطوشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فانظروا -رحمكم الله- أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء مِن قِبَلِها وينوطون بها المسامير والخرق؛ فهي ذات أنواط فاقطعوها»[3].

الشرك في الإرادات والنيات:

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَأَمَّا الشِّرْكُ فِي الْإِرَادَاتِ وَالنِّيَّاتِ، فَذَلِكَ الْبَحْرُ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ، وَقَلَّ مَنْ يَنْجُو مِنْهُ، مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ، وَنَوَى شَيْئًا غَيْرَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ،

(١) أخرجه الترمذي ٢١٨٠ والنسائي في الكبرى ١١١٢١ وأحمد ٢١٨٩٧ والطيالسي ١٤٤٣ وابن حبان ٦٧٠٢ وقال الترمذي: «حسن صحيح» وهو كذلك.

(٢) انظر: «تسهيل العقيدة الإسلامية» ص٣٠٥.

(٣) «الحوادث والبدع» للطرطوشي ص٣٩.

وَطَلَبَ الْجَزَاءَ مِنْهُ، فَقَدْ أَشْرَكَ فِي نِيَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ. وَالْإِخْلَاصُ: أَنْ يُخْلِصَ لِلَّهِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَإِرَادَتِهِ وَنِيَّتِهِ..»[1].

وشرك الإرادة والنية من الشرك الأصغر، ومنه الرياء كما سيأتي، وقد يكون شرك النية والإرادة شركاً أكبر كالرياء بأصل الإيمان، أو إظهار بعض العبادات الأخرى رياءً مع إبطان الكفر فهذا من الشرك الأكبر والنفاق الأكبر.

الشرك الخفي:

عَنْ أَبِي عَلِيٍّ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ قَالَ: خَطَبَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ. فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَزْنٍ، وَقَيْسُ بْنُ الْمُضَارِبِ فَقَالَا: وَاللهِ لَتَخْرُجَنَّ مِمَّا قُلْتَ أَوْ لَنَأْتِيَنَّ عُمَرَ مَأْذُونٌ لَنَا أَوْ غَيْرُ مَأْذُونٍ. قَالَ: بَلْ أَخْرُجُ مِمَّا قُلْتُ، خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ». فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: قُولُوا: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ»[2].

وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا

---

(١) «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» (ص١٣٥).

(٢) أخرجه أحمد ١٩٦٠٦ وهو حديث حسن إن شاء الله.

إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»[1].

فهذا فيه النص على أن هذا شرك أصغر، وهو الرياء.

وأسند ابن كثير في تفسيره[2] بإسناد صحيح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢]، قال: الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها «فلان». هذا كله به شرك».

من الفروق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

١ -الشرك الأكبر يخرج صاحبه من الملة، والأصغر لا يخرجه، وهو يتنافى مع كمال التوحيد.

٢ -الأكبر محبط للأعمال كلها، والأصغر يحبط ما خالط أصله، أو غلب على العمل.

٣ -الأكبر موجب للخلود في النار؛ فصاحبه إن مات عليه فهو خالد مخلد في النار أبداً والعياذ بالله، والأصغر لا يوجب ذلك، فإن دخلها فهو كسائر مرتكبي الكبائر.

٤ -الأكبر يحل النفوس والأموال، والأصغر لا يحل ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٣٦٣٠ وهو حديث حسن بشواهده.

(٢) تفسير ابن كثير ١٩٦/١.

٥- الأكبر لا يُغفر لصاحبه إن مات عليه، والأصغر يدخل صاحبه تحت الموازنة؛ فإن حصل معه حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة، وإلا دخل النار، ومآله الخروج منها.

الكفر الأكبر

الكُفْر: بالضم ضد الإيمان، وبالفتح: الستر والتغطية، يُقال: كَفَرَ الزارع البذر في الأرض: إذا غطَّاه بالتراب، وكَفَرَ نعمة الله وبها، كُفُورًا وكُفرانًا: جحدها، وسترها [(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الكفر: عدم الإيمان -باتفاق المسلمين- سواء اعتقد نقيضه وتكلم به، أو لم يعتقد شيئاً ولم يتكلم»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إنما الكفر يكون بتكذيب الرسول ﷺ فيما أخبر به، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم»[(٣)].

وقال الإمام ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريف الكفر:

«وهو في الدين صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به، بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه، بقلبه دون لسانه، أو بلسانه

---

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٤٤/٥)، و«القاموس المحيط» للفيروزآبادي ص٦٠٥- ٦٠٦.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٨٦/٢٠).

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية ٢٤٢/١.

دون قلبه، أو بهما معاً، أو عمل عملاً جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان»[1].

ولعل التعريف الجامع للكفر في الاصطلاح أن نقول:

الكفر هو عدم الإيمان، وكل اعتقاد أو قول أو فِعل أو تَرْك يُضاد الإيمان أو جاء نَصٌّ أنه كُفْرٌ.

والكافر: ضدُّ المسلم، والمُرتَدُّ: هو الذي كفر بعد إسلامه؛ بقول، أو فعل، أو اعتقاد، أو شكٍّ.

والكفر كفران: كُفر يُخرج من المِلَّة، وهو الكفر الأكبر. والثاني: كفر لا يُخرج من الملَّة، وهو الكفر الأصغر، أو كُفْرٌ دون كُفْرٍ.

والكفر الأكبر يكون بالاعتقاد، ويكون بالقول أوبالفعل مع الاعتقاد، ويكون بالقول أو الفعل ولو من غير اعتقاد.

أنواع الكفر الأكبر:

النوع الأول: كفر الإنكار والتكذيب والجحود:

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾[العنكبوت:٦٨].

وهو أن ينكر المكلف شيئاً من أصول الدين، أو أحكامه، أو أخباره الثابتة ثبوتاً قطعياً، أو يكَذِّب بذلك.

ومن أمثلة هذا النوع:

---

(١) «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم ٤٥/١.

١- أن ينكر شيئاً من أركان الإيمان أو غيرها من أصول الدين، أو ينكر شيئاً مما أخبر الله عنه في كتابه، أو ورد في شأنه أحاديث متواترة وأجمع أهل العلم عليه إجماعاً قطعياً، والأمثلة لكل واحد مما سبق: كأن ينكر ربوبية الله تعالى أو ألوهيته، أو ينكر اسماً أو صفة لله تعالى مما أُجمِعَ عليه إجماعاً قطعياً، أو ينكر وجود أحد من الملائكة المجمع عليهم كجبريل أو ميكائيل عليهما السلام، أو ينكر كتاباً من كتب الله المجمع عليها، كأن ينكر (الزبور أو التوراة أو الإنجيل) التي أنزلها الله غير المحرَّفة، أو ينكر القرآن، أو ينكر نبوة أحد من الأنبياء المجمع عليهم، كأن ينكر رسالة نوح أو إبراهيم أو هود عليهم السلام، أو ينكر وجود الجن، أو ينكر إغراق قوم نوح. أو ينكر البعث للأجساد والأرواح، أو ينكر الحساب أو الجنة أو النار، أو ينكر نعيم القبر أو عذابه، أو ينكر أن الله تعالى قدَّر جميع الأشياء قبل حدوثها.

ومنه أن يصحح أديان الكفار كاليهود أو النصارى أو غيرهم، أو لا يكفرهم، أو يقول: إنهم لن يخلدوا في النار، ومنه أن ينسب نفسه إلى غير دين الإسلام.

٢- أن ينكر تحريم المحرمات الظاهرة المجمع على تحريمها، كالسرقة، وشرب الخمر، والزنى، ونحو ذلك، أو يعتقد أن أحداً يجوز له الخروج على شريعة النبي ﷺ، فلا يجب عليه الالتزام بأحكامها، فيجوز له ترك الواجبات وفعل المحرمات كما يعتقد غلاة الصوفية، أو يعتقد أن أحداً يجوز له أن يحكم أو يتحاكم إلى غير شرع الله تعالى.

٣- أن ينكر حِلَّ المباحات الظاهرة المجمع على حلِّها، كأن يجحد حِلَّ أكل لحوم بهيمة الأنعام، أو ينكر حل تعدد الزوجات، أو حل أكل الخبز، ونحو ذلك.

٤ - أن ينكر وجوب واجب من الواجبات المُجمع عليها إجماعاً قطعياً، كأن ينكر وجوب ركن من أركان الإسلام، أو ينكر أصل وجوب الجهاد، أو أصل وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [١].

وهذه الأنواع وأمثلتها على سبيل المثال وليس الحصر.

والمعلوم من الدين بالضرورة: هو ما يعرفه العلماء والعامة من غير افتقار إلى نظر واستدلال، ومن غير قبول للتشكيك، وذلك كوجوب الصلوات الخمس، وتحريم الخمر والزنى، فالتحق بالضروريات لذلك.

النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التَّصديق:

وهو: أن يصدِّق بأصول الإسلام وأحكامه بقلبه ولسانه، لكن يرفض الانقياد بجوارحه لحكم من أحكامه استكباراً وترفعاً.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة:٣٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأما كفر الإباء والاستكبار: فنحو كفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، ومن هذا كُفْرُ مَن عرف صِدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، ولم يَنْقَدْ له إباءً

---

(١) انظر «مدارج السالكين» ١/٣٦٦،٣٦٧، و«نهاية المحتاج» ٧/٤١٥،٤١٦، و«مغني المحتاج» ٤/١٣٦، و«تسهيل العقيدة الإسلامية» ص٢١٠-٢١٤.

واستكباراً، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ [المؤمنون:٤٧]، وقول الأمم لرسلهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [إبراهيم:١٠]، وقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾[الشمس:١١]. وهو كُفر اليهود كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة:٨٩]، وقال: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[البقرة:١٤٦]. وهو كفر أبي طالب أيضاً، فإنه صدَّقه ولم يشك في صدقه، ولكن أخذته الحَمِيَّة، وتعظيم آبائه أن يرغب عن مِلَّتهم ويشهد عليهم بالكفر»[١].

وقد أجمع أهل العلم على كفر من امتنع من امتثال حكم من أحكام الشرع استكباراً.

ومن أمثلة هذا النوع من الكفر أيضاً أن يرفض شخص أن يصلي صلاة الجماعة، ويترفع عنها، لأنها تسوِّي بينه وبين الآخرين، ومن أمثلته أيضاً: أن يمتنع شخص عن لبس لباس الإحرام؛ لأنه في زعمه لباس الفقراء ولا يليق به، ونحو ذلك[٢].

النوع الثالث: كفر الشك والظن:

وهو أن يشك المسلم في إيمانه بشيء من أصول الدين المجمع عليها، أو لا يجزم في تصديقه بخبر أو حكم ثابت معلوم من الدين بالضرورة.

---

(١) «مدارج السالكين» ٣٦٧/١.

(٢) انظر: «تسهيل العقيدة» ص٢١٩.

كما في قصة صاحب الجَنَّتَين، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا . وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا . قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً . لَّكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[الكهف:٣٥-٣٨].

وحين قال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾، فقال له صاحبه المؤمن: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾، قال ابن حزم: «فأثبت الله الشرك والكفر مع إقراره بربه تعالى، إذ شك في البعث»[(١)].

ومن أمثلة هذا النوع: أن يشك في صحة القرآن، أو يشك في ثبوت عذاب القبر، أو يتردد في أن جبريل عليه السلام من ملائكة الله تعالى، أو يشك في تحريم الخمر، أو يشك في وجوب الزكاة، أو يشك في كفر اليهود أو النصارى، أو يشك في أن الله تعالى أهلك فرعون بالغرق، أو يشك في أن قارون كان من قوم موسى، وغير ذلك من الأصول والأحكام والأخبار الثابتة المعلومة من الدين بالضرورة، والتي سبق ذكر أمثلة كثيرة لها في النوع الأول[(٢)].

---

(١) «الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحَل» للإمام ابن حزم ١٩٥/٣.

(٢) انظر: «تسهيل العقيدة الإسلامية» ص٢١٦.

حكم الوسوسة في الإيمان:

الوساوس والخطرات السيئة التي يلقيها الشيطان على قلب المسلم ليشككه في دينه ويفسد إيمانه؛ فإنها لا تضر المسلم ولا يُحكم عليه بسببها بكفر أو غيره إذا كَرِهَهَا ودافَعَها وكَتَمَهَا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»(١).

يعني حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة له ودفعه عن القلب؛ هو من صريح الإيمان، كالمجاهد الذي جاءه العدو، فدافعه حتى غلبه، فهذا أعظم الجهاد. والصريح: الخالص، كاللبن الصريح. وإنما صار صريحاً، لَمَّا كرهوا تلك الوساوس الشيطانية ودفعوها فخلص الإيمان فصار صريحاً(٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوَسْوَسَةِ، قَالَ: «تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ»(٣).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُحَدِّثُ نَفْسِي بِالشَّيْءِ لَأَنْ أخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ، وفي رواية: لَأَنْ يَكُونَ حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ،

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٩-(١٣٢).

(٢) «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٢١.

(٣) أخرجه مسلم ٢١١-(١٣٣).

قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ، حَتَّى يُقَالَ: هَذَا، خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ»(٣).

النوع الرابع: كفر الإعراض:

وهو الإعراض عن الإيمان بالله وتوحيده وعن الإيمان بالرسول ﷺ وبما جاء به، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف:٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].

النوع الخامس: كفر السَّبِّ والاستهزاء:

وهو أن يَستهزِئَ أو يَسُبَّ شيئاً من دين الله تعالى مما هو معلوم من الدين بالضرورة، أو مما يَعلم هو أنه من دين الله تعالى.

---

(١) أخرجه أبو داود ٥١١٢ وأحمد ٢٠٩٧ والنسائي في عمل اليوم والليلة ٦٦٨ وابن حبان ١٧٤ والبيهقي في شعب الإيمان ٣٤١ بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٧٦ ومسلم ٢١٤-(١٣٤).

(٣) أخرجه مسلم ٢١٢-(١٣٤).

وذلك بأن يستهزئ بالقول أو الفعل -ولو إشارة-؛ بالله تعالى، أو باسم من أسمائه، أو بصفة من صفاته المجمع عليها، أو يصف الله تعالى بصفة نقص، أو يسب الله تعالى، أو يسب دين الله تعالى أو يلعن هذا الدين، أو يلعن دين شخص مسلم، أو يقول: إن هذا الدين متخلف، أو رجعي، أو لا يناسب هذا العصر، أو يستهزئ بملائكة الله تعالى، أو بواحد منهم: كأن يسب ملك الموت، أو خزنة جهنم، أو يستهزئ أو يسب شيئاً من كتب الله، كأن يسب القرآن، أو يستهزئ به أو بآية منه بالقول، أو بالفعل بأن يهينه بوضعه في القاذورات، ونحو ذلك، أو يسب أحداً من أنبياء الله المجمع على نبوتهم أو يستهزئ بهم، كأن يسب النبي ﷺ أو يستهزئ به، أو يستهزئ بشيء مما ثبت في القرآن أو السنة من الواجبات أو السنن، كأن يستهزئ بالصلاة، أو يستهزئ بالسواك، أو بتوفير اللحية، أو بتقصير الثوب إلى نصف الساقين مع علمه بأن ذلك كله من دين الله تعالى، أو يستهزئ بشخص لتطبيقه واجباً أو سنة ثابتة يعلم بثبوتها، وأنها من دين الله، وكان استهزاؤه بكل هذه الأمور من أجل مجرد فعل هذا الحكم الشرعي، لا من أجل شَكل الشخص وهيئته ونحو ذلك. وقد أجمع أهل العلم على كفر من سبَّ أو استهزأ بشيء مما ثبت أنه من دين الله تعالى، سواء أكان هازلاً أم لاعباً أم مجاملاً لكافر أو غيره، أم في حال مشاجرة، أم في حال غضب لم يفقده عقله، أم غير ذلك، وذلك لأن الله تعالى قد حكم بكفر من استهزأ بالله تعالى وبآياته وبرسوله محمد ﷺ، مع أنهم كما قالوا كانوا

يلعبون، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة:٦٥-٦٦]؛ ولأن من فعل ذلك فهو مُسْتَخِفٌّ بالربوبية والرسالة، ومستخفٌّ بعموم دين الله تعالى غير معظِّم لذلك كله، وهذا مناف للإيمان والإسلام[١].

النواع السادس: كفر البُغض والكراهية:

وهو أن يبغض دين الإسلام، أو الرسول ﷺ، أو أي شيء من دين الله وهو يعلم أنه من دين الله تعالى. ومثاله ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ . فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[محمد:٢٥-٢٨].

النوع السابع: كفر النفاق:

والدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[المنافقون:٣].

وسيأتي بيان النفاق الأكبر والنفاق الأصغر.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» ٦١٦/٧، و«الصارم المسلول» ص٥١٩،٥٢٤، و«تسهيل العقيدة» ص٢٢٠-٢٢٦.

النوع الثامن: كفر الموالاة للكافرين على دينهم ومظاهرتهم على المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران:٢٨].

قال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَمَعْنَى ذَلِكَ: لَا تَتَّخِذُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكُفَّارَ ظَهْرًا وَأَنْصَارًا، تُوَالُونَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَتُظَاهِرُونَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَدُلُّونَهُمْ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ؛ يَعْنِي بِذَلِكَ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللَّهِ، وَبَرِئَ اللَّهُ مِنْهُ بِارْتِدَادِهِ عَنْ دِينِهِ، وَدُخُولِهِ فِي الْكُفْرِ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا فِي سُلْطَانِهِمْ، فَتَخَافُوهُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَتُظْهِرُوا لَهُمُ الْوَلَايَةَ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَتُضْمِرُوا لَهُمُ الْعَدَاوَةَ، وَلَا تُشَايِعُوهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَلَا تُعِينُوهُمْ عَلَى مُسْلِمٍ بِفِعْلٍ»[(١)].

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾[النساء:١٤٤]، وقال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[المائدة:٥١].

أما إذا كانت موالاة المسلم للكافرين ومعاونته لهم على المؤمنين من أجل مصلحة دنيوية وأغراض شخصية، ونحو ذلك، فهي محرمة

---

(١) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» لابن جرير الطبري (٣١٥/٥).

وكبيرة من كبائر الذنوب، وليست من الكفر المخرج من الملة، ودليل ذلك صنيع حاطِب بن أبي بَلْتَعَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ، قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا»، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ المُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا، وَلَا رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ صَدَقَكُمْ، وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا»، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»، فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧، ٣٩٨٣) ومسلم ١٦١-(٢٤٩٤).

وهناك كثير من الحالات التي تدخل في الولاء المحرَّم وليس من الكفر المخرج من الملة.

وقد بيَّن أهل العلم ما يجوز من المعاملات مع الكفار مما لا يدخل في الولاء المحرَّم، ومما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[الممتحنة:٨].

والأصل في المؤمن أنَّ ولاءَه وحبه ونصرته للمؤمنين، وأولياؤه هم المؤمنون، وبراءته من الكافرين وبغضه لهم، وأن الكافرين ليسوا بأولياء للمؤمن، إنما وَلِيُّهُ الله ورسوله والمؤمنون، والنصوص في ذلك من الكتاب والسنة مستفيضة.

الحكم بغير ما أنزل اللّه تعالى:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِنَّهُ لَيْسَ بِالْكُفْرِ الَّذِي تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ، إِنَّهُ لَيْسَ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]: كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ[1].

---

(١) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٥٦٩) والحاكم ٣٤٢/٢ (٣٢١٩) وعنه البيهقي في السنن الكبرى ٢٠/٨ وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم =

ويُروى من قول عطاء وطاوس بأسانيد صحيحة[1].

قال ابن هانئ النيسابوري: وسألته (يعني: الإمام أحمد بن حنبل) عن حديث طاووس عن قوله: كُفر لا يَنقُلُ عن المِلَّة. قال أبو عبد الله: إنما هذا في هذه الآية: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[المائدة:٤٤][2].

وقال محمد بن نصر المروزي: حَكَى الشَّالِنْجِيُّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ سَعِيدٍ أَنَّهُ سَأَلَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ عَنِ الْمُصِرِّ عَلَى الْكَبَائِرِ يَطْلُبُهَا بِجُهْدِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكِ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصَّوْمَ، هَلْ يَكُونُ مُصِرًّا مَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ؟ قَالَ: هُوَ مُصِرٌّ مِثل قَوْلِهِ: «لَا يَزْنِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ» يَخْرُجُ مِنَ الْإِيمَانِ وَيَقَعُ فِي الْإِسْلَامِ، وَمِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ: «لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[3]، وَمِنْ نَحْوِ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة: ٤٤].

= يخرجاه» وأقره الذهبي، وهو أثر ثابت عن ابن عباس ومتلقى بالقبول عند العلماء ومذكور في أهم وأقدم التفاسير، ولم يضعِّف الأئمة نسبته إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(١) مصنف عبد الرزاق (١٢٠/٣) وتفسير الطبري (٤٥٤/٨).

(٢) «مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية إسحاق بن إبراهيم بن هانئ النيسابوري (١٩٢/٢) (٢٠٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم ١٠٠-(٥٧) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

فَقُلْتُ لَهُ: مَا هَذَا الْكُفْرُ؟ قَالَ: كُفْرٌ لَا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ مِثْلُ الْإِيمَانِ بَعْضُهُ دُونَ بَعْضٍ، فَكَذَلِكَ الْكُفْرُ حَتَّى يَجِيءَ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ لَا يُخْتَلَفُ فِيهِ[1].

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَهَذَا تَأْوِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَامَّةِ الصَّحَابَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَ بِكُفْرٍ يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ، بَلْ إِذَا فَعَلَهُ فَهُوَ بِهِ كُفْرٌ، وَلَيْسَ كَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. وَكَذَلِكَ قَالَ طَاوُس، وَقَالَ عَطَاءٌ: هُوَ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وَظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ، وَفِسْقٌ دُونَ فِسْقٍ.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَ الْآيَةَ عَلَى تَرْكِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ جَاحِدًا لَهُ، وَهُوَ قَوْلُ عِكْرِمَةَ، وَهُوَ تَأْوِيلٌ مَرْجُوحٌ، فَإِنَّ نَفْسَ جُحُودِهِ كُفْرٌ، سَوَاءٌ حَكَمَ أَوْ لَمْ يَحْكُمْ.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَهَا عَلَى تَرْكِ الْحُكْمِ بِجَمِيعِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، قَالَ: وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْحُكْمُ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ، وَهَذَا تَأْوِيلُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْكِنَانِيِّ، وَهُوَ أَيْضًا بَعِيدٌ، إِذِ الْوَعِيدُ عَلَى نَفْيِ الْحُكْمِ بِالْمُنَزَّلِ، وَهُوَ يَتَنَاوَلُ تَعْطِيلَ الْحُكْمِ بِجَمِيعِهِ وَبِبَعْضِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَهَا عَلَى الْحُكْمِ بِمُخَالَفَةِ النَّصِّ تَعَمُّدًا مِنْ غَيْرِ جَهْلٍ بِهِ وَلَا خَطَأٍ فِي التَّأْوِيلِ، حَكَاهُ الْبَغَوِيُّ عَنِ الْعُلَمَاءِ عُمُومًا.

---

(١) «تعظيم قدر الصلاة» لمحمد بن نصر المروزي (٢/٥٢٦) وانظر كتاب «الإيمان» لابن تيمية ص٢٥٨.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَهَا عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ، وَالضَّحَاكِ وَغَيْرِهِمَا، وَهُوَ بَعِيدٌ، وَهُوَ خِلَافُ ظَاهِرِ اللَّفْظِ، فَلَا يُصَارُ إِلَيْهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ.

وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ يَتَنَاوَلُ الْكُفْرَيْنِ، الْأَصْغَرَ وَالْأَكْبَرَ بِحَسَبِ حَالِ الْحَاكِمِ، فَإِنَّهُ إِنِ اعْتَقَدَ وُجُوبَ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ، وَعَدَلَ عَنْهُ عِصْيَانًا، مَعَ اعْتِرَافِهِ بِأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْعُقُوبَةِ، فَهَذَا كُفْرٌ أَصْغَرُ، وَإِنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ، وَأَنَّهُ مُخَيَّرٌ فِيهِ، مَعَ تَيَقُّنِهِ أَنَّهُ حُكْمُ اللَّهِ، فَهَذَا كُفْرٌ أَكْبَرُ، وَإِنْ جَهِلَهُ وَأَخْطَأَهُ فَهَذَا مُخْطِئٌ لَهُ حُكْمُ الْمُخْطِئِينَ»[1].

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَالْحَسَنُ: هِيَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالْكُفَّارِ، أَيْ مُعْتَقِدًا ذَلِكَ وَمُسْتَحِلًّا لَهُ، فَأَمَّا مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَهُوَ مُعْتَقِدٌ أَنَّهُ رَاكِبُ مُحَرَّمٍ، فَهُوَ مِنْ فُسَّاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ وُجُوبَ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ فَهُوَ كَافِرٌ، فَمَنِ اسْتَحَلَّ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا يَرَاهُ هُوَ عَدْلًا مِنْ غَيْرِ اتِّبَاعٍ لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَهُوَ كَافِرٌ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَهِيَ تَأْمُرُ بِالْحُكْمِ بِالْعَدْلِ،

---

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم (٣٤٥/١-٣٤٦).

(٢) «الجامع لأحكام القرءان» للقرطبي (١٩٠/٦).

وَقَدْ يَكُونُ الْعَدْلُ فِي دِينِهَا مَا رَآهُ أَكَابِرُهُمْ، بَلْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ يَحْكُمُونَ بِعَادَاتِهِمُ الَّتِي لَمْ يُنْزِلْهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كَسَوَالِفِ الْبَادِيَةِ، وَكَأَوَامِرِ الْمُطَاعِينَ فِيهِمْ، وَيَرَوْنَ أَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي يَنْبَغِي الْحُكْمُ بِهِ دُونَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَهَذَا هُوَ الْكُفْرُ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ أَسْلَمُوا، وَلَكِنْ مَعَ هَذَا لَا يَحْكُمُونَ إِلَّا بِالْعَادَاتِ الْجَارِيَةِ لَهُمُ الَّتِي يَأْمُرُ بِهَا الْمُطَاعُونَ، فَهَؤُلَاءِ إِذَا عَرَفُوا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْحُكْمُ إِلَّا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَلَمْ يَلْتَزِمُوا ذَلِكَ، بَلِ اسْتَحَلُّوا أَنْ يَحْكُمُوا بِخِلَافِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَهُمْ كُفَّارٌ، وَإِلَّا كَانُوا جُهَّالًا، كَمَنْ تَقَدَّمَ أَمْرُهُمْ.

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ كُلَّهُمْ إِذَا تَنَازَعُوا فِي شَيْءٍ أَنْ يَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النِّسَاء:٥٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النِّسَاء: ٦٥]. فَمَنْ لَمْ يَلْتَزِمْ تَحْكِيمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ فَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مُلْتَزِمًا لِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، لَكِنْ عَصَى وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، فَهَذَا بِمَنْزِلَةِ أَمْثَالِهِ مِنَ الْعُصَاةِ»[1].

(١) «منهاج السنة النبوية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣٠/٥-١٣١).

حكم الكفر الأكبر:

وحكم الكفر الأكبر هو نفس حكم الشرك الأكبر الذي سبق بيانه.

وإذا وقع المسلم في الكفر الأكبر أو الشرك الأكبر وحُكِمَ بكفره فهو مرتد له أحكام المرتدين المبيَّنة في كتب الأحكام، ومنها أنه يجب قتله إن لم يتب ويرجع إلى الإسلام، لقوله ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِيْنَهُ فاقْتُلُوْهُ»[1]، ولقوله ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسلِمٍ إلَّا بإحدَى ثَلَاث: الثَّيِّبُ الزَّانِي، والنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، والتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»[2].

تَوَفُّر الشروط وانتفاء الموانع لتكفير المُعَيَّن:

إن التكفير له شروط يجب أن تتوفر، وموانع يجب أن تنتفي في حق المُعَيَّن، لكي يحكم عليه بالكفر، وإن التكفير المُطْلَق لا يستلزم تكفير الشخص المُعَيَّن الذي وقع في ذلك المكفِّر اعتقاداً أو قولاً أو عملاً، إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، كما ذكر أهل العلم، لكن ليس ذلك مطرداً ولا على سبيل الإطلاق في كل الأحوال كما ذكر المحققون، وإنَّما بحسب نوع الشيء المكفِّر ظهوراً وخفاءً، وهكذا، وكذلك بحسب حال المعيَّن، فمثلاً المفرِّط في طلب تعلُّم أصل دينه وهو التوحيد، فلا يعذر في ارتكاب شِرك أو كُفْر بحجة أنه جاهل، وهكذا. وينظر ذلك في كتب الأئمة المحققين، كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى، ويجمع كلامهما مع كلام غيرهما من المحققين من الأئمة وعلماء أهل السنة والجماعة ويستفاد منه في هذا الشأن.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٩٢٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٨٧٨ ومسلم ١٦٧٦.

قال الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«للحكم بتكفير المسلم شرطان: أحدهما: أن يقوم الدليل على أن هذا الشيء مما يُكَفِّر. الثاني: انطباق الحكم على مَن فعل ذلك بحيث يكون عالمًا بذلك قاصدًا له، فإن كان جاهلًا لم يكفر، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾[التوبة:١١٥]، وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، لكن إن فرَّط بترك التعلُّم والتبيُّن، لم يُعذَر، مثل أن يبلغه أنَّ عمله هذا كفر فلا يتثبَّت ولا يبحث فإنه لا يكون معذورًا حينئذ. وإن كان غير قاصد لعمل ما يُكَفِّرُ لم يَكفر بذلك، مثل أن يُكْرَهَ على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ومثل أن ينغلق فكره فلا يدري ما يقول لشدة فرح ونحوه، كقول صاحب البعير الذي أضلها، ثم اضطجع تحت شجرة ينتظر الموت فإذا بخطامها متعلقًا بالشجرة فأخذه وقال: «اللّٰهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»(١). لكن من عمل شيئًا مكفرًا مازحًا فإنه يَكفر لأنه قصد ذلك، كما نص عليه أهل العلم»(٢).

والتكفير من أخطر الأمور، ولذلك أوجب الله التبيُّن والتثبُّت في إطلاق الكفر على أحد، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾(النساء:٩٤). وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٨ و ٦٣٠٩)، ومسلم (٤٩٢٧- ٤٩٣٣) وتقدم في ص١٣٨.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ١٢٥/٢، ١٢٦

اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ»[١].

فلا إفراط ولا تفريط، فلا يُسْتَسهل تكفير المعيَّن من غير تثبُّت، ولا يُتَساهل بترك تكفيره عيناً إذا استحق ذلك.

الكفر الأصغر

وهو الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كفراً، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، مثل كفر النعمة بعدم شكرها دون جَحْدٍ لله المُنْعِم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[إبراهيم:٧]. وكتفسير ابن عباس وعطاء وطاوس لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ بأنه ليس كفراً مخرجاً من الملة، كفر دون كفر. وقد سبق تفصيل الكلام فيه. ومِثل قتال المسلم المذكور في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[٢]. وفي حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[٣].

من الفروق بين الكفر الأكبر والأصغر:

١ - الكفر الأكبر يُخرج من المِلَّة، والأصغر لا يُخرج من المِلَّة.

٢ - الكفر الأكبر يُحبط جميع الأعمال، والأصغر لا يُحبطها لكنه ينقصها.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٤) ومسلم ١١١-(٦٠).

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٤٤ ومسلم ١١٦-(٦٤).

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٧٧ ومسلم ١٢٠-(٦٦).

٣ - الكفر الأكبر يخلد صاحبه في النار، والكفر الأصغر لا يخلد صاحبه في النار.

٤ - الكفر الأكبر يُبيح الدم والمال، والكفر الأصغر لا يُبيح الدم والمال.

٥ - الكفر الأكبر يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، ولا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته، ولو كان أقرب قريب، وأما الكفر الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقًا، بل صاحبه يُحَبُّ ويُوالَى بقدر ما معه من الإيمان، ويُبغَض ويُعَادَى بقدر ما فيه من العصيان(١).

النفاق الأكبر

النفاق في اللغة:

النَّفَقُ: سَرَبٌ فِي الْأَرْضِ لَهُ مَخْلَصٌ إِلَى مَكَانٍ. وسُمِّيَ المنافق منافقًا لأنَّه نافق كاليربوع، إذا دخل في نافِقَائه، يقال: قد نفق فيه ونافق، وهو جُحْرُهُ، وله جُحْرٌ آخر يقال له: القاصِعَاء، فإذا طُلِب قصع فخرج من القاصِعَاء، فهو يدخل فى النافِقَاء ويخرج من القاصِعَاء، أو يدخل فى القاصعاء، ويخرج من النافقاء. فيقال: هكذا يفعل المنافق، يدخل فى الإسلام، ثم يخرج منه من غير الوجه الذى دخل فيه(٢).

وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ النِّفَاقِ، لِأَنَّ صَاحِبَهُ يَكْتُمُ خِلَافَ مَا يُظْهِرُ، فَكَأَنَّ الْإِيمَانَ يَخْرُجُ مِنْهُ، أَوْ يَخْرُجُ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ فِي خَفَاءٍ(٣).

---

(١) وانظر: «كتاب التوحيد» للشيخ صالح الفوزان، ص١٥.

(٢) انظر: «كتاب العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي ١٧٧/٥ و«غريب الحديث» لأبي عبيد القاسم بن سلام ٢٨٣/٢.

(٣) «معجم مقاييس اللغة» لأحمد بن فارس القزويني الرازي ٤٥٥/٥.

وفي الاصطلاح: أن يُظهر الإنسان الإسلام وشعائر الدين، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه.

وذلك بأن يكون في الظاهر أمام الناس يدَّعي الإسلام، ويظهر لهم أنه مسلم، وربما يعمل أمامهم بعض العبادات كالصلاة والصيام والحج وغيرها، ولكن قلبه -والعياذ بالله- لا يؤمن بالله، أو يعتقد أن الإسلام دين ناقص، أو لا يصلح للتطبيق في هذا العصر، أو يعتقد أن فيه ظلماً لبعض فئات المجتمع، أو فيه ظلم للنساء، أو أن بعض تشريعاته فيها ظلم، وغير ذلك من الاعتقادات المخرجة من الملة التي سبق ذكرها في الشرك الأكبر والكفر الأكبر.

وحكم المنافق هو حكم المشرك شركاً أكبر والكافر كفراً أكبر، كما سبق بيانه؛ لأن المنافقين في الحقيقة كفار، وإن كانوا أسوأ حالاً من سائر الكفار، لأنهم زادوا على الكفر: الكذب والمراوغة والخداع، وضررهم على المسلمين أشدّ؛ لأنهم يندسون بين المسلمين ويظهرون أنهم منهم، ويحاربون الإسلام باسم الإصلاح، ولذلك فهم أشد عذاباً في الآخرة من سائر الكفَّار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء:١٤٥][(١)].

وللمنافقين صفات وأعمال كفرية يستدل بها على ما يبطنون من النفاق، وقد بينها الله تعالى في كتابه، كما في سورة التوبة التي تُسَمَّى الفاضحة؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ فضح فيها المنافقين ببيان أعمالهم الكفرية، وأنزل الله كذلك سورة في شأنهم وباسمهم، وهي سورة (المنافقون).

---

(١) «تسهيل العقيدة الإسلامية» ص٢٥٤-٢٥٥.

النفاق الأصغر

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: «النفاق الأصغر - وهو نفاق العمل - هو أن يظهر الإنسان علانيةً صالحةً ويبطن ما يخالف ذلك»[1].

فكل من فعل أو قال قولاً مشروعاً واجباً أو مستحباً أو مباحاً، وقد أبطن ضد ما أظهره فقد فعل خصلة من خصال النفاق الأصغر، ويسميه بعض أهل العلم«النفاق العملي» لأنه يتعلق بالأعمال وليس في الاعتقاد، وأطلق عليه بعض أهل العلم أيضاً «نفاق دون نفاق». وحكم هذا النفاق أنه محرَّم، ومن أخطر الذنوب، ومن فعل خصلة من خصاله فقد تَشَبَّهَ بالمنافقين، ولكنه لا يخرج من ملة الإسلام بإجماع أهل العلم.

وأصول هذا النفاق ترجع إلى حديثين:

الأول: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[2].

الثاني: حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[3].

ومن الفروق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر أن النفاق الأكبر يُخرج من المِلَّة، ويحبط الأعمال، ويخلد صاحبه في النار، بخلاف النفاق الأصغر.

---

(١) «جامع العلوم والحِكَم»: شرح الحديث ٤٨، ج٢ ص٤٨١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٩٥ ومسلم ١٠٧-(٥٩).

(٣) أخرجه البخاري ٣٤ ومسلم ١٠٦-(٥٨).

الباب الثاني

ذكر بقية أركان الإيمان

الإيمان بالملائكة

الملائكة: عالَمٌ غيبيٌّ، مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه، ولا يعصونه أبداً، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ . يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠]. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٧]، وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم:٦].

وهم عدد كثير، لا يحصيهم إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قصة المعراج وفيه أن النبي ﷺ قال: «فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»(١).

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٤) ومسلم (٤٠٩).

الثاني: الإيمان بمَن عَلِمْنا اسمه منهم باسمه، كجبريل وميكال عليهما السلام، ومن لم نعلم أسماءهم نؤمن بهم إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علِمنا من صفاتهم، كصفة جبريل فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خُلِقَ عليها، وله ستمائة جناح قد سدَّ الأفق.

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل لجبريل عليه السلام حين أرسله الله تعالى إلى مريم فتمثَّل لها بشرًا سويًّا، وحين جاء إلى النبي ﷺ في صورة رجل وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، وأشراط الساعة، في الحديث الصحيح المشهور، وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم، ولوط عليهما السلام؛ كانوا على صورة رجال.

الرابع: مما يتضمنه الإيمان بالملائكة: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى؛ كتسبيحه، والتعبد له ليلاً ونهارًا بدون ملل ولا فُتُور.

وقد يكون لبعضهم أعمال خَاصَّة.

مثل: جبريل الأمين على وحي الله تعالى، يرسله الله به إلى الأنبياء والرسل.

وميكائيل: الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات.

وإسرافيل: الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق.

وملك الموت: الموكل بقبض الأرواح عند الموت. وتسميته بعزرائيل لم ترد في القرءان ولا في حديث ثابت، وإنما الذي في القرءان أنه ملك الموت.

ومالك: الموكل بالنار وهو خازن النار.

والملائكة الموكلين بالأجِنَّةِ في الأرحام، إذا أتم الإنسان أربعة أشهر في بطن أمه، بعث الله إليه ملكًا وأمره بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشَقِيّ أو سعيد.

والملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم، وكتابتها لكل إنسان، ملكان أحدهما عن اليمين والثاني عن الشمال.

والملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره؛ يأتيه مَلَكَان، يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه.

والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى، وقوَّته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكَّل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجسامًا، وقالوا: إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلآئِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[فاطر: ١].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾[الأنفال: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ﴾[الأنعام: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[سبأ: ٢٣].

وقال في أهل الجنة: ﴿وَالمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ. سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[الرعد: ٢٣، ٢٤].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»[(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ؛ كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ المَسْجِدِ المَلَائِكَةُ، يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، فَإِذَا جَلَسَ الإِمَامُ طَوَوُا الصُّحُفَ، وَجَاءُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»[(٢)].

وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية، كما قال الزائغون، وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٤٠ ومسلم ١٥٧-(٢٦٣٧).

(٢) أخرجه البخاري ٣٢١١ ومسلم ٢٤-(٨٥٠).

(٣) انظر: «نبذة في العقيدة الإسلامية»، مطبوع ضمن كتاب: «الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين» ص٤٢-٤٥.

الركن الثالث من الإيمان

الإيمان بالكتب التي أنزلها اللَّه

معنى الإيمان بالكتب التي أنزلها الله: التصديق والإقرار الجازم بما أنزل الله من الكتب على أنبيائه ورسله، وأنَّ ماتضمَّنته حقٌّ.

قال الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٥-١٣٦].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة:٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[النساء: ١٣٦].

والإيمان بالكتب السماوية يشتمل على أمور:

١ - الإيمان بجميع الكتب التي أنزلها الله، فما علمناه منها تفصيلًا وجب الإيمان به تفصيلًا، وما كان منها مجملًا وجب الإيمان به إجمالًا.

والكتب التي أخبرنا الله بها في القرآن هي:

التوراة: التي أنزلها الله على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾[الأنعام:٩١].

الزَّبُور: الذي أنزله الله على داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء:١٦٣].

الإنجيل: الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام، قال تعالى :﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾[المائدة: ٤٦].

صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾[الأعلى: ١٨، ١٩].

القرآن: الذي أنزله الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[الشعراء:١٩٣-١٩٥].

٢ - نؤمن بأن هذه الكتب كانت واجبة على الأمم التي أنزلت فيهم، ووجب عليهم الانقياد لأحكامها، وأن هذه الكتب نُسخ بعضها، أو نسخ بعض أحكامها، وأن القرآن نسخ كل هذه الكتب، ووجب على جميع الخلق إنسِهم وجنِّهم الانقيادُ لأحكام القرآن؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

٣ - نؤمن بأن هذه الكتب يصدق بعضها بعضًا؛ كما قال الله تعالى عن الإنجيل: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾ [المائدة: ٤٦]، وقال عن القرآن: ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:٤٨].

٤ - نؤمن بأن هذه الكتب هي كلام الله حقيقة، لا كلام غيره، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء، وعلى الوجه الذي أراد؛ فمنها المسموع منه من وراء حجاب بلا واسطة، ومنها ما يسمعه الرسول الملكي ويأمره الله بتبليغه إلى الرسول البشري؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[الشورى:٥١].

٥ - الاعتقاد بأن من أنكر شيئًا مما أنزله الله من هذه الكتب فهو كافر؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[النساء:١٣٦].

٦ - الإيمان بأن القرآن لا يأتي بعده كتاب ينسخه، أو ينسخ بعض أحكامه، وأن الله تعالى تكفل بحفظه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩]، وأن من بدَّل وغيَّر شرع الله، أو من اعتقد أن غير القرآن أفضل من القرآن في التحاكم إليه، أو أن القرآن لا يصلح لعصرنا؛ فهو كافر؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة:٤٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥].

٧ - نؤمن بأن هذه الكتب والشرائع نزلت لمقصد واحد، وهو عبودية الله وحده لا شريك له، وأن هذه الكتب بيَّنت للناس المنهج الذي به

يستقيم سلوكهم، ويكون حكمًا بينهم؛ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ ﴾[المائدة:٤٤]، وقال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾[البقرة:٢١٣]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد:٢٥].

وإذا كانت هذه الكتب اتفقت في الغاية، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، فقد تنوعت شرائعها؛ كما قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[المائدة:٤٨]، ولا يسع لأحد بعد نزول القرآن اتباعُ أي شريعة غير القرآن؛ لأنه ناسخ لكل هذه الشرائع، ومهيمن عليها.

٨ - نؤمن بأن التوراة والإنجيل اللَّذَيْنِ في أيدي اليهود والنصارى الآن قد دخلهما التحريف والتبديل؛ قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[النساء:٤٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ . يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة:١٤-١٥].

ومما يدل على ما حدث من تحريف وتبديل في التوراة والإنجيل؛ ما فيهما من تناقض وما فيهما من وصف لا يليق بالله ولا بأنبيائه.

الركن الرابع من الإيمان

الإيمان بالرسل

معنى النبي والرسول:

قال الإمام ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقَدْ ذَكَرُوا فُرُوقًا بَيْنَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ، وَأَحْسَنُهَا: أَنَّ مَنْ نَبَّأَهُ اللَّهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ؛ إِنْ أَمَرَهُ أَنْ يُبَلِّغَ غَيْرَهُ فَهُوَ نَبِيٌّ رَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ يَأْمُرْهُ أَنْ يُبَلِّغَ غَيْرَهُ فَهُوَ نَبِيٌّ وَلَيْسَ بِرَسُولٍ. فَالرَّسُولُ أَخَصُّ مِنَ النَّبِيِّ، فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا»(١).

والإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن الله عَزَّ وَجَلَّ أرسل الرسل مبشِّرين ومنذرين، فيجب الإيمان بهم على وجه الإجمال، ويجب الإيمان بمن سَمَّى الله منهم على وجه التفصيل، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ الله عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[النساء:١٦٥]، فيؤمن العبد أن من أجاب الرسل فاز بالسعادة ومن خالفهم باء بالشقاوة، وخاتمهم وأفضلهم هو نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنهم من قص الله علينا في القرءان ومنهم من لم يقصص، قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء:١٦٤].

والذين ذكرهم الله في القرءان بأسمائهم من الأنبياء والرسل هم:

آدَمُ، وَإِدْرِيسُ، وَنُوحٌ، وَهُودٌ، وَصَالِحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَلُوطٌ، وَإِسْمَاعِيلُ، وَإِسْحَاقُ، وَيَعْقُوبُ، وَيُوسُفُ، وَأَيُّوبُ، وَشُعَيْبٌ، وَمُوسَى، وَهَارُونُ، وَيُونُسُ، وَدَاوُدُ، وَسُلَيْمَانُ، وَإِلْيَاسُ، والْيَسَعُ، وَذُو الْكِفْلِ، وَزَكَرِيَّا، وَيَحْيَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٌ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» للإمام ابن أبي العز ص ١١٧.

وأول الرسل نوح عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾[النساء: ١٦٣].

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَجْتَمِعُ المُؤْمِنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ فَيَسْتَحِي، ائْتُوا نُوحًا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ...الحديث»(١).

وقال الله تعالى في محمد ﷺ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب:٤٠].

وفضَّلَ الله بعض الأنبياء والرسل على بعض، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾[البقرة:٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[الإسراء:٥٥].

وقد وصف الله عَزَّ وَجَلَّ بعض الرسل بأنهم أولوا العزم، لكثرة ما صبروا في سبيل تبليغ رسالات ربهم، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وهم المخصوصون بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب:٧]، وفي قوله تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٧٦ ومسلم ٣٢٢-(١٩٣).

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾[الشورى:١٣].

وأفضلهم نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأدلة على ذلك صحيحة وكثيرة[١]، وأما ما صح في نهيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المفاضلة بين الأنبياء فمحمول عند بعض العلماء على المفاضلة التي دافعها العصبية ونحو ذلك، وأن نهيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تفضيله على موسى[٢] وعلى

---

(١) من ذلك قوله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ» أخرجه البخاري ٤٧١٢ ومسلم ٣٢٧-(١٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو حديث الشفاعة الطويل. وعند مسلم ٣-(٢٢٧٨) أيضاً من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ».
وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلَا فَخْرَ». أخرجه الترمذي ٣٦١٥ وابن ماجه ٤٣٠٨ وحسّنه الترمذي وهو حسن لغيره.

(٢) أخرجه البخاري ٧٤٧٢ ومسلم ١٦٠-(٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَمْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ»، وفي رواية لهما: «لاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَمْ بُعِثَ قَبْلِي، وَلَا أَقُولُ: إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ».

يونس[1] عليهما السلام إنما هو على سبيل التواضع منه ﷺ والله أعلم.
وأن المفاضلة بين الأنبياء لا تعارض قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾[البقرة:٢٨٥]، فالمراد بذلك التفريق بينهم في أصل النبوة والرسالة، فهذا التفريق منهي عنه، فكلهم أنبياء ورسل من عند الله تعالى، وأما التفاضل فثابت.

والأحاديث الواردة في ذكر عدد الأنبياء والرسل لا تثبت وهي شديدة الضعف مع اختلافها في ذكر العدد[2].

ولم تَخلُ أمَّةٌ من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه، أو نبي يوحى إليه بشريعة مَن قَبله؛ ليجددها، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[فاطر: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾[المائدة: ٤٤].

والرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ وهو سيد الرسل، وأعظمهم جاهًا عند الله: ﴿قُل لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ

---

(١) أخرجه البخاري ٣٣٩٥ ومسلم ١٦٧-(٢٣٧٧) من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى». والضمير في «أنا» قيل يعود إلى النبي ﷺ، وقيل يعود إلى القائل من الناس، فإنه لو بلغ ما بلغ من الفضائل لم يبلغ درجة النبوة.

(٢) وانظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٧/٤٠٩.

وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:١٨٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا . قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[الجن: ٢١، ٢٢].

وتلحقهم خصائص البشرية من المرض، والموت، والحاجة إلى الطعام، والشراب، وغير ذلك، قال الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في وصفه لربه تعالى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ. وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ. وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[الشعراء: ٧٩، ٨١].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي»[1].

وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتهم، وفي سياق الثَّناء عليهم؛ فقال تعالى في نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣] وقال في محمد ﷺ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان: ١].

وقال في إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام: ﴿وَاذكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأيْدِي وَالأبْصَارِ. إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ . وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾[ص: ٤٥، ٤٧].

وقال في عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[الزخرف: ٥٩].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٠١ ومسلم ٨٩-(٥٧٢).

ولما أرسل الله الرسل لهداية خلقه، وإقامة حجته، أيدهم بالبينات، وهي كل ما تَبيَّنَ به الحق، من كمال سيرتهم في قومهم، ووضوح بيانهم، وقوة حجتهم، وأيدهم بالآيات المعجزات الخارقة للعادة المعجوز عن معارضتها، فكانوا يدعون الخلق بالحجج والبراهين، فإذا سألوهم آية ردوا الأمر إلى الله وتبرأوا من أن يكون لهم معه تصرف في الكون حتى يأتوا بالآيات، فيعطيهم الله الآيات تأييداً لهم، وتخويفا لقومهم: فيخضع قوم فيؤمنون، ويستمر الأكثرون على العناد، فتحق عليهم كلمة العذاب.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾[الحديد:٢٥].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ [هود: ٦٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم:٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام:٨٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ. قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ. قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا

كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم:٩-١١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾[الإسراء:٥٩].

ومعجزات الأنبياء كثيرة، فمن معجزات صالح عليه السلام أن قومه طلبوا منه أن يُخرج لهم من صخرة عينوها له ناقةً، ثم حددوا صفات الناقة فدعا ربه بذلك، فأمر الله تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة على الوجه الذي طلبوا[1]. يقول الله تعالى في ذلك: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣].

ومن معجزات إبراهيم عليه السلام أن جعل الله النار التي أشعلها قومه لتعذيبه وإهلاكه ثم ألقوه فيها برداً وسلاماً عليه. قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ . قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ . وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾[الأنبياء:٦٨-٧٠].

ومن معجزات موسى عليه السلام العَصَا التي كانت تتحول إلى حية عظيمة إذا ألقاها إلى الأرض. قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى. قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى. قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى. فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى. قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾[طه:١٧-٢١].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤٣٦/٣).

ومن معجزات موسى أيضاً، أنه كان يُدخل يده في جيبه ثم يخرجها، فإذا هي بيضاء تتلألأ من غير سوء. قال تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾[النمل:٢٢].

ومن معجزات عيسى عليه السلام أنه تكلّم في المهد، وأنه يصنع من الطين ما يشبه الطير ثم ينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله، ويمسح الأَكْمَهَ -وهو الأعمى- والأبرص فيبرآن بإذن الله، ويُحْيِي الموتى فيدعوهم فيقومون من قبورهم بإذن الله. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ [المائدة:١١٠].

ومن معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم، وهو أعظم معجزات الرسل على الإطلاق. قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:٢٣]. وقال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وأيضاً من معجزات نبينا محمد ﷺ انشقاق القمر عندما سأل أهلُ مكة النبيَّ ﷺ آية فانشق القمر شِقَّين[1]. قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[القمر:١-٢]. ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام الإسراء والمعراج. قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١].

ومعجزات الرسل كثيرة، وأكثرها معجزات نبينا محمد ﷺ، فإن الله أيده بكثير من الآيات والبراهين التي لم تجتمع لنبي قبله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم؛ فقد كفر بالجميع، كما قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[الشعراء:١٠٥]، فجعلهم الله مكذِّبين لجميع الرسل، مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذَّبوه، وعلى هذا فالنصارى الذين كذَّبوا محمدًا ﷺ ولم يتبعوه؛ هم مكذِّبون للمسيح ابن مريم، غير متبعين له

(١) أخرج البخاري ٣٦٣٧ ومسلم ٤٦-(٢٨٠٢) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ القَمَرِ. وأخرج البخاري ٣٨٦٩ ومسلم ٤٤-(٢٨٠٠) من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِنًى إِذَا انْفَلَقَ الْقَمَرُ فِلْقَتَيْنِ، فَكَانَتْ فِلْقَةٌ وَرَاءَ الْجَبَلِ، وَفِلْقَةٌ دُونَهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اشْهَدُوا».

أيضًا، لا سيَّما أنه قد بشَّرَهم بمحمد ﷺ، ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسول إليهم، يُنقذُهم الله به من الضَّلالة، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

الثاني: مما يتضمنه الإيمان بالرسل: الإيمان بمن عَلِمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح -عليهم الصلاة والسلام- وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل كما تقدم، وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[غافر: ٧٨].

الثالث: مما يتضمنه الإيمان بالرسل: تصديق ما صحَّ عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أُرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥].

وللإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم برحمة الله تعالى، وعنايته بعباده، حيث أرسل إليهم الرسل؛ ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله؛ لأنّ العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

الثالثة: مَحبَّةُ الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثَّناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنُّصحِ لعباده.

وقد كذَّب المعاندون رسلَهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر! وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم وأبطله بقوله سبحانه: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَّسُولاً . قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولاً﴾[الإسراء: ٩٤، ٩٥].

فأبطل الله تعالى هذا الزعم بأنه لا بدَّ أن يكون الرسول بشرًا؛ لأنه مرسل إلى أهل الأرض، وهم بشر، ولو كان أهل الأرض ملائكة لنزَّل الله عليهم من السماء ملكًا رسولاً؛ ليكون مثلهم، وهكذا حكى الله تعالى عن المكذبين للرسل أنهم قالوا: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللّهِ﴾[إبراهيم: ١٠، ١١][(١)].

الركن الخامس من الإيمان

الإيمان باليوم الآخِر

اليوم الآخِر هو يوم القيامة، يبعث الله الناس فيه ويجمعهم، ليحاسبهم ويجازيهم. وسمِّي باليوم الآخِر لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.

---

(١) انظر: «نبذة في العقيدة الإسلامية» مطبوع ضمن كتاب «الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين» ص ٤٨-٥١.

والإيمان باليوم الآخر هو التصديق الجازم بإتيان ذلك اليوم بلا شك ولا ريب. ويدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة، وبما بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبالنفخ في الصور وخروج الخلائق من القبور، وما في موقف القيامة من الأهوال والأفزاع وتفاصيل المحشر كنشر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراط والحوض، والشفاعة وغيرها، وبالجنة ونعيمها، وبالنار وعذابها[1].

وقد قَرَنَ الله بين الإيمان به وباليوم الآخر في كثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[البقرة:١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[التوبة:١٨]، وقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[المجادلة:٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[الطلاق:٢].

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين يُنفَخُ في الصور النفخة الثانية؛ فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غيرَ منتعلين، عراة غيرَ

---

(١) انظر: «أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة» للشيخ حافظ الحكمي ص٥٥.

مستترين، غُرلاً غيرَ مختتنين، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٤].

والبعث: حقٌّ ثابتٌ، دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[المؤمنون: ١٥، ١٦].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ!، قَالَ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ»[(١)].

وأجمع المسلمون على ثبوت البعث والقيامة، وهو مقتضى الحكمة، حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معادًا، يجازيهم فيه على ما شرعه لهم فيما بعث به رسله، قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون: ١١٥] وقال لنبيِّه ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥].

الثاني مما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالحساب والجزاء: يحاسَبُ العبد على عمله، ويجازى عليه، وقد دلَّ على ذلك الكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[الغاشية: ٢٥، ٢٦] وقال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٢٧ ومسلم ٥٦-(٢٨٥٩).

بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[الأنعام: ١٦٠] وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٤٧].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[هود:١٨]»[1].

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة؛ فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحلَّ دماءهم، وذرِّيَّاتهم، ونساءهم، وأموالهم، فلو لم يكن حساب ولا جزاء؛ لكان هذا من العبث الذي ينزَّهُ الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ. فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئبينَ﴾[سورة الأعراف: ٦، ٧].

الثالث مما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالجنة والنار وأنهما المآل الأبدي للخلق.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٤١ ومسلم ٥٢-(٢٧٦٨).

فالجنة دار النعيم التي أعدَّها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله، مُتَّبِعِين لرسوله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ . جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[البينة: ٧، ٨].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة: ١٧]»[(١)].

وأما النار: فهي دار العذاب التي أعدَّها الله عَزَّ وَجَلَّ للكافرين الظالمين، الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب، والنَّكال ما لا يخطر على البال، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[آل عمران:١٣١]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [سورة الكهف: ٢٩]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا . خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب:٦٤، ٦٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤) ومسلم ٢-(٢٨٢٤).

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة، والحرص عليها؛ رجاءً لثواب ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة من فعل المعصية، ومن الرضا بها؛ خوفًا من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عمَّا يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها[1].

الركن السادس من الإيمان
الإيمان بالقَدَر خيرِه وشرِّه

القَدَر هو تقدير الله سبحانه وتعالى للأشياء قبل خَلْقِهِ لها، وعلمه سبحانه وتعالى أنَّها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته له ووقوعها على حسب تقديره وخَلْقِهِ لها[2].

---

(١) وانظر: «نبذة في العقيدة الإسلامية» مطبوع ضمن كتاب «الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين» ص٥٢-٥٥

(٢) أما «القضاء» فإن كثيراً من العلماء لا يفرقون بينه وبين القَدَر، وقد جاء في بعض النصوص بمعنى القَدَر. ويأتي القضاء بمعنى الحُكم والأمر وغير ذلك، ومنهم من يقول القدر أعم من القضاء، ومنهم من يعكس ذلك، ومنهم من يقول بينهما عموم وخصوص. والمطلوب الإيمان بالقدر كما في الأحاديث، وكذلك كل ما قضاه الله يجب الإيمان به، وبالله التوفيق.

والإيمان بالقدر يتضمَّنُ أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله تعالى عالمٌ بكل شيء، جملةً وتفصيلاً، أزلاً وأبدًا، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله، أو بأفعال عباده.

الثاني: الإيمان بأن الله تعالى كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّ ذلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[الحج: ٧٠].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»[1].

الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء أكانت مما يتعلق بفعله، أم مما يتعلق بفعل المخلوقين، قال الله تعالى فيما يتعلقُ بفعله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[سورة القصص: ٦٨]، وقال: ﴿وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾[سورة إبراهيم: ٢٧] وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[سورة آل عمران: ٦] وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ [سورة النساء:٩٠]، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام:١١٢].

الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها وصفاتها، وحركاتها، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان:٢]،

---

(١) أخرجه مسلم ١٦-(٢٦٥٣).

وقال عن نبيِّه إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[سورة الصافات: ٩٦].

والإيمان بالقدر -على ما وصفنا- لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة عليها؛ لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.

أما الشرع: فقد قال الله تعالى في المشيئة: ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾ [النبأ:٣٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣]، وقال في القدرة: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن:١٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة، بهما يفعل، وبهما يترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش، لكنَّ مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى وقدرته، لقول الله تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ . وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[التكوير: ٢٨، ٢٩]، ولأن الكون كله ملك لله تعالى؛ فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته.

والإيمان بالقدر -على ما وصفنا- لا يمنح العبد حجة على ما تَرَكَ من الواجبات، أو فَعَلَ من المعاصي، وعلى هذا؛ فاحتجاجه به باطل من وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[الأنعام: ١٤٨]، ولو كان لهم حجة بالقدر؛ ما أذاقهم الله بأسه.

الثاني: قوله تعالى: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[سورة النساء: ١٦٥]، ولو كان القدر حجة للمخالفين؛ لم تنتفِ بإرسال الرسل؛ لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقَدَرِ الله تعالى.

الثالث: عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الأَرْضَ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[الليل: ٥-١٠][١].

فأمر النبي ﷺ بالعمل، ونهى عن الاتكال على القدر.

الرابع: أن الله تعالى أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩٤٩ ومسلم ٧-(٤٦٤٧).

نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[سورة البقرة: ٢٨٦]، ولو كان العبد مجبرًا على الفعل؛ لكان مكلَّفًا بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل؛ ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه؛ فلا إثم عليه؛ لأنه معذور.

الخامس: أن قَدَرَ الله تعالى سرٌّ مكتومٌ لا يُعْلَمُ به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله؛ فتكون إرادته الفعل غير مبنيَّةٍ على علم منه بقدر الله، وحينئذ تنتفي حجته بالقدر؛ إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

السادس: أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه؛ حتى يدركه، ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه، ثم يحتجُّ على عدوله بالقدر؛ فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتجُّ بالقدر؟ أفليس شأن الأمرين واحدًا؟!

السابع: أن المحتجَّ بالقدر على ما تَرَكَهُ من الواجبات أو فَعَلَهُ من المعاصي؛ لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله، أو انتهك حرمته، ثم احتجَّ بالقدر وقال: لا تلمني فإنَّ اعتدائي كان بقدر الله؛ لم يقبل حجته، فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟!

وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب، بحيث لا يعتمد على السبب نفسه؛ لأن كل شيء بقدر الله تعالى.

الثانية: أن لا يُعْجَب المرء بنفسه عند حصول مراده؛ لأن حصولَهُ نعمةٌ من الله تعالى بما قَدَّره من أسباب الخير والنجاح، وإعجابه بنفسه يُنسيه شكر هذه النعمة.

الثالثة: الطمأنينة، والراحة النفسية بما يصيبه من أقدار الله تعالى؛ فلا يقلقُ بفوات محبوب، أو حصول مكروه؛ لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السموات والأرض، وهو كائن لا محالة، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[الحديد:٢٢، ٢٣].

وَعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(١).

وقد ضلَّ في القدر طائفتان:

إحداهما: الجَبْرِيَّة، الذين قالوا إنَّ العبد مجبر على عمله، وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

الثانية: القَدَرِيَّة، الذين قالوا إنَّ العبد مستقل بعلمه في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه أثر.

والرد على الطائفة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع:

أما الشرع: فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾[آل عمران:١٥٢] وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾

---

(١) أخرجه مسلم ٦٤-(٢٩٩٩).

[الكهف:٢٩] وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[فصلت: ٤٦].

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلمُ الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته: كالأكل، والشرب، والبيع، والشراء، وبين ما يقعُ عليه بغير إرادته: كالارتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جَبر، وفي الثاني غير مختار، ولا مريد لما وقع عليه.

والرد على الطائفة الثانية (القَدَرِيَّة) بالشرع والعقل:

أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شيء، وكل شيء كائن بمشيئته، وقد بَيَّنَ الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[سورة البقرة:٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[السجدة: ١٣].

وأما العقل: فإن الكون كُلَّه مملوكٌ لله تعالى، والإنسان من هذا الكون؛ فهو مملوك لله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته[1].

---

(١) انظر: «نبذة في العقيدة الإسلامية» (مطبوع ضمن كتاب الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين) ص٦٠-٦٥.

الباب الثالث

جامع أصول عقيدة أهل السنة والجماعة

أهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقَدَرِ خيره وشره[(١)].

فالإيمان بالله: يتضمن الإقرار بتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .

وقد تقدم بيان ذلك في الباب الأول، وتقدم بيان باقي أركان الإيمان الستة في الباب الثاني.

الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

ومن الأدلة على ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح:٤]، وقوله تعالى: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣]، وقوله: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾[مريم:٧٦]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[محمد:١٧] وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾[المدثر:٣١] وَقَوْلُهُ: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[التوبة:١٢٤] وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾[آل عمران:١٧٣] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢].

---

(١) انظر: «عقيدة أئمة الحديث» لأبي بكر الإسماعيلي ص٤٩.

قال عبد الله بن الزبير الحميدي:

«سمعت سفيان -يعني ابن عيينة- يقول: «الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص»، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: «يا أبا محمد، لا تقل ينقص»، فغضب وقال: «اسكت يا صبي! بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء»[1].

وكان أحمد بن حنبل يذهب إِلى أن الإِيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالقلب، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل[2].

وقال ابن قدامة المقدسي:

«الإيمان قول وعمل، والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان، وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان»[3].

وخالفت المرجئة[4] في هذا الأصل وضلَّت عن المنهج القويم، فالإيمان عندهم هو التصديق بالقلب فقط وأن العمل ليس داخلاً في

(١) «أصول السُّنَّة» لعبد الله بن الزبير الحميدي ص٤١.

(٢) «العقيدة» رواية أبي بكر الخلال ص١١٧.

(٣) «لمعة الاعتقاد» لابن قدامة المقدسي ص٢٦.

(٤) المُرجِئَة: وصف أطلق على كل من أرجأ وأخَّر العمل عن الإيمان ولم يدخله في مسماه. وكلمة المرجئة مشتقة من الإرجاء وهو على معنيين: المعنى الأول: الإرجاء بمعنى التأخير. المعنى الثاني: الإرجاء بمعنى إعطاء الرجاء.

حقيقة الإيمان، ولا هو جزء منه، وأنَّ تَركه بالكلية لا ينفى الإيمان بالكلية، وأن أصحاب المعاصي مؤمنون كاملو الإيمان بكمال تصديقهم، فالأعمال عندهم من فرائض الإيمان وشرائعه وثمراته، وليست من حقيقته في شيء، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأن التصديق بالشيء والجزم به لا يدخله زيادة ولا نقصان عندهم.

والنصوص من القرءان والسنة ترد عليهم هذا الانحراف والضلال.

قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَالْمُرْجِئَةُ تَزْعُمُ أَنَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ لَيْسَتَا مِنَ الْإِيمَانِ، فَقَدْ أَكْذَبَهُمُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وَأَبَانَ خِلَافَهَمْ. وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ لَمْ يُثْنِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يَصِفْ مَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَلَمْ يُخْبِرْهُمْ بِرِضَاهُ عَنْهُمْ إِلَّا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالسَّعْيِ الرَّابِحِ، وَقَرَنَ الْقَوْلَ بِالْعَمَلِ، وَالنِّيَّةَ بِالْإِخْلَاصِ، حَتَّى صَارَ اسْمُ الْإِيمَانِ مُشْتَمِلًا عَلَى الْمَعَانِي الثَّلَاثَةِ لَا يَنْفَصِلُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وَلَا يَنْفَعُ بَعْضُهَا دُونَ بَعْضٍ، حَتَّى صَارَ الْإِيمَانُ قَوْلًا بِاللِّسَانِ، وَعَمَلًا بِالْجَوَارِحِ، وَمَعْرِفَةً بِالْقَلْبِ، خِلَافًا لِقَوْلِ الْمُرْجِئَةِ الضَّالَّةِ الَّذِينَ زَاغَتْ قُلُوبُهُمْ، وَتَلَاعَبَتِ الشَّيَاطِينُ بِعُقُولِهِمْ، وَذَكَرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُنَّتِهِ»[1].

---

(١) «الإبانة الكبرى» (٢/ ٧٧٩).

القرءان كلام اللَّه غير مخلوق[1]

وعقيدة أهل السنة والجماعة أن القرءان كلام الله غير مخلوق، أنزله الله على رسوله محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، وهو المكتوب في المصاحف، والمسموع من القارئ، والمحفوظ في الصدور[2].

سَمَّاهُ الله تعالى قرآناً وفرقاناً، وكتاباً، وذِكراً ورُوحاً، ونوراً وضياءً، وهدًى، ووصفه بكونه عربياً وهادياً ورحمةً وشفاءً، ينذر ويبشِّر، ويُقرأ ويُتلَى ويُسمَع، ويُحفَظ ويُكتَب. نزَّله الله تنزيلاً، ورتَّله ترتيلاً، وسماه قولاً ثقيلاً، وفضله على سائر الكتب تفضيلاً، وأحكمت آياته ثم فُصِّلت تفصيلاً. أمر الله بترتيله، وامتنَّ بتنزيله، وشهد الله والملائكة بإنزاله إلى رسوله ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[3].

---

(١) حدثت فتنة القول بأن القرءان مخلوق من المعتزلة، ومعهم السلطة متمثلة في الخليفة العباسي المأمون، حين أجمع المأمون رأيه على القول بخلق القرآن والدعاء له، وإكراه الناس عليه، وامتَحَنَ العلماء وثبتت طائفة منهم على الحق بأن القرءان كلام الله غير مخلوق، وكان على رأسهم الإمام أحمد بن حنبل، فسجنوه وعذبوه وهو صابر على الحق، واستمر الخليفة المعتصم بعد المأمون في تلك المحنة وكذا الواثق بعده، وثبت الإمام أحمد على الحق، إلى أن أفضت الخلافة إلى المتوكل فأمر بترك هذا القول المبتدع، ونبذ قائله وإظهار السنة، وأصبح أحمد بن حنبل بعد هذه الفتنة والمحنة إمام أهل السنة والجماعة.

(٢) انظر: «عقيدة أئمة الحديث» لأبي بكر الإسماعيلي ص٥٧.

(٣) انظر: «رسالة في القرءان وكلام الله» لابن قدامة المقدسي ص٣٢.

قال الإمام الطحاوي وهو يبيِّن عقيدة أهل السنة والجماعة:

«وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مِنْهُ بَدَأَ بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ، فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[الْمُدَّثِّر:٢٦] فَلَمَّا أَوْعَدَ اللَّهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[الْمُدَّثِّر:٣٢] عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ البشر»[1].

الجنة والنار مخلوقتان ولا تَفنَيان أبداً ولا تَبيدان

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الجنة حق، دار مخلوقة للمؤمنين لا يدخلها كافر أبداً، ولا تفنى ولا تبيد أبداً، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:١٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[الأعراف:٥٠]. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾[النساء:٥٧]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾[الرعد:٣٥].

والآيات في ذلك كثيرة وكذا الأحاديث الصحيحة.

---

(١) متن العقيدة الطحاوية بتعليق الشيخ الألباني ص٤٠.

وأنَّ كل ما ذكر من شأن الجنة في القرءان والسنة، عن أسمائها، وصفاتها، ودرجاتها، ونعيمها من مأكل ومشرب وحُور عِين وغير ذلك؛ هو حق.

والنار حق، دار مخلوقة، يخلد فيها الكافرون ولا يخلد فيها مؤمن. قال الله تعالى: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى . الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى . وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾[الليل:١٥-١٧]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا. إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[النساء:١٦٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا. خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[الأحزاب:٦٤-٦٥].

ومن أُدخل النار من المؤمنين كمن رجحت سيئاته على حسناته، فإنهم سيخرجون منها بعد قضاء ما شاء الله لهم من المكث فيها، ويدخلون الجنة، فعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ» وفي رواية «مِنْ إِيمَانٍ» مَكَانَ «مِنْ خَيْرٍ»(١).

وأن كل ما ذكر في القرءان والسنة في شأن النار وأسمائها وصفاتها وجحيمها وعذابها وخزنتها وغير ذلك؛ هو حق.

ولا تفنى النار ولا أحد ممن هو فيها من الكفار، كما تقدمت الآيات

(١) أخرجه البخاري ٤٤ ومسلم ٣٢٥-(١٩٣).

بالخلود فيها، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾[فاطر:٣٦].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ. وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ. وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾[الزخرف:٧٤-٧٧].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ القِيَامَةِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا»[١].

والجنة والنار موجودتان الآن، وقد رآهما رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في حديث صلاة الكسوف، وفيه: قَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَاليَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ»[٢] الحديث بطوله، وكذلك رأى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الجنة والنار

---

(١) أخرجه البخاري ٧٤٣٠ ومسلم ٤٠-(٢٨٤٩).

(٢) أخرجه البخاري ١٠٥٢ ومسلم ١٧-(٩٠٧) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

في ليلة المعراج[1].

قال الإمام الطحاوي وهو بصدد بيان عقيدة أهل السنة والجماعة:

«والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، وأن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكُلٌّ يعمل لما قد فُرغ له وصائر إلى ما خُلق له»[2].

قال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية[3]:

«أَمَّا قَوْلُهُ: إِنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ: فَاتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ مَوْجُودَتَانِ الْآنَ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ أَهْلُ السُّنَّةِ، حَتَّى نَبَغَتْ نَابِغَةٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ، فَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ، وَقَالَتْ: بَلْ يُنْشِئُهُمَا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَصْلُهُمُ الْفَاسِدُ الَّذِي وَضَعُوا بِهِ شَرِيعَةً لِمَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ كَذَا، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا! وَقَاسُوهُ عَلَى خَلْقِهِ فِي أَفْعَالِهِمْ، فَهُمْ مُشَبِّهَةٌ فِي الْأَفْعَالِ، وَدَخَلَ التَّجَهُّمُ فِيهِمْ، فَصَارُوا مَعَ ذَلِكَ مُعَطِّلَةً! وَقَالُوا: خَلْقُ الْجَنَّةِ قَبْلَ الْجَزَاءِ

(١) أخرجه أحمد (٢٣٣٣٢) والطيالسي (٤١١) ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة ٢/٣٦٤، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٠١٤) من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، فَلَمْ نُزَايِلْ ظَهْرَهُ أَنَا وَجِبْرِيلُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ؛ فَفُتِحَتْ لَنَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَرَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ...» الحديث بطوله. وهو حديث حسن. وقصة الإسراء والمعراج في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس وغيره.

(٢) العقيدة الطحاوية ص٨٣.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٤٢٠-٤٣١.

عَبَثٌ، لِأَنَّهَا تَصِيرُ مُعَطَّلَةً مُدَدًا مُتَطَاوِلَةً، فَرَدُّوا مِنَ النُّصُوصِ مَا خَالَفَ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ الْبَاطِلَةَ الَّتِي وَضَعُوهَا لِلرَّبِّ تَعَالَى، وَحَرَّفُوا النُّصُوصَ عَنْ مَوَاضِعِهَا، وَضَلَّلُوا وَبَدَّعُوا مَنْ خَالَفَ شَرِيعَتَهُمْ...».

ثم ذَكَرَ الأدلة من القرءان والسنة في بيان الحق في ذلك، وكذا في رد قول من قال بفناء الجنة النار.

وقال الإمام الحسن بن علي البربهاري:

«والإيمان بأن الجنة حق والنار حق، والجنة والنار مخلوقتان، الجنة في السماء السابعة، وسقفها العرش، والنار تحت الأرض السابعة السفلى، وهما مخلوقتان، قد علم الله عدد أهل الجنة ومن يدخلها، وعدد أهل النار ومن يدخلها، لا تفنيان أبداً، هما مع بقاء الله تبارك وتعالى أبد الآبدين، في دهر الداهرين، وآدم كان في الجنة الباقية المخلوقة، فأخرج منها بعدما عصى الله»[1].

المؤمنون يَرَون ربَّهم يوم القيامة

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣] وقال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] وقال الله تعالى في الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥].

وَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ،

---

(١) «شرح السنة» للبربهاري ص٤٨.

هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ»(١).

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً -يَعْنِي البَدْرَ- فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا لَا تَفُوتَنَّكُمْ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩](٢).

وَعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦](٣).

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:٢٦]:

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٧٣ ومسلم ٢٩٩-(١٨٢).

وأخرج البخاري مثله من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم ٤٥٨١ وكذا مسلم برقم ٣٠٢-(١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري ٥٥٤ ومسلم ٢١١-(٦٣٣).

(٣) أخرجه مسلم ٢٩٨-(١٨١).

«وقوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وزيادة على ذلك أيضاً، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحور والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أُعطوه، لا يستحقونها بعملهم، بل بفضله ورحمته، وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم، عن أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وسعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن سابط، ومجاهد، وعكرمة، وعامر ابن سعد، وعطاء، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم من السلف والخلف»[1]. ثم ذكر طائفة من الأحاديث الواردة في ذلك.

وذكر ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ اتفاق الصحابة والتابعين ومَن بعدهم مِن العلماء؛ على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة[2].

قال الإمام عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأجمع أهل الحق واتَّفق أهل التوحيد والصدق أن الله تعالى يُرى في الآخرة كما جاء في كتابه وصح عن رسوله»[3].

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٢٦٢-٢٦٣.

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة ٢/٥٤٨.

(٣) عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي ص٥٨.

بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة»[1].

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمَن بعدهم من سلف الأمة؛ على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين»[2].

وأنكرت الجهمية والمعتزلة وبعض المرجئة رؤيةَ الله يوم القيامة، واحتجوا بأن المراد بالنظر في قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ هو انتظار الثواب لا النظر بالأبصار.

وأجاب أهل السنة عن ذلك بأن تفسير النظر في الآية بمعنى الانتظار خطأ بيِّن، لأن النظر إذا عُدِّي بإلى كان ظاهراً في نظر الأبصار. يقول العلامة اللغوي أبو منصور الأزهري: «ومن قال: إن معنى قوله: ﴿إلى رَبِّها نَاظِرة﴾: بمعنى منتظرة فقد أخطأ، لأن العرب لا تقول: نظرت إلى الشيء بمعنى انتظرته، وإنما تقول: نظرت فلاناً، أي: انتظرته.. فإذا قلت: نظرت إليه، لم يكن إلا بالعين، وإذا قلت: نظرت في الأمر، احتمل أن يكون تفكراً وتدبراً بالقلب»[3].

استدل المعتزلة على نفي الرؤية بآيات منها قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، قالوا: ومتعلق الإدراك المنفي إدراك البصر فكان ذلك ظاهراً في نفي الرؤية.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص١٥٣.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١٥/٣.

(٣) «تهذيب اللغة» لأبي منصور الأزهري (٣٧١/١٤).

وأجاب العلماء عن ذلك بأن المنفي هو الإحاطة لا مطلق البصر، بمعنى أن رؤية المؤمنين ربهم لا تعني أنهم يحيطون به سبحانه.

قال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام:١٠٣]؟ قِيلَ لَهُ: مَعْنَاهَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَيْ: لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ، وَلَا تَحْوِيهِ عَزَّوَجَلَّ، وَهُمْ يَرَوْنَهُ مِنْ غَيْرِ إِدْرَاكٍ وَلَا يَشُكُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ: رَأَيْتُ السَّمَاءَ، وَهُوَ صَادِقٌ، وَلَمْ يُحِطْ بَصَرُهُ بِكُلِّ السَّمَاءِ وَلَمْ يُدْرِكْهَا، وَكَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ: رَأَيْتُ الْبَحْرَ، وَهُوَ صَادِقٌ وَلَمْ يُدْرِكْ بَصَرُهُ كُلَّ الْبَحْرِ، وَلَمْ يُحِطْ بِبَصَرِهِ، هَكَذَا فَسَّرَهُ الْعُلَمَاءُ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ»(١).

وكل ما اعترض به المعتزلة في نفي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة فقد رَدَّهُ علماء أهل السنة والجماعة وبينوا ضعف اعتراضاتهم(٢).

فضل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأنَّ حُبَّهم إيمان وبغضهم نفاق وأنهم خير هذه الأمة بعد النبي ﷺ

لقد اختار الله عَزَّوَجَلَّ الصحابة الكرام لصحبة نبيه ﷺ، وشرَّفهم بذلك، فآمنوا به واتبعوه وجاهدوا معه ﷺ، وقدموا أنفسهم وأموالهم من أجل إعلاء كلمة الله، فصدقوا مع الله عَزَّوَجَلَّ فجعلهم خير أمة أخرجت للناس، هم ومن سار على نهجهم، والنصوص الكثيرة من القرءان والسُّنَّة ناطقة بفضلهم، وشاهدة على حسن بلائهم؛ ولذلك كانوا هم أفضل هذه الأمة بعد النبي ﷺ.

---

(١) «الشريعة» للإمام الآجري ٤٩/٢-٥٠.

(٢) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز ص١٥٣-١٨٧ فقد أجاد وأفاد.

ومما جاء في فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من القرءان قول الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة:١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[الفتح:١٨].

وقال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا. لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[الأحزاب:٢٣-٢٤].

وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ. قَالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ «أَحْسَنْتُمْ -أَوْ أَصَبْتُمْ» قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «النُّجُومُ

أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»(١).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ»(٢).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»(٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَتُهُمْ أَيْمَانَهُمْ، وَأَيْمَانُهُمْ شَهَادَتَهُمْ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٧-(٢٥٣١).

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٩٧ ومسلم ٢٠٨-(٢٥٣٢).

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٧٣ ومسلم ٢٢١-(٢٥٤٠).

(٤) أخرجه البخاري ٢٤٢٩ ومسلم ٢١١-(٢٥٣٣).

أفضل الصحابة على سبيل الإجمال:

أفضلهم السابقون الأولون من المهاجرين، ثم من الأنصار، ثم أهل بدر، فأُحُد، فبيعة الرضوان، فمَن بعدهم، ثم ﴿مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾[الحديد: ١٠].

أفضل الصحابة على سبيل التفصيل:

قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ»(١)

واستقر أهل السنة والجماعة على تفضيل أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ. وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

وأهل السُّنَّة يَشهَدون بالجنة لمَن شهد لهم رسول الله ﷺ؛ كالعشرة المبشَّرين بالجنة وغيرهم ممن عيَّنهم رسول الله ﷺ.

والعشرة المبشرون بالجنة هم: أبوبكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة ابن الجراح، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وطلحة بن عبيد الله، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦٩٧.

(٢) حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عَشَرَةٌ فِي الجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، =

وأهل السنَّة يؤمنون بوجوب سلامة القلوب والأَلسِنة تجاه جميع أصحاب النبي ﷺ، ويَرَون السكوت وعدم الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضوان الله عليهم جميعًا.

وأهــل السُّــنَّة يحبــون جميــعَ أصــحاب النبــي ﷺ، ويَتَوَلَّــونهم، ويَتَرَضَّون عليهم، ويثنون عليهم، ولا يتبرؤون من أحد منهم، ويُبغضون مَن يُبغضهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أهل السنَّة والجماعة لا يعتقدون أن كل واحدٍ من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم مِن الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لِمَن بعدهم، وقد ثَبَتَ بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون، وأن المُدَّ من أحدهم إذا تصدَّق به كان أفضلَ من جبل أحدٍ ذهَبًا ممَّن بعدهم، ثم إذا كان قد صَدَرَ مِن أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غُفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة

= وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الجَنَّةِ» وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الْعَاشِرَ. قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ. قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: هُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ.

أخرجه أبو داود ٤٦٤٩ والترمذي ٣٧٤٨ والنسائي في السنن الكبرى ٨١٣٧ وابن ماجه ١٣٣ وأحمد ١٦٣١ وهو حديث صحيح.

محمدٍ ﷺ، الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتُلي ببلاء في الدنيا كُفِّر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين: إن أصابوا فلهم أجرانِ، وإن أخطؤوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور لهم، ثم القَدْر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نَزْر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم؛ من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة والنصرة، والعلم النافع والعمل الصالح، ومَن نظر في سيرة القوم بعلمٍ وبصيرةٍ وما مَنَّ الله به عليهم من الفضائل؛ عَلِمَ يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى»[1].

محبة أهل بيت النبي ﷺ والإقرار بفضلهم وشرفهم

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة محبة أهل بيت النبي ﷺ، ومعرفة فضلهم وشرفهم، وأن إكرامهم من إكرام النبي ﷺ، وقد أوصى بهم النبي ﷺ.

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا، بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي».

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣ ص ١٥٥- ١٥٦.

فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ. قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ. قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَلَا تُنْكَرُ الْوَصَاةُ[2] بِأَهْلِ الْبَيْتِ، وَالْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاحْتِرَامِهِمْ وَإِكْرَامِهِمْ، فَإِنَّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ طَاهِرَةٍ، مِنْ أَشْرَفِ بَيْتٍ وُجِدَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَخْرًا وَحَسَبًا وَنَسَبًا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانُوا مُتَّبِعِينَ لِلسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيحَةِ الْوَاضِحَةِ الْجَلِيَّةِ، كَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُهُمْ، كَالْعَبَّاسِ وَبَنِيهِ، وَعَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، رَضِيَ الله عنهم أجمعين»[3].

وأزواجه ﷺ من أهل بيته، قال الله تعالى في سياق مخاطبتهن: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً. وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾ [الأحزاب:٣٣-٣٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت هاهنا؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً، إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح»[4].

---

(١) أخرجه مسلم ٣٦-(٢٤٠٨).

(٢) يعني: الوصية، يقال: الوَصَاةُ والوِصَايَةُ، والوَصِيَّةُ. انظر: القاموس المحيط (١٣٤٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٠١/٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٤١٠/٦).

الذنوب كبائر وصغائر

الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر، وحكى الإمام ابن القيم الإجماع على ذلك »[1].

ومن الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾[النساء:٣١].

قال القرطبي: «لما نهى الله تعالى في هذه السورة عن آثام هي كبائر، وعد على اجتنابها التخفيف من الصغائر، دل هذا على أن في الذنوب كبائر وصغائر، وعلى هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء»[2].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[النجم: ٣٢].

وهذه الآية صريحة الدلالة على تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر على خلاف بين العلماء في المقصود باللمم، فقد اختلف السلف في معنى اللمم على قولين مشهورين، حيث روي عن جماعة من السلف أنه الإلمام بالذنب مرة ثم لا يعود إليه، وان كان كبيراً، والجمهور على أن اللمم ما دون الكبائر من الذنوب، والصحيح قول الجمهور: إن اللمم صغائر الذنوب كالنظرة ونحو ذلك.

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم ٣٤٢/١ و«الجواب الكافي» له كذلك ١٨٦.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٥٨/٥).

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ» (١).

وحديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الكَبَائِرِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ» (٢).

فهذه الأدلة وغيرها تدل دلالة صريحة على انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر.

واختلفت تعاريف العلماء للكبيرة والصغيرة، وأصحها ما أُثر عن بعض الصحابة والتابعين بأن الكبيرة هي ما وجبت فيها الحدود، أو جاء فيها الوَعِيد بِلَعْنٍ أو غضبٍ أو عقوبةٍ، وأن الصغيرة هي ما لم يقترن بالنهي عنها وَعِيدٌ أو لَعْنٌ أو غضبٌ أو عقوبةٌ.

ويرى الخوارج أن مرتكب الكبيرة كافر، وإذا مات ولم يتب منها فهو خالد مخلد في النار.

ويرى المعتزلة أن مرتكب الكبيرة في الدنيا في منزلة بين منزلتين، وإذا مات ولم يتب يخلد في النار.

ويرى الجهمية والكرامية أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان غير مستحق للعذاب من الله تعالى، ويوافقهم كل من أخرج العمل عن الإيمان من المرجئة.

---

(١) أخرجه مسلم ١٦- (٢٣٣).

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٣٠ ومسلم ١٤٤-(٨٨).

وهَدَى اللهُ أهلَ السنة والجماعة إلى الحق؛ حيث قالوا: إن مرتكب الكبيرة غير الشرك لا يكفر، ولا يخلد في النار، فهو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، وحكمه في الآخرة إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه.

واستدلوا بالآتي:

الدليل الأول: النصوص التي تدل على أن من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، وعلى أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، ومنها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[النساء:٤٨]، فحكم بأن الشرك غير مغفور للمشرك، يعني إذا مات غير تائب منه، لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾[الأنفال:٣٨]، مع آيات غير هذه تدل على أن التائب من الشرك مغفور له شِركه، فثبت بذلك أن الشرك الذي أخبر الله أنه لا يغفره هو الشرك الذي لم يتب منه صاحبه، وأن التائب مغفور له شركه، وأخبر أنه يغفر ما دون الشرك لمن يشاء، يعني لِمَا أَتى من الذنوب دون الشرك، فلقي الله غير تائب منه؛ لأنه لو أراد أنه يغفر ما دون الشرك للتائب دون من لم يتب لكان قد سوَّى بين الشرك وما دونه، ولو كان كذلك لم يكن لفصله بين الشرك وما دونه معنى، ففصله بينهما دليل على أن الشرك لا يغفره لو مات وهو غير تائب منه، وأنه يغفر ما دون ذلك الشرك لمن يشاء، لمن مات وهو غير تائب، وكونه يغفر له ما دون الشرك ويدخله الجنة دليل على أنه مؤمن، فهذا هو وجه الاستدلال بهذه الآية بأن مرتكب الكبيرة غير الشرك لا يكفر.

وقول رسول الله ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[1].

الدليل الثاني: النصوص التي فيها التصريح بعدم دخول الموحِّد النار أو خلوده فيها إن دخلها، مع تصريحها بارتكابه الكبائر، ومنها: حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ» وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ[2].

الدليل الثالث: النصوص التي فيها التصريح ببقاء الإيمان والأخوة الإيمانية مع ارتكاب الكبائر، ومنها:

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:٩-١٠].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ

(١) أخرجه مسلم ٤٤-(٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري ٥٨٢٧ ومسلم ١٥٤-(٩٤).

فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقرة:١٧٨].

وفي الآيتين أن الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي وإن كانت كبيرة، ولذلك فأهل السنة والجماعة لا يسلبون الفاسق اسم الإيمان بالكلية.

الدليل الرابع: أن الله قد شرع إقامة الحدود على بعض الكبائر، ويعد هذا الدليل من أقوى الأدلة على فساد مذهب من يكفر مرتكب الكبيرة؛ إذ لو كان السارق والقاذف وشارب الخمر والمرتد سواء في الحكم لما اختلف الحد في كل منها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «بل القرآن والنقل المتواتر عنه يبين أن هؤلاء لهم عقوبات غير عقوبة المرتد عن الإسلام، كما ذكر الله في القرآن جلد القاذف والزاني، وقطع يد السارق. وهذا متواتر عن النبي ﷺ، ولو كانوا مرتدين لقتلهم، فكلا القولين مما يعلم فساده بالاضطرار من دين الرسول ﷺ. وأهل البدع إنما دخل عليهم الداخل لأنهم أعرضوا عن هذه الطريق وصاروا يبنون دين الإسلام على مقدمات يظنون صحتها؛ إما في دلالة الألفاظ؛ وإما في المعاني المعقولة. ولا يتأملون بيان الله ورسوله، وكل مقدمات تخالف بيان الله ورسوله فإنها تكون ضلالاً، ولهذا تكلم أحمد في رسالته المعروفة في الرد على من يتمسك بما يظهر له من القرآن من غير استدلال ببيان الرسول والصحابة والتابعين»[١].

وقال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يُقتَلُ، بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد»[٢].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨٨/٧.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٠٢.

الدليل الخامس: النصوص الصريحة في خروج من دخل النار من الموحِّدين.

وهي من الأدلة الواضحة على عدم كفر مرتكب الكبائر وعدم خلوده في النار؛ إذ لو كان كافراً لما خرج من النار، والأدلة في هذا بلغت مبلغ التواتر، ونَقَلَ التواتر جمع من العلماء.

ومن هذه الأحاديث: حديث أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ» وفي رواية «مِنْ إِيمَانٍ» مَكَانَ «مِنْ خَيْرٍ»[(١)]

تبين من الأدلة السابقة قطعية النصوص الدالة على عدم كفر مرتكب الكبيرة، وعدم خلوده في النار، والأدلة على هذه المسألة كثيرة جداً، وقد وردت بعض النصوص التي قد يظن بعضهم أنها تخالف مذهب السلف في هذه المسألة، وأسباب هذا الانحراف في فهم النصوص هو: عدم الأخذ بها جميعاً، فبعضهم أخذ جزءًا من النصوص التي تتحدث عن المغفرة والعفو لمرتكب الكبيرة، فغلَّبوا جانب الوعد والرجاء، وبعضهم نظر إلى أدلة أخرى؛ فغلَّبوا جانب الخوف والوعيد، بينما مذهب السلف متوازن يجمع بين أطراف النصوص، ولا يضرب بعضها ببعض.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤ ومسلم ٣٢٥-(١٩٣).

ومن الأدلة التي يظن أنها تخالف ما ورد عن السلف في مسألة مرتكب الكبيرة؛ النصوص التي تنفي الإيمان عن مرتكب بعض الكبائر، ومنها: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[(١)]، فَفَهِمَ الخوارج ومَن وافقهم مِن هذا الحديث أن المنفي هو أصل الإيمان، أما أهل السنة والجماعة فيفهمون أن المنفي هنا كمال الإيمان؛ جمعاً بين هذا النص وغيره من النصوص.

قال الإمام ابن عبد البر تعليقاً على حديث: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»:

«يريد مستكمل الإيمان ولم يرد به نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك، بدليل الإجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر، إذا صلوا للقبلة وانتحلوا دعوة الإسلام؛ من قرابتهم المؤمنين الذين آمنوا بتلك الأحوال، وفي إجماعهم على ذلك مع إجماعهم على أن الكافر لا يرث المسلم؛ أوضح الدلائل على صحة قولنا إن مرتكب الذنوب ناقص الإيمان بفعله ذلك، وليس بكافر كما زعمت الخوارج في تكفيرهم المذنبين»[(٢)].

كرامات الأولياء

كرامات الأولياء حق، وهو ظهور الأمر الخارق على أيديهم الذي لا صنع لهم فيه، ولم يكن بطريق التحدي، بل يجريه الله على أيديهم، وإن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم ١٠٠-(٥٧).

(٢) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» لابن عبد البر ٢٤٣/٩-٢٤٤.

لم يعلموا به، كقصة أصحاب الكهف، وأصحاب الصخرة[1]، وجريج الراهب[2]، وكلها معجزات لأنبيائهم، ولهذا كانت في هذه الأمة أكثر وأعظم لعظم معجزات نبيها، وكرامته على الله عز وجل، كما وقع لأبي بكر في أيام الردة[3]، وكنداء عمر لسارية وهو على المنبر، فقال: يا ساريةَ الجبلَ، فأبلغه وهو بالشام[4]، وكخيل العلاء بن الحضرمي إذ خاض بها البحر في غزو الروم[5]، وكمشي أبي مسلم الخولاني على ماء نهر دجلة[6]، وكنجاة أبي مسلم الخولاني من النار التي أوقدها له الأسود العنسي الكذاب وألقاه فيها فلم تضره[7]، وغير ذلك مما وقع لكثير منهم

---

(١) أي أصحاب الغار الثلاثة الذين سددت الصخرة عليهم باب الغار فلم يستطيعوا الخروج، فتوسل كل واحد منهم إلى الله بأرجى عمل له، فانفرجت الصخرة وخرجوا. يُنظر الحديث في صحيح البخاري ٢٢٧٢ ومسلم ١٠٠- (٢٧٤٣).

(٢) الذي أنطق الله له الغلام الرضيع وكان سبباً في براءته من تهمة الزنى. وحديثه أخرجه البخاري ٣٤٣٦ ومسلم ٢٥٥٠.

(٣) انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٢٠/٣، ٢٥) .

(٤) هذا الأثر رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣٧٠/٦) بإسناد حسن عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ بَعَثَ جَيْشًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُدْعَى سَارِيَةَ، فَبَيْنَمَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَخْطُبُ فَجَعَلَ يَصِيحُ: يَا سَارِيَ الْجَبَلَ. فَقَدِمَ رَسُولٌ مِنَ الْجَيْشِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقِينَا عَدُوَّنَا فَهَزَمُونَا، فَإِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ: يَا سَارِيَ الْجَبَلَ. فَأَسْنَدْنَا ظُهُورَنَا إِلَى الْجَبَلِ فَهَزَمَهُمُ اللهُ، فَقُلْنَا لِعُمَرَ: كُنْتَ تَصِيحُ بِذَلِكَ.

(٥) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» ٥١/٦ من وجهين أرجو أن يثبت بهما هذا الأثر.

(٦) هذا الأثر رواه البيهقي في «دلائل النبوة» ٥٤/٦ بإسناده، وقال: «وهذا إسناد صحيح».

(٧) هذا الأثر رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢٠٠/٢٧ بإسناد حسن.

في زمن النبي ﷺ، وبعده في عصر الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ومَن بعدهم إلى الآن، وإلى يوم القيامة، وكلها في الحقيقة معجزات لنبينا ﷺ لأنهم إنما نالوا ذلك بمتابعته، فإن اتفق شيء من الخوارق لغير متَّبِع النبي فهي فتنة[(١)].

وأولياء الله هم كل من آمن بالله واتقاه واتبع رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس:٦٢]، ثم بَيَّنَهُم فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[يونس:٦٣]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ. وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة:٥٥-٥٦].

وعن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ جِهَارًا غَيْرَ سِرٍّ، يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي (يَعْنِي فُلَانًا)، لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»[(٢)].

قال أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن... ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم»[(٣)].

---

(١) «أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة» ص١٣٧ بتصرف يسير.

(٢) أخرجه مسلم ٣٦٦-(٢١٥).

(٣) متن العقيدة الطحاوية (٦٥).

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَقَوْلُ الْمُعْتَزِلَةِ فِي إِنْكَارِ الْكَرَامَةِ ظَاهِرُ الْبُطْلَانِ، فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ إِنْكَارِ الْمَحْسُوسَاتِ. وَقَوْلُهُمْ: لَوْ صَحَّتْ لَاشْتَبَهَتْ بِالْمُعْجِزَةِ، فَيُؤَدِّي إِلَى الْتِبَاسِ النَّبِيِّ بِالْوَلِيِّ، وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ! وَهَذِهِ الدَّعْوَى إِنَّمَا تَصِحُّ إِذَا كَانَ الْوَلِيُّ يَأْتِي بِالْخَارِقِ وَيَدَّعِي النُّبُوَّةَ، وَهَذَا لَا يَقَعُ، وَلَوِ ادَّعَى النُّبُوَّةَ لَمْ يَكُنْ وَلِيًّا، بَلْ كَانَ مُتَنَبِّئًا كَذَّابًا»[1].

وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ادعى قوم محبة الله، فامتحنهم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران:٣١]، وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء؛ فلا تصدقوه ولا تغتروا به حتى تعلموا متابعته للرسول ﷺ»[2].

الصلاة خلف كل بَرٍّ وفاجر مِن أهل القبلة وعلى مَن مات منهم

أهل السنة والجماعة يَرَون الصلاة خلف كل بَرٍّ وفاجر، وكذلك الصلاة على مَن مات من المسلمين، سواء أكان الميت بَرًّا أم فاجراً. وفي ذلك حديث لكنه ضعيف، وهو حديث: «صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ»[3]، ومع ضعفه إلَّا أن عمل السلف عليه.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٥١٢.

(٢) «أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة» ص١٣٧ بتصرف يسير.

(٣) روي من حديث أبي هريرة، وابن عمر، وأبي الدرداء، وعلي، وابن مسعود، وواثلة بن الأسقع، وأبي أمامة، ومعاذ بن جبل.

ورواياته كلها ضعيفة، وقد خرَّجته في «الأحاديث المشتهرة الضعيفة» برقم (٧٩)، وقد جرى عمل السلف بمعناه.

قال إسحاق الكوسج: قلت لإسحاق (يعني ابن راهويه): قوله: الصلاة خلف كل بر وفاجر، ما يعني به؟ قال معناه: إن مَلَكَ الناس بخلافة عليهم، أو ولاية فلا يتخلفن عن الجماعة أحد بحال جور، ما يبلغ ذلك كفراً عياناً، أو يؤخر الصلاة عن الوقت..»[١].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «[يَكُوْنُ عَلَيْكُمْ أُمَراءُ] يُصَلُّونَ لَكُمْ (وفي رواية: بِكُمْ)، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ»[٢].

قال الحافظ ابن حجر: «قال المهلب: فيه جواز الصلاة خلف البر والفاجر إذا خِيف منه. وَوَجَّهَ غيرُه قولَه: إذا خِيف منه: بأن الفاجر إنما يَؤُمُّ إذا كان صاحب شوكة»[٣].

وَعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ خِيَارٍ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وَهُوَ مَحْصُورٌ- فَقَالَ: إِنَّكَ إِمَامُ عَامَّةٍ، وَنَزَلَ بِكَ مَا نَرَى، وَيُصَلِّي لَنَا إِمَامُ فِتْنَةٍ، وَنَتَحَرَّجُ. فَقَالَ: «الصَّلَاةُ أَحْسَنُ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ، فَإِذَا أَحْسَنَ النَّاسُ فَأَحْسِنْ مَعَهُمْ، وَإِذَا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ»[٤].

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأرى الصلاة خلف كل بَر وفاجر، وقد صلَّى ابن عمر خلف الحجاج» يعني الجمعة والعيدين[٥].

---

(١) «مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه» (٢/٨٥٥-٨٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٤) وأحمد (٨٦٦٣) والبزار (٨٧١٤) وما بين المعقوفين زيادة عند البزار، ورواية: «بِكُمْ» لأحمد.

(٣) «فتح الباري» (٢/١٨٨).

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الأذان- بَابُ إِمَامَةِ المَفْتُونِ وَالمُبْتَدِعِ (٦٩٥).

(٥) عقيدة الإمام أحمد رواية الخلال ص١٢٤.

وقال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِن دِيننا أن نصلي الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل بر وفاجر، كما روي أن عبد الله بن عمر كان يصلي خلف الحجاج»[1].

وقال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم يَرَ الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح، فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره»[2].

وقال أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يبين عقيدة أهل السنة والجماعة: «ونرى الصلاة خلف كل بَرٍّ وفاجر من أهل القبلة وعلى من مات منهم»[3].

وقال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم، رحمك الله وإيانا[4]: أنه يجوز للرجل أن يصلي خَلْفَ من لم يعلم منه بدعة ولا فسقاً، باتفاق الأئمة، وليس من شرط الائتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه، ولا أن يمتحنه،

---

(١) «الإبانة عن أصول الديانة» لأبي الحسن الأشعري ص٣٠.

(٢) «شرح السنة» للبربهاري ص١٢٩.

(٣) العقيدة الطحاوية ص٦٧.

(٤) الأَولى أن يذكر الداعي نفسه في الدعاء ثم يعطف عليها الآخَرين، اقتداءً بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[الحشر:١٠]، وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا فَدَعَا لَهُ بَدَأَ بِنَفْسِهِ. أخرجه أبو داود ٣٩٨٤ والترمذي ٣٣٨٥، وإسناده ضعيف، وله شاهد من حديث أبي أيوب أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٤٠٨١ وهو أيضاً ضعيف، وأرجو أن يعضده فيكون حسناً لغيره.

فيقول: ماذا تعتقد؟! بل يصلي خلف المستور الحال، ولو صلى خلف مبتدع يدعو إلى بدعته، أو فاسق ظاهر الفسق، وهو الإمام الراتب الذي لا يمكنه الصلاة إلا خلفه، كإمام الجمعة والعيدين، والإمام في صلاة الحج بعرفة، ونحو ذلك؛ فإن المأموم يصلي خلفه عند عامة السلف والخلف.

ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر، فهو مبتدع عند أكثر العلماء. والصحيح أنه يصليها ولا يعيدها، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الأئمة الفجار ولا يعيدون، كما كان عبد الله بن عمر يصلي خلف الحجاج بن يوسف، وكذلك أنس رضي الله عنه، كما تقدم[1]، وكذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وغيره يصلون خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان يشرب الخمر، حتى إنه صلى بهم الصبح مرة أربعاً، ثم قال: أزيدكم؟! فقال له ابن

(١) كان قد قال في أول كلامه: وفي صحيح البخاري: أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان يصلي خلف الحجاج بن يوسف الثقفي، وكذا أنس بن مالك، وكان الحجاج فاسقاً ظالماً.

وقد أخرج البخاري ١٦٦٣عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَبْدَ المَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ، كَتَبَ إِلَى الحَجَّاجِ أَنْ يَأْتَمَّ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فِي الحَجِّ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ، جَاءَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَنَا مَعَهُ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ أَوْ زَالَتْ، فَصَاحَ عِنْدَ فُسْطَاطِهِ أَيْنَ هَذَا؟ فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «الرَّوَاحَ» فَقَالَ: الآنَ؟، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: أَنْظِرْنِي أُفِيضُ عَلَيَّ مَاءً، فَنَزَلَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَتَّى خَرَجَ، فَسَارَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي، فَقُلْتُ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُصِيبَ السُّنَّةَ اليَوْمَ فَاقْصُرِ الخُطْبَةَ وَعَجِّلِ الوُقُوفَ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ «صَدَقَ».

مسعود: ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة![1]. وفي الصحيح: أن عثمان ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما حُصِرَ صلَّى بالناس شخص، فسأل سائل عثمان: إنك إمام عامة، وهذا الذي صلى بالناس إمام فتنة؟ فقال: «يا ابْنَ أَخِي، إِنَّ الصَّلَاةَ مِنْ أَحْسَنِ مَا عَمِلَ النَّاسُ، فَإِذَا أَحْسَنُوا فَأَحْسِنْ مَعَهُمْ، وَإِذَا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ»[2]. والفاسق والمبتدع صلاته في نفسها صحيحة، فإذا صلى المأموم خلفه لم تبطل صلاته، لكن إنما كَرِهَ من كَرِهَ الصلاةَ خَلْفَهُ؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب.

ومن ذلك: أن من أظهر بدعة وفجوراً لا يُرَتَّبُ إماماً للمسلمين، فإنه يستحق التعزير حتى يتوب، فإذا أمكن هجره حتى يتوب كان حَسَناً، وإذا كان بعض الناس إذا تَرَكَ الصلاةَ خَلْفَهُ وصلَّى خَلْفَ غيره أَثَّرَ ذلك في إنكار المنكر حتى يتوبَ أو يُعْزَلَ أو يَنتهيَ الناس عن مثل ذنبه - فمثل هذا إذا تَرَكَ الصلاةَ خَلْفَهُ كان في ذلك مصلحة شرعية، ولم تَفُتِ

(١) هكذا رواه عمر بن شبة كما ذكر ابن الأثير الجزري في أسد الغابة ٤/٦٧٦ عن ابن شوذب قال: صلى الوليد بن عقبة بأهل الكوفة صلاة الصبح أربع ركعات، ثم التفت إليهم فقال: أزيدكم؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم!.
وأخرجه أحمد ١٢٣٠ عَنْ حُضَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ وَعْلَةَ: أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ، صَلَّى بِالنَّاسِ الصُّبْحَ أَرْبَعًا، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَزِيدُكُمْ؟.. وأخرجه مسلم ٣٨-(١٧٠٧) من هذا الوجه إلا أن فيه: صَلَّى الصُّبْحَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: أَزِيدُكُمْ... إلى آخر الحديث بطوله.

(٢) هذا الأثر أخرجه البخاري في الصحيح -كتاب الأذان- بَابُ إِمَامَةِ المَفْتُونِ وَالمُبْتَدِعِ (٦٩٥). وقد تقدم في ص ٢٩٠.

المأمومَ الجمعةُ ولا الجماعةُ.

وأما إذا كان تَرْكُ الصلاة خَلْفَهُ يُفَوِّتُ المأمومَ الجمعةَ والجماعةَ، فهنا لا يَترك الصلاةَ خَلْفَهُ إلا مبتدع مخالف للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وكذلك إذا كان الإمام قد رتَّبَهُ ولاةُ الأمور، ليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية، فهنا لا يترك الصلاة خلفه، بل الصلاة خلف الأفضل أفضل، فإذا أمكن الإنسان أن لا يُقَدِّمَ مُظهِراً للمنكر في الإمامة وجب عليه ذلك، لكن إذا وَلَّاهُ غيره، ولم يُمْكِنْهُ صَرْفُهُ عن الإمامة، أو كان لا يتمكن من صَرْفِهِ عن الإمامة إلا بِشَرٍّ أعظم ضرراً من ضرر ما أظهر من المنكر؛ فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع أخف الضَّرَرَين بحصول أعظمهما، فإن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، بحسب الإمكان. فتفويت الجُمَع والجماعات أعظم فساداً من الاقتداء فيهما بالإمام الفاجر، لا سيما إذا كان التخلف عنها لا يدفع فجوراً، فَيَبْقَى تعطيل المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة.

وأما إذا أمكن فعل الجمعة والجماعة خلف البَرِّ، فهذا أَولَى من فعلها خلف الفاجر، وحينئذ فإذا صلى خلف الفاجر من غير عذر فهو موضع اجتهاد العلماء: منهم من قال: يعيد، ومنهم من قال: لا يعيد. وموضع بَسْطِ ذلك في كتب الفروع».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقد دَلَّت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أنَّ وَلِيَّ الأمر، وإمام الصلاة، والحاكم، وأمير الحرب، وعامل الصدقة؛ يطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يُطيعَ أَتْبَاعَهُ في موارد الاجتهاد، بل

عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف، ومفسدة الفرقة والاختلاف، أعظم من أمر المسائل الجزئية. ولهذا لم يَجُزْ للحكَّام أن ينقض بعضهم حكم بعض، والصواب المقطوع به صحة صلاة بعض هؤلاء خلف بعض. ويروى عن أبي يوسف: أنه لمَّا حَجَّ مع هارون الرشيد، فاحتجم الخليفة، وأفتاه مالك بأنه لا يتوضأ، وصلَّى بالناس، فقيل لأبي يوسف: أَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ؟ قال: سبحان الله! أمير المؤمنين!، يريد بذلك أن ترك الصلاة خلف ولاة الأمور من فعل أهل البدع. وحديث أبي هريرة؛ الذي رواه البخاري، أن رسول الله ﷺ قال: «يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ»[١]، نَصٌّ صحيحٌ صريحٌ في أن الإمام إذا أخطأ فخطؤه عليه، لا على المأموم. والمجتهد غايته أنه أخطأ بترك واجب اعتقد أنه ليس واجباً، أو فَعَلَ محظوراً اعتقد أنه ليس محظوراً. ولا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخالف هذا الحديث الصريح الصحيح بعد أن يبلغه، وهو حجة على من يطلق من الحنفية والشافعية والحنبلية أن الإمام إذا ترك ما يعتقد المأموم وجوبه لم يصح اقتداؤه به، فإن الاجتماع والائتلاف مما يجب رعايته، وتَرْكُ الخلاف المُفضِي إلى الفساد»[٢].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقوله: «وعلى مَن مات منهم»: أي ونرى الصلاة على مَن مات من الأبرار والفجار، وإن كان يُستثنى من هذا العموم البُغاة وقُطَّاع الطريق، وكذا قاتل نفسه، خلافاً لأبي يوسف، لا الشهيد، خلافاً لمالك والشافعي

(١) أخرجه البخاري ٦٩٤ وفيه جواز الصلاة خلف الفاجر كما تقدم.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٣٦٥-٣٦٩.

رحمهما الله، على ما عرف في موضعه. لكن الشيخ (أي أبو جعفر الطحاوي) إنما ساق هذا لبيان أَنَّا لا نترك الصلاة على من مات من أهل البدع والفجور، لا للعموم الكُلِّي.

ولكنِ المظهرون للإسلام قسمان: إما مؤمن، وإما منافق، فمن عُلِمَ نفاقه لم تَجُز الصلاة عليه والاستغفار له، ومَن لم يُعلَمْ ذلك منه صُلِّيَ عليه. فإذا عَلِمَ شخصٌ نفاقَ شخصٍ لم يُصِلِّ هو عليه، وصلَّى عليه مَن لم يَعلم نفاقه، وكان عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لا يصلي على مَن لم يصل عليه حذيفة، لأنه كان في غزوة تبوك قد عرف المنافقين، وقد نهى اللهُ سبحانه وتعالى رسولَهُ ﷺ عن الصلاة على المنافقين، وأخبر أنه لا يغفر لهم باستغفاره، وعَلَّلَ ذلك بكفرهم بالله ورسوله، فمن كان مؤمناً بالله ورسوله لم يُنْهَ عن الصلاة عليه، ولو كان له من الذنوب الاعتقادية البدعية أو العملية الفجورية ما له، بل قد أمره الله تعالى بالاستغفار للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[محمد:١٩]، فأَمَرَهُ سبحانه بالتوحيد والاستغفار لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات، فالتوحيدُ أصلُ الدِّين، والاستغفارُ له وللمؤمنين كَمَالُهُ. فالدعاء لهم بالمغفرة والرحمة وسائر الخيرات، إما واجب وإما مستحب، وهو على نوعين: عام وخاص، أما العام فظاهر، كما في هذه الآية، وأما الدعاء الخاص، فالصلاة على الميت، فما من مؤمن يموت إلا وقد أُمِرَ المؤمنون أن يصلوا عليه صلاة الجنازة، وهم مأمورون

في صلاتهم عليه أن يدعوا له، كما روى أبو داود وابن ماجه، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلِصُوْا لَهُ الدُّعَاءَ»(١). انتهى كلام ابن أبي العز رَحِمَهُٱللَّهُ (٢).

وجوب طاعة أُولي الأمر ما لم يأمروا بمعصية وتحريم الخروج عليهم وإن جاروا

من أصول أهل السنة والجماعة طاعة أولي الأمر ما لم يأمروا بمعصية، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وأنه لا يجوز الخروج على ولاة الأمر وإن ظلموا وإن كانوا فجاراً فاسقين، ما أقاموا في الناس الصلاة، وما لم يأتوا بكفر بواح.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء:٥٩].

وَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي»(٣).

وَعَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عَلَى الْمَرْءِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١٩٩) وابن ماجه (١٤٩٧) وابن حبان (٣٠٧٦) والبيهقي (٤٠/٤) وهو حديث صحيح.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٣٦٩-٣٧٠.

(٣) أخرجه البخاري ٧١٣٧ ومسلم ٢٣-(١٨٣٥).

الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»(١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»(٢).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي: «أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ، وَأَنْ أُصَلِّيَ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكْتَ الْقَوْمَ وَقَدْ صَلَّوْا كُنْتَ قَدْ أَحْرَزْتَ صَلَاتَكَ، وَإِلَّا كَانَتْ لَكَ نَافِلَةً»(٣).

وَعَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا، فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٤٤ ومسلم ٣٨-(١٨٣٩).

(٢) أخرجه البخاري ٧١٤٢.

(٣) أخرجه مسلم ٢٤٠-(٦٤٨).

(٤) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧ والترمذي ٢٦٧٦ وابن ماجه ٤٢ وأحمد ١٧١٤٤ والدارمي ٩٦ وابن حبان ٥ والحاكم ٣٢٩ والبيهقي في السنن الكبرى ٢٠٣٣٨ وقال الترمذي: =

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ»[(١)].

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ فَجَاءَ اللَّهُ بِخَيْرٍ فَنَحْنُ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: كَيْفَ؟ قَالَ: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ»، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»[(٢)].

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»[(٣)].

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قِيلَ: يَا

= «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ لَيسَ لَهُ عِلَّةٌ» وأقره الذهبي، وهو كذلك.

(١) أخرجه مسلم ٣٥-(١٨٣٦).

(٢) أخرجه مسلم ٥٢-(١٨٤٧).

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٥٥ مسلم ٤٢-(١٧٠٩).

رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»[(١)].

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا»[(٢)].

وَعَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَجَذَبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَالَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»[(٣)].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ»[(٤)].

وَعَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ

---

(١) أخرجه مسلم ٦٥-(١٨٥٥).

(٢) أخرجه مسلم ٦٢-(١٨٥٤).

(٣) أخرجه مسلم ٤٩-(١٨٤٦).

(٤) أخرجه البخاري ٣٦٠٣ ومسلم ٤٥-(١٨٤٣).

فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[1].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا فَمَاتَ عَلَيْهِ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[2].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ؛ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ؛ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»[3].

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ

---

(١) أخرجه مسلم ٥٨-(١٨٥١).

(٢) أخرجه البخاري ٧٠٥٣ ومسلم ٥٦-(١٨٤٩).

(٣) أخرجه مسلم ٥٣-(١٨٤٨).

جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[(١)].

كلام الأئمة في وجوب طاعة أولي الأمر:

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البَرِّ والفاجر، ومَن وَلِيَ الخلافة واجتمع الناس عليه ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسُمِّي أمير المؤمنين»[(٢)].

وقال أبوجعفر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ فريضةً، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة»[(٣)].

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أجمع العلماء على وجوبها في غير معصية، وعلى تحريمها في المعصية، نقل الإجماع على هذا القاضي»[(٤)].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب، والجهاد

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦٠٦ ومسلم ٥١-(١٨٤٧).

(٢) أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل ١٥.

(٣) متن العقيدة الطحاوية ٧٢.

(٤) شرح النووي على مسلم ١٢/٢٢٢.

معه، وأنَّ طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء، وتسكين الدهماء»[1] .

والدعاء لولي الأمر بالصلاح والمعافاة مما يُحمد ويتأكد، وهو علامة الرجل من أهل السنة.

قال الإمام البربهاري في كتاب السنة:

«إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله»[2].

قال الإمام الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«لَوْ أَنَّ لِيَ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً مَا صَيَّرْتُهَا إِلَّا فِي الْإِمَامِ» قِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا أَبَا عَلِيٍّ؟ قَالَ: «مَتَى مَا صَيَّرْتُهَا فِي نَفْسِي لَمْ تَجُزْنِي، وَمَتَى صَيَّرْتُهَا فِي الْإِمَامِ فَصَلَاحُ الْإِمَامِ صَلَاحُ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ»[3].

وقال الإمام الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث:

«ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، ولا يرون الخروج عليهم وإن رأوا منهم العُدول عن العَدل إلى الجَور والحَيف»[4].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: أَمَرَنَا أَكَابِرُنَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر ١٣/٧.

(٢) «شرح السنة» للبربهاري ص١١٣.

(٣) «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصبهاني ٩١/٨.

(٤) انظر: «عقيدة السلف أصحاب الحديث» ٩٣.

أَنْ لَا نَسُبَّ أُمَرَاءَنَا، وَلَا نَغُشَّهُمْ، وَلَا نَعْصِيَهُمْ، وَأَنْ نَتَّقِيَ اللهَ وَنَصْبِرَ، فَإِنَّ الْأَمْرَ قَرِيبٌ»(١).

الوعيد لمن عاون الأمراء الظَّلَمَة على ظلمهم وصدَّقهم في كذبهم:

عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَوْ دَخَلَ، وَنَحْنُ تِسْعَةٌ، وَبَيْنَنَا وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ يَكْذِبُونَ وَيَظْلِمُونَ، فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ، فَصَدَّقَهُمْ بِكِذْبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَيُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الْحَوْضَ»(٢).

مناصحة الحُكَّام:

عَنْ عِيَاضِ بْنِ غَنْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِهِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ: أَلَمْ تَسْمَعْ يَا هِشَامُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ، فَلَا يُبْدِ لَهُ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ، فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ»(٣).

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» ١٠١٥ والبيهقي في «شعب الإيمان» ٧١٠١ بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٢٥٩ والنسائي ٤٢٠٨ وأحمد ١٨١٢٦ وابن حبان ٢٧٩ والحاكم ٢٦٣ والبيهقي في السنن الكبرى ١٦٦٦٩ وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه أحمد ١٥٣٣٣ وابن أبي عاصم في السنة ١٠٩٦، ١٠٩٧ والطبراني في المعجم الكبير ١٠٠٧/١٧ والحاكم ٢٩٠/٢ وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ». قلت: هو حديث حسن.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»(١).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُم مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا رَآهُ أَوْ عَلِمَهُ»(٢).

قَالَ: فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَمَا زَالَ بِنَا الْبَلَاءُ حَتَّى قَصَّرْنَا وَإِنَّا لَنُبَلِّغُ فِي السِّرِّ. وفي رواية: قال أبو سعيد: فَحَمَلَنِي ذلك عَلَى أَن رَكِبْتُ إلى معاويةَ، فَمَلَأْتُ أُذُنَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ.

الحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين بَرِّهم وفاجرهم إلى قيام الساعة

قال أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤٤) والترمذي (٢١٧٤) وابن ماجه (٤٠١١) وأحمد (١١١٤٣)، وقال الترمذي: «وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

ويشهد له حديث طَارِقِ بْنِ شهابٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ». أخرجه النسائي في السنن المجتبى ١٦١/٧ وفي السنن الكبرى (٧٨٣٤) وأحمد ١٨٨٢٨. وطارق بن شهاب رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه، فيكون هذا الحديث مرسل صحابي، ومرسل الصحابي صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (١١٤٢١) والطيالسي (٢٢٦٥) وابن حبان (٢٧٨) والبيهقي في السنن الكبرى (٩٠/١٠) بإسناد صحيح رجاله ثقات رجال مسلم.

(٣) متن العقيدة الطحاوية ص٧١.

وقال الشارح ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«يشير الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الرد على الرافضة، حيث قالوا: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضا من آل محمد، وينادي مناد من السماء: اتبعوه. وبطلان هذا القول أظهر من أن يستدل عليه بدليل. وهم شرطوا في الإمام أن يكون معصوماً، اشتراطاً بغير دليل، بل في صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلُّون عليهم ويصلُّون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»، قال: قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من وَلِيَ عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا يَنْزِعَنَّ يداً من طاعته»[1].

قال:

«والرافضة أخسر الناس صفقة في هذه المسألة؛ لأنهم جعلوا الإمام المعصوم هو الإمام المعدوم، الذي لم ينفعهم في دين ولا دنيا، فإنهم يدَّعون أن الإمام المنتظر محمد بن الحسن العسكري، الذي دخل السرداب في زعمهم، سنة ستين ومائتين، أو قريباً من ذلك بسامرا، وقد يقيمون هناك دابة، إما بغلة وإما فرساً، ليركبها إذا خرج! ويقيمون هناك في أوقات عينوا فيها من ينادي عليه بالخروج: يا مولانا، اخرج! يا مولانا، اخرج! ويشهرون السلاح؛ ولا أحد هناك يقاتلهم! إلى غير ذلك من الأمور التي يضحك عليهم منها العقلاء!

وقوله: «مع أولي الأمر بَرِّهم وفاجرهم» لأن الحج والجهاد فرضان

---

(١) أخرجه مسلم ٦٦-(١٨٥٥).

يتعلقان بالسفر، فلا بد من سائس يسوس الناس فيهما، ويقاوم فيها العدو، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البَر يحصل بالإمام الفاجر»[١].

اتباع الكتاب والسنة

قواعد وأصول أهل السنة والجماعة في تلقي مسائل الدين والاستدلال عليها هو كتاب الله القرآن العظيم، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع السلف الصالح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«فدِين المسلمين مبنيٌّ على اتِّباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما اتَّفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة»[٢].

وكل ما ثبت من سُنَّة رسول الله ﷺ فهو حجة يجب قبوله في الاعتقاد والعلم والعمل، سواء كان من الأحاديث المتواترة أو أحاديث الآحاد التي هى معظم الأحاديث النبوية فى دواوين السُّنَّة.

والمرجع في فهم الكتاب والسُّنَّة هو فهم السلف الصالح، وعلى رأسهم الصحابة، لأنهم شهدوا نزول القرآن، ولأنهم خير الأمة وأفقه الأمة، ولأنهم أعلم الناس بلغة القرآن وبتفسيره، ولأن رسول الله ﷺ ذَكَرَ أنَّ الفِرقة الناجية هي من كان عليه هو ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم[٣].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٨١- ٣٨٢.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/١٦٤).

(٣) تقدم ذكر حديث الفرقة الناجية في ص٥.

ودين الإسلام قد اكتمل وقد بيَّنه النبي ﷺ، فلا يُزادُ فيه ولا يُنقَصُ ولا يحرَّف ولا يبدَّل، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

التحذير من الابتداع في الدين:

وكل محدثة في الدين فهي بدعة ومردودة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(١). وفي رواية: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(٢). وقال ﷺ: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»(٣). وقال ﷺ: «إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، [وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ]»(٤).

والتسليم لله ولرسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا، فلا يُعارَضُ شيء من الكتاب أو السنة الصحيحة بقول أحد، ولا بقياس، ولا ذوق، ولا كشفٍ، ولا منام، ولا غير ذلك.

والعقل الصريح موافق للنقل الصحيح، ولا تعارض بينهما في الحقيقة، وعند توهُّم التعارض يقدم النقل على العقل.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦٩٧ ومسلم ١٧-(١٧١٨).

(٢) مسلم ١٨-(١٧١٨).

(٣) تقدم تخريجه في ص ٢٩٨.

(٤) أخرجه مسلم ٤٣-(٨٦٧) والنسائي ١٥٧٨ والزيادة ما بين المعقوفين للنسائي.

والعصمة ثابتة لرسول الله ﷺ، والأمة في مجموعها معصومة من الاجتماع على ضلالة، أما آحادها فلا عصمة لأحد منهم، والمرجع عند الخلاف يكون للكتاب والسنة مع الاعتذار للمخطئ من مجتهدي الأمة.

والرؤيا الصالحة حق، وهي من المبشِّرات، وهي جزء من النبوة، غير أنها ليست مصدرًا للعقيدة ولا للتشريع ولا للتحريم، بل مجرد مبشِّرات ومحذِّرات.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ» وفي رواية: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ»(١).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»(٢).

والمِراء في الدين مذموم، والمجادلة بالحسنى مشروعة، ولا يجوز الخوض فيما صح النهي عن الخوض فيه.

ويجب الالتزام بمنهج الوحي في الرد، ولا ترد البدعة ببدعة، ولا يقابل الغلو بالتفريط ولا العكس.

وتقسيم الدين إلى حقيقة يتميز بها الخاصة وشريعة تلزم العامة، بدعة وقول باطل أحدثه بعض أهل الزيغ والضلال.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٩٨٩ ومسلم ٨-(٢٢٦٣).

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٧-(٤٧٩).

لزوم جماعة المسلمين ونبذ التفرق والاختلاف

ومن أصول أهل السنة والجماعة لزوم جماعة المسلمين، ونبذ التفرق والاختلاف.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران:١٠٣].

وحبل الله هو القرءان والسنة، لأن السنة وَحْيٌ من الله كذلك.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران:١٠٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]. وبهذه الآية استدل الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على حجية الإجماع[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام:١٥٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[الأنعام:١٥٩].

قال أبو جعفر الطحاوي في بيانه لعقيدة أهل السنة والجماعة: «ونَتَّبِعُ السُّنَّةَ والجَمَاعَةَ، ونَجْتَنِبُ الشُّذُوْذَ والخِلَافَ والفُرْقَةَ»[(٢)].

---

(١) انظر: «أحكام القرءان» للإمام الشافعي- جمع البيهقي ٤٠/١.

(٢) متن العقيدة الطحاوية ٧٣.

وقال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن السنة لزوم الجماعة، فمن رغب عن الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وكان ضالًّا مضلًّا»[1].

أصول فِرَق الضلال أربع فِرَق:

قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أصل اثنين وسبعين[2] هَوًى: أربعة أهواء، فمن هذه الأربعة الأهواء انشعبت الاثنان وسبعون هَوًى: القَدَرِيَّة، والمُرجِئَة، والشِّيْعَة، والخَوَارج.

فمن قَدَّمَ أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا على أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يتكلم في الباقين إلا بخير، ودعا لهم، فقد خرج من التشيُّع أوله وآخره.

ومن قال: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فقد خرج من الإرجاء كله أوله وآخره.

ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح، فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره.

ومن قال: المقادير كلها من الله خيرها وشرها، يُضِلُّ من يشاء، ويَهدي من يشاء، فقد خرج من قول القدرية، أوله وآخره، وهو صاحب سُنَّة»[3].

---

(١) «شرح السنة» للبربهاري (٣٥).

(٢) يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى حديث الفِرَق وقد تقدم في ص٥.

(٣) «شرح السنة» للبربهاري ص ١٢٩.

وَقِيلَ لِسَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيِّ: مَتَى يَعْلَمُ الرَّجُلُ أَنَّهُ عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؟ قَالَ: «إِذَا عَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ عَشْرَ خِصَالٍ:

لَا يَتْرُكُ الْجَمَاعَةَ.

وَلَا يَسُبُّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ.

وَلَا يَخْرُجُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالسَّيْفِ.

وَلَا يُكَذِّبُ بِالْقَدَرِ.

وَلَا يَشُكُّ فِي الْإِيمَانِ.

وَلَا يُمَارِي فِي الدِّينِ.

وَلَا يَتْرُكُ الصَّلَاةَ عَلَى مَنْ يَمُوتُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِالذَّنْبِ.

وَلَا يَتْرُكُ الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ.

وَلَا يَتْرُكُ الْجَمَاعَةَ خَلْفَ كُلِّ وَالٍ جَارَ أَوْ عَدَلَ»(١).

أهل السنة والجماعة هم المتمسكون بالإسلام الخالص:

وأهل السنة والجماعة مع صحة عقيدتهم ومنهجهم، فهم يدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي، ويجاهدون في سبيل الله، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهكذا كل شعائر الإسلام، يبذلون وُسْعَهم في ذلك. دينهم الإسلام ورسولهم وقدوتهم خير الأنام محمد عليه الصلاة والسلام، ولذلك صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة.

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» ١٧٠/١ وهذه تسع خصال، ولعله لما قاربت العشرة أطلق عليها العشرة تغليباً.

من ثمرات التمسُّك بعقيدة ومنهج أهل السُّنَّة والجماعة

١- الأمن والهداية:

المتمسك بعقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة متمسك بتوحيد الله تعالى وعدم الإشراك به، فإيمانه راسخ، ومنهجه قويم على الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]. والظلم هنا هو الشرك، لِحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ، ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾؛ بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣][(١)].

٢ - النجاة في الدنيا والآخرة:

المتمسك بعقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة ينجو في الدنيا من الضلال المتمثل في الانحراف والزيغ والبدع، ومن الحيرة والشكوك والخرافات، وما يتبع ذلك من نكد العيش، وكدر النفس، فالسنة سفينة النجاة، فمَنْ ركبها وكان من أهلها سَلِمَ ونَجَا، ومَنْ تركها غرق وهلك.

وينجو في الآخرة من النار، ويدخل الجنة، ويكون في رفقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الأبرار، لأنه كان على التوحيد والتمسك بالهدي النبوي.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٣٦٠ ومسلم ١٩٧-(١٢٤).

وهذا بعكس حال ومآل أهل البدع الذين هم من أبعد الناس عن السُّنَّة، ومنهم من تكون بدعته مكفِّرة نسأل الله السلامة، ولذلك يقول الإمام الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ»[1].

٣ - اليقين بالحق والثبات عليه:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّك تَجِدُ أَهْلَ الْكَلامِ أَكْثَرَ النَّاسِ انْتِقَالاً مِنْ قَوْلٍ إِلَى قَوْلٍ، وَجَزْمًا بِالْقَوْلِ فِي مَوْضِعٍ، وَجَزْمًا بِنَقِيضِهِ وَتَكْفِيرِ قَائِلِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَهَذَا دَلِيلُ عَدَمِ الْيَقِينِ... وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَمَا يُعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَائِهِمْ، وَلا صَالِحِ عَامَّتِهِمْ، رَجَعَ قَطُّ عَنْ قَوْلِهِ وَاعْتِقَادِهِ، بَلْ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ صَبْرًا عَلَى ذَلِكَ، وَإِنْ امْتُحِنُوا بِأَنْوَاعِ الْمِحَنِ، وَفُتِنُوا بِأَنْوَاعِ الْفِتَنِ»[2].

ومن أحسن النماذج على الصبر على الحق والثبات عليه موقف شيخ الإسلام ابن تيمية، وصبره على ما لاقاه من السجن في سبيل الحق، ومن قبله الإمام أحمد بن حنبل في فتنة القول بخلق القرءان، وقدوة هاذَين الإمامَين هم الرسل والصحابة الذين جاهدوا وصبروا وصابروا ورابطوا، فنصرهم الله وأعزهم في الدنيا والآخرة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يصف حال شيخه ابن تيمية: «ما رأيت أحداً أطيبَ عيشاً منه قَطُّ، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس، والتهديد، والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأَشرحِهِم صدراً، وأقواهم

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي ٦٢/١ رقم(١٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٥٠/٤، ٥١).

قلباً، وأَسَرِّهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه... فسبحانَ مَنْ أَشْهَدَ عِبادَه جَنَّتَه قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من روحها، ونسيمها، وطيبها، ما استفرغ قُواهم لِطَلَبِها، والمسابقة إليها»[1].

٤ - السَّلامة من الحيرة والاضطراب:

المتمسك بعقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة هو في مأمن بفضل الله من الحيرة والاضطراب، اللَّذَينِ يصيبان كثيراً من أهل البدع من أهل الكلام والفلسفة المعرضين عن التسليم بما جاء في القرءان والسنة على منهج السلف الصالح، فتصيبهم الحيرة والاضطراب والزعزعة النفسية، ولا خلاص لهم من ذلك إلا بمنهج أهل السنة والجماعة الذين اتبعوا النبي ﷺ وما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وهذا أبو عبد اللَّه محمد بن عمر الرَّازِي، أحد أكابر علم الكلام، وكان في آخر أمره يتحسر على ما أضاع به وقته وأتعب به نفسه، يقول: «لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ، وَالْمَنَاهِجَ الْفَلْسَفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَلِيلاً، وَلَا تُرْوِي غَلِيلاً، وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ، أَقْرَأُ فِي الإِثْبَاتِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]؛ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[فاطر:١٠]، وَأَقْرَأُ فِي النَّفْيِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١]؛ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[طه:١١٠]. ثُمَّ قَالَ: وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي»[2].

---

(١) «الوابل الصَيِّب» لابن القيم (ص٦٧).

(٢) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص١٧٧) و«النبوات» لابن تيمية (ص٩٠).

وَكَذَلِكَ أَبُو الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيُّ -أحد أئمة الأشاعرة - يوصي أصحابه قائلاً: «يَا أَصْحَابَنَا، لا تَشْتَغِلُوا بِالْكَلامِ، فَلَوْ عَرَفْتُ أَنَّ الْكَلامَ يَبْلُغُ بِي إِلَى مَا بَلَغَ مَا اشْتَغَلْتُ بِهِ». وَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ: «لَقَدْ خُضْتُ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ، وَخَلَّيْتُ أَهْلَ الإِسْلامِ وَعُلُومَهُمْ، وَدَخَلْتُ فِي الَّذِي نَهَوْنِي عَنْهُ، وَالآنَ فَإِنْ لَمْ يَتَدَارَكْنِي رَبِّي بِرَحْمَتِهِ؛ فَالْوَيْلُ لابْنِ الْجُوَيْنِيِّ، وَهَا أَنَا ذَا أَمُوتُ عَلَى عَقِيدَةِ أُمِّي، -أَوْ قَالَ: عَلَى عَقِيدَةِ عَجَائِزِ نَيْسَابُورَ»[1].

ولذلك فالمتمسك بعقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة سبيله واضح، لأنه على نور الكتاب والسنة لا يعرِّج على الأهواء والمُضِلَّات، وحُجَّتُهُ قوية، لأنها من الكتاب والسنة وبفهم السلف الصالح، ولذلك كان أكابر أئمة هذه الأمة هم أهل السُّنَّة والجماعة، أهل الحديث والأثر، وفيهم الصِّدِّيقون والشهداء والصالحون، ومنهم أعلام الهُدَى ومصابيح الدُّجَى، كالإمام مالك والثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل، وأمثالهم، رحمهم الله جميعاً.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يثبتنا على عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة إلى أن نلقاه عَزَّوَجَلَّ، وأن يحشرنا معهم، ونسأله عَزَّوَجَلَّ لذة النظر إلى وجهه الكريم، ومرافقة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أعلى الجنات. والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) انظر: «تلبيس إبليس» ص٨٤، وشرح العقيدة الطحاوية (ص١٧٨).

فهرس الموضوعات

٣٢٨